نموذج رقم (٨)

اجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الإسم الرباعي: خالد بن محمد بن يوسف بن عبد العزيز التويم كلية :التربية قسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة :الدكتوراة تخصص : تربية اسلامية ومقارنة

عنوان الأطروحة : التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي

****

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/٢/١٧هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فان اللجنة توصى بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة متطلباً تكميلياً للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

والله الموفق ،،،،

****

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من داخل القسم	مناقش من خارج القسم
الإسم :أ.د. محمد نجيب العرقسوسي	الاسم : د . محمود محمد عبد الله كسناوي	الاسم : د. عبد الرزاق أحمد ظفر
التوقيع	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د. حامد بن سالم الحربي

التوقيـــــع :

****

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كليـــة التربيـــة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٨٥٧

التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي

إعداد الطالب

خالد محمد يوسف التويم

جامعة أم القرى - مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
٢٨٥٧
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف الدكتور

محمد خير عرقسوسي

الأستاذ بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية مقدم إلى قسم

التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

عنوان البحث : التبعية الفكرية في التربية وعلاجها من منظور إسلامي .

اسم الطالب : خالد بن محمد بن يوسف التويم .

موضوع البحث : دراسة التبعية الفكرية في التربية لمعرفة أسبابها وآثارها وطريقة علاجها في المنهج الإسلامي .

فصول الدراسة : يتكون البحث من فصل تمهيدي يشمل خطة البحث وأربعة فصول أخرى . الفصل الأول : ناقش من خلاله مفهوم التبعية الفكرية وأنواعها وأسبابها وآثارها . والفصل الثاني : تناول الموقف من العلوم التربوية الغربية ، وهي ثلاث اتجاهات : الرفض التام ، والقبول التام ، واتجاه الوسط ، الذي يرفض ما يخالف الإسلام ويقبل ما يتماشى معه ، وأيضاً يتناول هذا الفصل مشروعية الاقتباس ، وضوابطه ، ثم معايير التبعية الفكرية وهي أربعة معايير : العقيدة ، والبرهان ، وهوية الأمة ، والمصلحة . الفصل الثالث : ويناقش موضوع أصول التربية بين التبعية والأصالة ، ويبين مفهوم أصول التربية الإسلامية وسماتها ، ثم ينقد أحد الكتب في أصول التربية وهو كتاب محمد منير مرسي بعنوان : أصول التربية الثقافية والفلسفية ، ويطبق الباحث على الكتاب معيار العقيدة ويبين من خلال ذلك الأفكار التي تلوثت بالتبعية الفكرية للغرب . الفصل الرابع : ويتضمن طريقة التربية الإسلامية في علاج التبعية الفكرية ، منها إصلاح ميدان النفس والمحافظة على شخصية الإنسان . وإصلاح ميدان العقل ونشر العلم الشرعي ، وتصحيح بعض المفاهيم مثل الولاء والبراء ، ومعيار صلاح مناهج الأمم والاعتزاز بالدين .

أهم النتائج :

١- أن التبعية منها ما هو محمود وهو اتباع الكتاب والسنة واتباع الدليل من تجربة وبرهان عقلي في أمور الدنيا ومنها ما هو مذموم وهو اتباع الآخرين دون حجة وبرهان .

٢- نشأت التبعية بسبب عوامل داخلية وخارجية ، من العوامل الداخلية عدم الالتزام بأحكام الدين ، ومن العوامل الخارجية الغزو العسكري والفكري .

٣- الإقتباس من الأمم الأخرى مشروع ولكن بضوابط منها ما يخص المُقْتَبِسْ وهي العلم الشرعي ، وسبر غور الفكر التربوي الغربي ، وضوابط للمُقْتَبَس وهو أن لا يخالف العقيدة ولا يهدد هوية الأمة ، وأن يكون فيه مصلحة للمسلمين .

من التوصيات :

١- إعادة النظر في نظام التعليم الحالي والقائم في البلاد الإسلامية سواء في الأهداف أم في المحتوى أم في النظام ، وضرورة أن يتم بناء نظام تعليمي ينطلق من القرآن والسنة .

٢- ضرورة التصدي للغزو الغربي في ميدان التربية عن طريق إحداث مادة دراسية لطلاب الإعداد التربوي .

الطالب	المشرف	عميد كلية التربية
خالد محمد التويم	أ . د . محمد خير عرقسوسي	د . عبد العزيز بن عبد الله خياط

الإهداء

إلى الذين يسعون دونما وهن وضعف إلى إخراج الأمة من مستنقع التبعية الآسن إلى حيث الريادة والصدارة .

إلى كل المرابطين على ثغور الأمة الفكرية والتربوية إلى هؤلاء وغيرهم من العاملين على إحياء التربية الإسلامية

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته ، وعدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، على ما أنعم به علينا من نعم ظاهرة وباطنة لا تعد ولا تحصى ... وبعد

يتقدم الباحث بالشكر إلى من كان له فضل - بعد الله - في إتمام هذا الجهد ويخص بالتقدير والعرفان :

- سعادة الأستاذ الفاضل ، المشرف على هذه الرسالة أ . د . محمد خير عرقسوسي والذي كان له فضل كبير في توجيه الباحث وإرشاده وتصويب أخطائه ، ولما لمسه منه من حسن خلق ولين جانب ، ولما غمره من محبة وإحسان ، جزاه الله كل خير .

- سعادة الأستاذ الفاضل الدكتور محمد جميل بن علي خياط ، المشرف السابق على هذا البحث والذي له فضل في توجيه الباحث لاختيار موضوع الدراسة . وكان لتوجيهاته وآرائه أثر كبير في إثراء الرسالة .

- سعادة رئيس قسم التربية الإسلامية المقارنة الدكتور حامد سالم الحربي ، على ما يبذله من جهد وعناية فائقة مع طلبة القسم .

- سعادة عميد كلية التربية الدكتور عبد العزيز بن عبد الله خياط ، لما يبذله من نشاط في تسهيل أمور الدراسة .

- وإلى إدارة الجامعة وعلى رأسها معالي الدكتور سهيل بن حسن قاضي ، وسلفه معالي الدكتور راشد الراجح .

- ولسعادة الدكتور خالد بن منصور الكريمي عميد كلية إعداد المعلمين بجدة سابقاً ورئيس قسم التربية وعلم النفس حالياً لما بذله مع الباحث في تسهيل ابتعاثه لإكمال دراسته .

- كما يشكر الباحث أساتذته الأفاضل في هذه الكلية .

وفي ختام الشكر لا ينسى الباحث شكر زوجته (أم محمد) لما بذلته معه من تهيئة الأجواء ، ولصبرها ومؤازرتها له ، حفظها الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة التوبة ، آية ١٢٠)

الباحث

فهرس المحتويات

الفصل التمهيدي : خطة البحث

المقدمة ٢

موضوع الدراسة ٦

أهمية الدراسة ١٦

تساؤلات الدراسة ١٧

أهداف الدراسة ١٧

حدود الدراسة ١٧

منهج الدراسة ١٨

مصطلحات الدراسة ١٩

الدراسات السابقة ٢٢

الفصل الأول : التبعية الفكرية (أنواعها – أسبابها – آثارها)

المبحث الأول : أنواع التبعية الفكرية ٣١

أولاً : التبعية المحمودة ٣١

١- إتّباع القرآن الكريم والرسول ﷺ ٣١

٢- إتباع الهدى الظاهر للأمة الإسلامية ٣٣

٣- إتباع الدليل من تجربة وبرهان في أمور الدنيا ٣٧

ثانياً : التبعية المذمومة ٤٣

القسم الأول : التبعية الفكرية الخارجية ٤٣

النوع الأول : التبعية في ميدان العقيدة والشريعة ٤٣

١- في العقيدة ٤٣

٢- في الشريعة ٤٣

النوع الثاني : التشبه بالكفار ٤٤
النوع الثالث : إتباع الأمم الكافرة فيما عندها من
علوم اجتماعية وإنسانية دون نقد وتمحيص ٥٢
النوع الرابع : التبعية في ميدان النظم الإدارية ومناهج
التنمية السياسية والاقتصادية ٥٧
القسم الثاني : التبعية الفكرية الداخلية ٦١
النوع الأول : إتباع الآباء ٦١
النوع الثاني : إتباع المشايخ ٦٤
المبحث الثاني : أسباب التبعية الفكرية ٦٨
أولاً : الأسباب الداخلية ٦٨
أولاً : ضعف الإلتزام بأحكام الدين ٦٩
ثانياً : ركود وجمود الحركة العلمية في : ٧٧
١- ميدان العلوم الشرعية ٧٨
٢- ميدان العلوم الطبيعية : ٨٥
أ- ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية ٨٥
ب- ميدان التربية والتعليم ٨٧
ثالثاً : غياب الشورى عن الحياة الإسلامية ٩٧
ثانياً : الأسباب الخارجية ١٠٦
١- الغزو العسكري ١٠٦
نتائج الغزو الأجنبي ١١٠
٢- الغزو الفكري ١١٣
أساليب الغزو الفكري : ١١٦
١- إثارة الشكوك حول الدين الإسلامي ١١٦

٢- نشر الإلحاد في الشعوب الإسلامية ١١٨
٣- نشر الزنى والتفسخ الأخلاقي ١١٩
٤- الإرهاب الفكري ١١٩
٥- التضليل الفكري ١٢٠
٦- التبشير : ١٢٢
أهداف التبشير ١٢٢
وسائل المبشرين ١٢٥
المبحث الثالث : آثار التبعية الفكرية ١٢٨
أولاً : آثار التبعية الفكرية الداخلية : ١٢٨
١- التفلت من أحكام الشريعة ١٢٨
٢- ركود وجمود العلوم الشرعية ١٣٠
٣- جمود العلوم الطبيعية والاجتماعية ١٣١
٤- انتشار البدع ١٣٤
٥- التهيئة للتبعية الفكرية الخارجية ١٣٥
ثانياً : آثار التبعية الفكرية الخارجية : ١٣٦
١- الردة والخروج عن الدين ١٣٦
٢- ترسيخ التخلف الصناعي والعلمي والاقتصادي ١٣٧
٣- تسلط الأمم الأخرى على المسلمين ١٣٩
٤- ضياع الهوية الإسلامية ١٤١
٥- الاختلاف والبغضاء ١٤٢
٦- شيوع الفساد ١٤٣

الفصل الثاني : العلوم التربوية بين الاقتباس المحمود والتبعية الفكرية

تمهيد ١٤٥

المبحث الأول : الموقف من العلوم التربوية الغربية ١٤٦

الإتجاه الأول : الرفض التام للعلوم التربوية الغربية ١٤٦

العوامل التي ساهمت في تشكيل إتجاه الرفض ١٤٨

مناقشة اتجاه أصحاب الرفض التام ١٥١

الحقيقة الأولى : العلوم التربوية الغربية فيها حق وباطل ١٥١

الحقيقة الثانية : ميدان التربية والتعليم فيه ثوابت ومتغيرات ١٥٤

الإتجاه الثاني : إتجاه القبول التام للعلوم الغربية ١٦٧

الإتجاه الثالث : إتجاه الوسط ١٧٧

سمات إتجاه الوسط ١٧٨

المبحث الثاني : مشروعية الاقتباس من الأمم الأخرى ١٨٥

ضوابط الاقتباس ١٩٢

١- العلم الشرعي ١٩٢

٢- دراسة جذور الفكر الغربي ٢٠٢

المبحث الثالث : معايير التبعية الفكرية ٢٠٦

أولاً : معيار العقيدة ٢٠٧

ثانياً : معيار هوية الأمة ٢١٢

ثالثاً : معيار الحجة والبرهان ٢١٤

رابعاً : معيار المصلحة ٢١٧

خلاصة ٢٢٢

الفصل الثالث : أصول التربية بين التبعية والأصالة

المبحث الأول : مفهوم أصول التربية ٢٢٤

الأصول في اللغة ٢٢٤

المبحث الثاني : أصول التربية ٢٤٣

أصول التربية الإسلامية : ٢٤٣

الجانب الأول : الأصول العامة للتربية الإسلامية ٢٤٣

الجانب الثاني : أصول الفقه التربوي ٢٤٥

المبحث الثالث : تطبيق معايير التربية الفكرية على كتاب محمد منير مرسي بعنوان أصول التربية الثقافية والفلسفية

تمهيد ٢٤٨

أولاً : نبذة عن حياة المؤلف ٢٤٨

ثانياً : ملخص الكتاب ٢٥٤

ثالثاً : نقد بعض الآراء المتضمنه في الكتاب : ٢٥٥

١- مفهوم تطور التربية ٢٥٥

٢- التطبيع الاجتماعي ٢٦٠

٣- الأخلاق والقيم وتغيرها ٢٦٤

٤- الفطرة ٢٧٣

٥- الولاء والبراء و (النسبية الأخلاقية والثقافية) ٢٧٦

٦- الأصول الفلسفية ٢٨٤

٧- مصادر المعرفة ٢٨٤

٨- الطبيعة الإنسانية وحرية الإرادة ٣٠١

٩- خلاصة ٣٠٨

الفصل الرابع : طريقة التربية الإسلامية في علاج التبعية الفكرية

تمهيد ٣١١

المبحث الأول : إصلاح ميدان النفس

أولاً : إحياء القلوب ٣١٢

- أنواع القلوب ٣١٥

- وسائل إحياء القلوب : ٣٢٧

١- التفكر ٣٢٧

٢- تذكر الموت ٣٢٨

٣- ذكر الله عزوجل ٣٢٩

٤- الاستغفار ٣٣٠

٥- الدعاء ٣٣٠

٦- قيام الليل ٣٣١

٧- تحصين القلب من مرض الشهوة ومن وسوسة الشيطان ٣٣١

- وظيفة المدرسة نحو إحياء القلوب ٣٣٤

ثانياً : المحافظة على شخصية الإنسان ٣٤٠

١- العوامل التي تساهم في إضعاف شخصية الفرد : ٣٤١

١- الخوف ٣٤١

٢- فقدان الكرامة ٣٤٣

٣- فقدان الثقة بالناس ٣٤٤

٤- الإتكالية ٣٤٤
٢- طريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان : ٣٤٧
١- الناس سواسية ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى . ٣٤٨
٢- وجوب تكريم المسلم وتحريم كل ما كان سبباً في إذلاله أو تحقيره . ٣٤٨
٣- المحبة واجبة بين المسلمين وتحريم البغضاء وسد ذرائعها . ٣٥٢
٤- تخويف المسلم حرام والواجب نصرته . ٣٥٥
٥- الأمر بالجماعة والتعاون والنهي عن الفرقة والخلاف . ٣٥٨
٦- هدي الرسول ﷺ في غرس الثقة بالنفس ٣٦٢
- وظيفة المدرسة نحو غرس الثقة بالنفس ٣٦٥
المبحث الثاني : إصلاح ميدان العقل ٣٧٨
معوقات التفكير العلمي : ٣٧٩
١- الظن ٣٧٩
٢- الهوى ٣٨٠
٣- التقليد ٣٨١
٤- المسكرات ٣٨٢
٥- الاكراه ٣٨٢
وظيفة المدرسة نحو إصلاح ميدان العقل ٣٨٤
المبحث الثالث : تعلم العلم الشرعي ٣٩٠
المبحث الرابع : تصحيح المفاهيم ٣٩٦

تمهيد ٣٩٦
١- الاعتزاز بالدين ٣٩٧
٢- المسلم أتم عقلاً من الكافر ٣٩٩
٣- معيار صلاح مناهج الأمم ٤٠١
٤- الولاء والبراء ٤٠٨
الخاتمة ٤١٤
النتائج ٤١٨
التوصيات ٤٢٤
المصادر والمراجع ٤٢٧
المصادر ٤٢٧
المراجع ٤٢٨

الفصل التمهيدي

١- المقدمة

٢- موضوع الدراسة

٣- أهمية الدراسة

٤- تساؤلات الدراسة

٥- أهداف الدراسة

٦- حدود الدراسة

٧- منهج الدراسة

٨- مصطلحات الدراسة

٩- الدراسات السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً ، شبراً ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ! قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟** ﴾ (٢)

يواجه العالم الإسلامي تحدياً خارجياً عظيماً يهدف إلى إزالة طابعه المميز له وتشويه ذاتيته ، وصهره في بوتقة الأممية العالمية ، واحتوائه داخل تيارات الفكر الغربي .

ويواجه أيضاً تحدياً داخلياً كبيراً ، متمماً ومكملاً للتحدى السابق ، يتمثل في ظاهرة تعطيل العقل عن وظيفته ، وتقبل الآراء والأقوال دون حجة وبرهان مما ترتب عليه أثارٌ بالغة تتمثل في انتشار البدع ، وتقبل التبعية الفكرية للأمم الأخرى .

---

(١) سورة البقرة . آية (١٧٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . حديث رقم (٧٣٢٠) ج ٨ ، ص ١٩١ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ط١ - بيروت : دار الفكر ، ١٤١١هـ . ومسلم في صحيحه . حديث رقم (٢٦٦٩) ج ٤ ، ص ٢٠٥٤. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط١ - بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م ، واللفظ للبخاري

لقد أصبحت التبعية الفكرية من أبرز سمات النظم في بعض بلاد العالم الإسلامي .

فالنظم السياسية ، والاقتصادية ، والتربوية والتعليمية والإدارية ، وغيرها ملوثة في أغلبها بالتبعية الفكرية . إن لم تكن مكررة أو ممسوخة عما عند الأمم الأخرى .

لقد تخلت من الشعوب الإسلامية عن قدر كبير من نظمها الإسلامية الأصيلة وحلت محلها نظم المجتمعات الغربية أو الشرقية .

وظهرت طائفة من أبناء المسلمين ((لا يفكرون إلا بعقول غربية ، ولا يبصرون إلا بأعين غربية ، ولا يسلكون إلا الطرق التي قد مهدها لهم الغرب وقد رسخ في نفوسهم ، سواء أشعروا به أم لم يشعروا ، أن الحق هو ما عند أهل الغرب حق ، والباطل ما يعدونه باطلاً)) [1] .

لقد كان مبدأ التبعية الفكرية في البلاد التي فتحت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ عندما ظهرت دعوة عبد الله بن سبأ في مصر وبدأ يروج مذهبه ومنهجه ، وهو أن لكل نبي وصياً وخليفة ، فوصي رسول الله وخليفته ليس إلا علياً . وأن الأمة ظلمت علياً وغصبت حقه في الخلافة والولاية ، ويلزم على الجميع مناصرته ، وانتشرت دعوته في بلاد فارس وظهر أتباع لها [2] .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت تظهر الفرق الضالة وأتباعها ، ولكن قوى الحق كانت لها بالمرصاد فاستترت وتخفت فترة طويلة .

---

(١) المودودي . أبو الأعلى . نحن والحضارة الغربية . ص ١١ . ط ١ . جدة . الدار السعودية ١٤٠٤ هـ =١٩٨٣م .

(٢) احمد عبد القادر الشاذلي . حركات الغلو والتطرف في الإسلام . ص ١٨ . القاهرة . الدار المصرية للكتاب .(د . ت) .

وفي القرن الرابع الهجري تبلورت المدارس الفقهية وظهر التقليد في مجال الفقه . وبرزت ظاهرة التفلت من جهد البحث وطلب العلم ، وبرز تقبل آراء الآخرين وتقليدهم .

((إذ لم يكن معروفاً في زمن الصحابة ﷺ ولا في تابعيهم ولا تابع التابعين أنه كان رجل واحد اتخذ رجلاً من الصحابة يقلده في كل أقواله و لم يترك منها شيئاً وأسقط أقوال غيره البته ، وإنما ظهر هذا في القرن الرابع الهجري)) [1] .

واستمرت قيود التقليد والتبعية الفكرية تتضاعف على عقول المسلمين مما ترتب عليه آثار بالغة ، أهمها التخلف المستمر المصاحب لها في العلوم الشرعية والعقلية ، ومن ثم جمود وركود الحركة العلمية بوجه عام .

حتى وجد المسلمون أنفسهم – فِجأة – فِي تخلف مريع وضياع حضاري هائل فانقضت عليهم الأمم الأخرى مستغلة انحطاط الأمة للإجهاز عليها ، ونهب مغانمها .

فواجهت الأمة التحدي الكبير في تلك العصور المتأخرة المتمثلة في الهجمة الصليبية الاستعمارية .

لقد أصيبت الأمة بعقدة النقص وفقدان الثقة في ذاتها بعد أن هزمت على كافة الأصعدة ، وأصبحت عالة على الأمم الأخرى تأخذ منها الفكر والنظم كما تأخذ منها الطعام والدواء والصناعات ، وبلغت من الذل ما لم تبلغه في سالف عصرها .

---

(١) الصنعاني . محمد بن إسماعيل الأمير . إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد . ج ١ . ص ٤٠ . ط ١ . ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . الرياض . مكتبة طيبة .(د . ت) .

وأخطر الميادين التي أصيبت بالتبعية الفكرية ميدان التربية والتعليم ، وهو من الميادين التي أصابتها سهام الغزو الفكري بضراوة ((لأن العلوم الإنسانية تشكل الميدان الخصب والتربة المناسبة للغزو في حياة المسلمين لأنها بطبيعة الحال ممتدة ومتقدمة في نطاق الثقافة الغربية وأن آليتها ومناهجها ونظامها المعرفي اليوم يكاد يكون غربياً بالكامل وإننا نحن المسلمين لا نمتلك في هذا الميدان إلا القيم في الكتاب والسنه والتي تشكل لنا عواصم ومناعة ثقافية أن أحسنا التعامل معها . حيث لابد من الاعتراف أننا ما نزال نشكو فقر نظامنا التعليمي والمعرفي من آلية ومنهجية نابعة من قيمنا ومتسقة معها إلا القليل . فمن السهل جداً أن نُخترق من خلال النظام المعرفي الغربي لأن الساحة تكاد تكون شبه خالية تماماً إلا من بعض النظرات المشتتة والمتفرقة هنا وهناك لا ينظمها منهج وبالتالي لا تشكل حصانة)) [1] .

إن الطريق لتخليص الأمة من رق التبعية لابد أن يبدأ أولاً في ميدان التربية والتعليم لأنها الأداة التي يمكن عن طريقها إصلاح بقية ميادين الحياة .

لذا أصبح من المُلّح علينا البحث عن العلاج الشرعي للتبعية الفكرية في ميدان التربية والتعليم .

---

(١) أحمد عبد الرحيم السائح . في الغزو الفكري . ص١٣٠ . ط١ - قطر : سلسلة كتاب الأمة ، عدد ٣٨ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

موضوع الدراسة :

من أهم أسباب تخلف العالم الإسلامي هو التبعية الفكرية سواء للآراء والأفكار التي نشأت في العالم الإسلامي والمتمثلة في التعصب المذهبي وظهور الفرق والتعصب لها أو للآراء والمذاهب والفلسفات الوافدة من الأمم الأخرى في العصور المتأخرة مثل الاشتراكية والليبرالية والعلمانية ونحوها .

ولقد كان للتبعية الفكرية آثار سيئة على الأمة الإسلامية أبرزها : تعطيل العقل عن الإبداع والعطاء الذي انعكس بدوره على مسيرة العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية والطبيعية حيث أصابها الجمود والركود .

ومن آثارها السيئة في ميدان العلوم الشرعية انشغال المسلمين بالتعصب المذهبي الذي قد يصل في بعض الأحيان إلى حد الاقتتال، وتشير مصادر التاريخ إلى الآثار البالغة من التعصب المذهبي فيذكر ياقوت الحموي (ت : سنة ٦٢٦هـ= ١٢٢٨م) في معجم البلدان عن مدينة " أصبهان " أنه فشا الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلٌّ ولا ذمة)) [1] .

ومن الآثار الأخرى للتبعية الفكرية ظاهرة تقديس الأشخاص التي قد تصل عند بعض الفرق إلى عبادة القبور .

وكذلك إحاطة العلماء والمشايخ بهالة من القداسة والتفخيم بقصد التبرير لإتباعهم وإرهاب المخالفين لهم .

---

(١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي . معجم البلدان . ج١ ، ص٢٠٩ . ط١ - بيروت : دار الفكر (د ، ت) .

قال عبد القادر العيدروس في ثنائه على أبي حامد الغزالي : ((الإمام الغزالي رضي الله عنه عالم العلماء ، وارث الأنبياء حجة الإسلام ، حسنة الدهور والأعوام ، تاج المجتهدين سراج المتهجدين ، مقتدى الأئمة ، مبين الحل والحرمة ، زين الملة والدين الذي باهى به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ...)) [1] ، ولم يكتف بهذا الثناء والتبجيل ، وإنما أورد قصة يهدف منها إرهاب المخالفين للإمام الغزالي ، فذكر قصة الشيخ أبى الحسن علي الفقيه الذي كان يبالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين ، وأنه أمر بجمع نسخ الإحياء لإحراقها في الجامع يوم الجمعة ، ثم إنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه وضربه حد المفتري ؛ فضُرِبَ خمسة أسواط ، واستيقظ وآثار السياط في ظهره [2] .

وأصبحت التبعية الفكرية منهجاً عند بعض الطرق الصوفية حتى قال السهرودي في كتابه " عوارف المعارف " في نصحه للمريدين والأتباع : ((ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدباً بترك الاختيار حتى يترقى مع ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى !! ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ)) [3] ، وقال أيضاً : ((ويحذر الاعتراض على الشيوخ فإنه السم القاتل للمريدين ، وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ،

---

(١) عبد القادر العيدروس . تعريف الأحياء بفضائل الإحياء . ملحق مع كتاب إحياء علوم الدين . ج٥ ، ص٢ . بيروت دار الندوة ، (د. ت) .

(٢) العيدروس . تعريف الأحياء بفضل الأحياء . مرجع سابق . ج٥ ، ص٣ .

(٣) السهروردي . عوارف المعارف . ملحق مع كتاب إحياء علوم الدين . ج٥ ، ص٧٨ . بيروت : دار الندوة ، (بدون تاريخ) .

ويذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصةَ موسى مع الخضر عليه السلام)) [1] .

وحذر الإمام ابن الجوزى من خطورة التبعية الفكرية والتقليد الأعمى على دين الفرد فقال في كتابه " تلبيس إبليس " : ((وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات ، وذلك من أكثر أسباب هلاكهم ، فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف في اعتقادهم على ما نشأوا عليه من العادة ، فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه، ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ)) [2] .

ومن آثار التبعية الفكرية في ميدان التربية والتعليم : الجمود والركود الذي أصاب النظرية التربوية الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري فإذا ما تبصرنا فيما كتب من آراء ونظريات تربوية منذ ذلك القرن نجد أن كثيراً من المفكرين التربويين يرددون آراء وأفكار مَنْ سبقوهم فهذا الزرنوجي (ت :٥٩١) يؤكد على ضرورة التزام التراث ودراسة العتيق دون المحدثات وأكثر محتوى كتابه مقتبسات ونقول عن مَنْ سلفه ، وخلط بين الحقيقة والخرافة وذلك عندما قرر أن من أسباب الحفظ : ((الجد والمواظبة ، وتقليل الغذاء ، وصلاة الليل وقراءة القرآن الكريم ، والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق)) [3] ، ومن أسباب النسيان : ((المعاصي وكثرة الذنوب ، وأكل

---

(١) المرجع السابق . ج٥ ، ص٧٩ .

(٢) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . ص٤٤٥ . ط١ - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ =.

(٣) الزرنوجي . تعليم المتعلم طريق التعلم . بشرح إبراهيم بن إسماعيل . ص ٤١ . ط ١ ، القاهرة : نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي . ١٣٤٢هـ

الكزبرة وأكل التفاح الحامض ، والنظر إلى المصلوب وقراءة لوح القبور ، وإلقاء القمل الحي على الأرض)) [1] .

وكذلك ابن جماعة (ت : ٧٣٣هـ) نجد أنه عندما ذكر أساليب التعليم لم يخرج عن ما اقترحه الماوردي والخطيب البغدادي في هذا المجال [2] .

لقد استمرت محتويات المنهاج وأساليب التعليم جامدة على ما ابتدعه الأوائل وإن كانت تلك الأساليب والآراء قد حققت أهدافها في عصرها ، إلا أن جمود المتأخرين عليها وعدم مساهمتهم في ابتداع وسائل ملائمة ، واقتراح محتويات جديدة للمنهاج أدى إلى جمود النظرية التربوية في العصور المتأخرة ، وإن كان هناك مفكرون تربويون مجتهدون إلا أن الطابع العام لمسيرة التربية والتعليم كان الركود والجمود .

ثم تبدلت صورة التبعية الفكرية في ميدان التربية والتعليم في مطلع القرن الهجري المنصرم عندما أخذت طابعاً جديداً وخطيراً وهو التقليد والتبعية للفكر التربوي الغربي .

فمنذ جاء الاحتلال الأجنبي إلى بلاد المسلمين أحضر معه منهجه التعليمي والتربوي ليصهر أبناء المسلمين في بوتقة أفكاره ، يقول زعيم المنصرين " زويمر " على جبل الزيتون في القدس سنة (١٣٥٤هـ) : ((لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من

---

(١)الزرنوجي .تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص ٤٢ . (مرجع سابق)

(٢) ماجد عرسان الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . ص١٨٩ وما بعدها . ط٢ – بيروت : دار ابن كثير ، المدينة : دار التراث ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي)) [1] .

إن من يتبصر في محتويات كتب بعض من المربين في البلاد الإسلامية يجد أن التبعية الفكرية سمة بارزة ، ففي مجال علم النفس التربوي مثلاً نجد أن كثيراً من الكتب التي تناولت نظريات التعلم ملوثة بالتبعية إن لم تكن مكررة لما كتبه المفكرون الغربيون ، فنجد أنهم يعرضون نظريات التعلم دون نقد وتمحيص فيذكرون نظرية بافلوف ، وثورنديك ، وسكنر ، وبرونر ، وبياجية وجثرى وكوهلر ... مع الإعلاء من شأنها .

ولا نعثر من خلال تلك الكتب على نظريات في التعلم ابتدعها علماء مسلمون [2] .

كذلك إذا ما استعرضنا ما كُتِبَ في ميدان تاريخ التربية نجد أن الطابع العام هو استعراض تاريخ التربية الغربية ، مع الإشارة باختصار إلى تاريخ التربية الإسلامية ، وبعضها لا يشير إلى ذلك ، ولكنهم جميعاً لا يغفلون ذكر سقراط ، وأفلاطون ، ومارتن لوثر ، وفرنسيس بيكون ، وجون لوك ، وجان جاك روسو ، وجوهان هربرت ، وفرويل ، وجون ديوى ، وذلك باعتبارهم أعلاماً في مسيرة الفكر التربوي [3] .

---

(١) علي محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق . أساليب الغزو الفكري . ص٦٣ . ط١ - القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٨م = ١٣٩٩هـ .

(٢) انظر على سبيل المثال :

١- رمزية الغريب . التعلم . ط٤ . مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١م = ١٣٩٢هـ .

٢- مصطفى محمد فطيم ، أبو العزائم الجمال . نظريات التعلم المعاصرة وتطبيقاتها التربوية . ط١ - مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م = ١٤٠٩هـ .

٣- إبراهيم وجيه محمود . التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته . ط١ - مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٦م = ١٤٠٧هـ .

(٣) انظر على سبيل المثال : =

وكذلك في ميدان فلسفة التربية نجد أن ما كُتِبَ هو تكرار واقتباس لما عند الغرب والقليل منها ينقد أو يبرز وجهة النظر الإسلامية .

قال أحد المؤلفين في فلسفة التربية بعد أن استعرض آراء ماركس وإنجلز ولينين في التربية ما يلي : ((وبعد فهذا عرض تمهيدي لآراء ماركس وأنجلز ولينين في التربية ، وهي الآراء التي شكلت التربية السوفيتية وحددت لها طريقها ومعالمها الرئيسية خلال نصف القرن ، أو أكثر الذي عاشته ، ولعله يتضح لنا من هذا العرض قيمة نظريتهم التربوية ، وأنها نظرية متكاملة جديرة بأن تأخذ مكانها في عالم التربية)) [1] .

((والمستقرئ لأحداث ووقائع التطور التربوي في العالم العربي ابتداءً من الربع الثاني من هذا القرن – الرابع عشر الهجري – لا يمكن أن يغفل عن الأثر الكبير الذي تركته الفلسفة البراجماتية على التربية العربية فكراً وتطبيقاً وذلك من خلال عدد من الرواد الأوائل للتربية في مصر مثل : إسماعيل القباني ، ومحمد فؤاد جلال وغيرهما . فقد اطلع القباني على تجارب البراجماتيين التربوية وأُعجِبَ واقتنع بها ، فبذل جهوداً ضخمة للسير على منوالها في مصر ، وبحكم موقعه في المعهد وأحياناً في السلطة التعليمية ، طير البعوث ، واستقدم الأساتذة والخبراء ، وحث تلاميذه على ترجمة بعض الكتب التي كتبها " البراجماتيون " حتى أصبح صوت هؤلاء يعلو على غيره

جامعة أم القرى – مكتبة المكرمة – عمادة شئون المكتبات ٢٨٥٧ UMM AL-QURA UNIVERSITY

= ١- سعد مرسي أحمد . تطور الفكر التربوي . ط١ – القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٣م = ١٤٠٣هـ .

٢- فخري رشيد خضر . تطور الفكر التربوي . ط١ – دار الرشيد ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

٣- سيد إبراهيم الجيار . دراسات في تاريخ الفكر التربوي . ط٤ – القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٥م =١٤٠٦هـ .

(١) سعيد إسماعيل علي وآخرون . دراسات في فلسفة التربية . ص١٧٥ . ط١ – القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨١م = ١٤٠٢هـ .

من الأصوات في ساحة التربية في مصر ، ومنها انتقل التأثير إلى مختلف البلاد العربية)) [1] .

و لم تقتصر التبعية الفكرية على ميدان التربية والتعليم بل شملت كثيراً من ميادين الحياة .

((إن الأمة الإسلامية تقع اليوم بكل موازينها الفكرية ومشاعرها الوجدانية في منطقة الجاذبية الغربية فهي مهما تحركت لا تتقلب إلا ضمن سلطان التأثر بها والالتفاف حولها)) [2] .

والمعسكر الغربي يتحكم اليوم في مقدرات الأمة الاقتصادية والعسكرية والتعليمية والإدارية والسياسية والفكرية والتربوية .

يقول جوزيف كاميللري : ((لقد اكتسبت التبعية المستمرة لأقطار العالم الثالث في النظام العالمي المعاصر صبغة مؤسساتية من خلال شبكة آليات مختلفة ثقافية وعسكرية وسياسية واقتصادية خاصة أو رسمية)) ، وقال أيضاً : ((الواقع أن الأكثرية الكبرى من شعوب العالم الثالث مازالت تعاني من تأثير الحكم الاستعماري الذي أمّن اندماجها في النظام الرأسمالي العالمي ، لكن التغلغل الرأسمالي بدلاً من أن يحقق تطوراً صناعياً لهذه المجتمعات أسهم في إفقارها وفي اضطراب اقتصادياتها)) [3] .

---

(١) المرجع السابق . ص٢٨٧ .

(٢) محمد سعيد البوطي . منهج الحضارة الإنسانية في القرآن . ص١٦٦ . ط١ - دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

(٣) جوزيف أ . كاميللري . أزمة الحضارة . ص١٠٠ . ترجمة فؤاد الخوري . سوريا ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٨٣م = ١٤٠٤هـ .

وقد ظهر في بلاد المسلمين فئة من الناس ((ترفض التراث وتحاول صهر الفكر الإسلامي في قوالب الغرب ، بمعنى تطوير الإسلام لتبرير واقع الحضارة وفسادها ومعارضتها لقوانين المجتمعات وسنن الحضارة)) [1] .

وتلك الفئة من الناس شربوا من منهل الفكر الغربي حتى الثمالة فلم يعد أحدهم يعرف طريق الخير من طريق الشر ، لقد تشربوا بالتبعية الفكرية واستندوا على وساوس وتخيلات جعلوها بزعمهم مسلمات لحركة أسموها " التحديث " في ظنهم أنها الطريق إلى النهضة والتقدم من أبرزها :

١- الافتراض بوجود علاقة خطية وسببية بين التعليم الغربي والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والاعتقاد بأن التعليم " الغربي " نافع ومفيد بالضرورة لكل الناس والأمم على اختلاف مشاربهم وتاريخهم وخصوصياتهم .

٢- الافتراض بأن مكونات المعرفة وطرق البحث في الغرب غير أيديولوجية ، وغير سياسية ومبنية على تعميمات أمبريقية علمية ، وأن نتائج هذه المعرفة عالمية قابلة للنقل المباشر لكل بيئات العالم .

٣- الافتراض بأن التحديث والرقي يأخذ اتجاهاً وخطاً واحداً وهو الذي سارت عليه دول الغرب وأمريكا ، وأن كل الدول النامية لابد وأن تسير آجلاً أو عاجلاً في ذات الخط والاتجاه .

٤- الافتراض بأن دول العالم كلها تتمتع باستقلال ذاتي تام وبأنها حرة في اختيار وتحديد مسيرتها نحو التطور)) [2] .

---

(١) أنور الجندي . كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار . ص٨ . ط١ - بيروت : مؤسسة الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

(٢) محمد عيسى فهيم . إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب . ص١٤ . ط٢ - جامعة أم القرى ، سلسلة الدراسات والبحوث التربوية رقم ٩ ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

إن تلك العقلية التابعة للغرب لاقت مبررات لدعم حججها في مجتمع ضرب الجهل والفقر والفرقة أطنابه فيه . ولاقت تلك الدعوة قبولاً لأفكارها في بلاد المسلمين .

ونحن نلمس ونشاهد في عصرنا الحاضر مدى التغير الذي حصل في هذا القرن - الخامس عشر الهجري - للمجتمع الإسلامي . حيث انتشرت المذاهب الغربية كما انتشرت الصناعات والنظم الإدارية الغربية ، وأصبح المتبصر في أحوال المسلمين والدول الأخرى ، لا يلحظ فرقاً كبيراً ، اللهم إلا الفقر والجهل والتخلف والظلم الاجتماعي ونحو ذلك من السمات المميزة لكثير من بلاد المسلمين .

ووسط ركام التبعية الفكرية تشق " الصحوة الإسلامية " طريقها بثبات ويقين بعد أن سقطت تجربة " التحديث " على المنهج الغربي وظهر للملأ بطلانها وفسادها وتهافتها .

وسمعنا صيحات الغيورين من أبناء الأمة من العلماء والمفكرين الذين نادوا بالتخلص من قيود التبعية ورقها ، والعودة بالأمة إلى أصولها إلى القرآن والسنة [1] .

لقد ظهرت كتب وأبحاث كثيرة تناولت عناصر التبعية للمعسكر الغربي وبينت تهافت نظرياتها وسخافة مسلماتها ، وأصبحت ميادين البحث الجديدة عن الاستعمار ، والعلمانية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والليبرالية ، والغزو الفكري ، والإستشراق ... ونحوها تشق طريقها إلى يد القارئ المسلم .

---

(١) من هؤلاء العلماء والمفكرين في هذا العصر : المودودي ، وسيد قطب ، ومحمد قطب ، وأبو الحسن الندوي ، وغيرهم .

وتلك الجهود الطيبة غير كافية لمعالجة التبعية الفكرية لأنها تركز على بيان مظاهرها وقد يتطرق بعضها لمعالجة تلك الظواهر ، ولكنها لا تركز على معالجة أصل هذا الانحراف ، لأن التبعية انحراف يصيب الفرد في نفسه وعقله وتفكيره فيجعله مهيئاً لقبول الآراء والأفكار وإتباع الآخرين دون حجة وبرهان .

فإن نحن عالجنا مظاهر هذا الانحراف وتركنا أصله دون علاج نكون أشبه بمن يعالج مريضاً فيقدم له مسكنات تزيل الأعراض ولا تعالج أصل المرض فما يلبث أن يعود المرض مرة أخرى . لذا فإن علاج تلك الظاهرة لا يقتصر على معالجة مظاهرها في ميادين الحياة المختلفة فقط ، بل لابد أن يركز العلاج أيضاً على أصل الانحراف ومصدره القابع في ميدان " النفس والعقل " وذلك بإعادة النفس حيث فطرتها والعقل حيث وظيفته ، ومن ثم نحصن ذلك الميدان من المؤثرات الخارجية ونحو ذلك من الأساليب . عندئذ نكون قد عالجنا أصل الانحراف مما سينعكس بدوره على كافة ميادين الحياة حيث ستزول مظاهر التبعية – بمشيئة الله – بزوال مؤثراتها من نفوس الناس وذلك من وظائف التربية . والتي أشرنا أنها لم تسلم من غبار التبعية .

لهذا فإن أول مراحل الإصلاح ومعالجة التبعية لابد أن تركز على ميدان التربية والتعليم ، فإذا نحن أصلحنا هذا الميدان فان بقية الميادين تابعة له .

والدراسة التي قام بها الباحث جعل محورها الرئيسي هو (**طريقة التربية الإسلامية في علاج التبعية الفكرية**) وطبق ذلك على ميدان التربية ، وهذا حتّم على الباحث دراسة أسباب وجود تلك الظاهرة وآثارها ومظاهرها في ميدان التربية والتعليم واكتشاف طريقة التربية الإسلامية في معالجتها .

أهمية الدراسة :

بُليت الأمة الإسلامية بالتبعية الفكرية سواء للمذاهب التي نشأت في أرضها مثل : التعصب للمذاهب والفرق ، أم للمذاهب الوافدة من الدول الأخرى إلى ديار المسلمين مثل : العلمانية ، والوجودية ، والاشتراكية ونحوها ، وترتب على هذه التبعية الفكرية أثارٌ سيئة على المجتمع الإسلامي أبرزها التخلف الحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية ، وأشار الباحث في المقدمة إلى بعض أثار التبعية الفكرية .

وحيث أن كثيراً من الكتب والدراسات التي تناولت عناصر التبعية ، أو آثارها لم تهتم بإبراز أسلوب التربية الإسلامية في معالجتها . لذا أصبحت الحاجة ماسة إلى استكشاف طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية وتحصين الفرد ضدها ، وتكمن أهمية الدراسة في الآتي :

١- أن السبب الرئيسي لتخلف المسلمين الحضاري هو تعطيل العقل عن رسالته وذلك بالاكتفاء بآراء الآخرين ، وهذه الدراسة تساهم في إعادة العقل إلى وظيفته .

٢- تبرز هذه الدراسة بعض مظاهر التبعية الفكرية في ميدان التربية .

٣- تكشف هذه الدراسة عن أسباب وعوامل نشوء التبعية الفكرية .

٤- أن المستقرئ في مسيرة الحركة العلمية الإسلامية يجد أن هناك علاقة بين انتشار ظاهرة التبعية ، وركود الحركة العلمية ، وهذه الدراسة تساهم في البحث عن أهم أسباب ركود الحركة العلمية وهي التبعية الفكرية والتفلت من جهد البحث .

٥- تسهم هذه الدراسة في وضع لبنة في طريق عودة الأمة الإسلامية إلى الصدارة والريادة .

٦- استكشاف طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية .

تساؤلات الدراسة :

الموضوع يحتاج إلى تشخيص ثم علاج لذلك فالدراسة تطرح تساؤلين رئيسيين وهما :

- ما هي التبعية الفكرية في التربية ؟ وما هي طرق معالجتها ؟

ويتفرع عنهما عدة تساؤلات فرعية هي :

١- ما أسباب التبعية الفكرية ؟

٢- ما معايير التبعية الفكرية ؟

٣- ما مظاهرها وآثارها في ميدان التربية والتعليم ؟

٤- ما هي طريقة التربية الإسلامية في معالجتها ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى مايلي :

١- التعريف بمفهوم التبعية الفكرية وابراز معاييرها .

٢- التعرف على عوامل وأسباب ظاهرة التبعية الفكرية .

٣- توضيح آثار الظاهرة على المجتمع الإسلامي في ميدان التربية والتعليم

٤- الكشف عن طريقة التربية الإسلامية في معالجتها .

حدود الدراسة :

التبعية الفكرية واسعة فقد شملت كثيراً من ميادين الحياة ويقتصر الباحث في دراسته عن التبعية الفكرية في الموضوعات التالية :

١- مفهومها ومعاييرها .

٢- أسباب التبعية وآثارها في ميدان التربية والتعليم .

٣-تطبيق معايير التبعية الفكرية على كتاب : محمد منير مرسي أصول التربية الثقافية والفلسفية (١٩٨٥م) .

٤-طريقة التربية الإسلامية في معالجتها .

ويمكن تحديد المصادر التي اعتمد عليها الباحث فنكتفي هنا بتحديد مصادر السنة وهي الكتب الستة : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الترمذي سنن ابن ماجة ، سنن أبي داود سنن النسائي .

منهج الدراسة :

١- المنهج الوصفي

((يقوم المنهج الوصفي بوصف ما هو كائن وتفسيره ويهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الواقع ، كما يهتم أيضاً بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة ، والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها في النمو والتطور)) [(١)] .

والباحث استخدم هذا المنهج في بحثه عن أسباب وعوامل وجود ظاهرة التبعية الفكرية ، إذ أنه قام بجمع المعلومات حول تلك الظاهرة وحاول أن يكتشف أسبابها ، وآثارها على المجتمع .

٢- المنهج الاستنباطي :

((المنهج الاستنباطي يقوم فيه الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة كذلك هو مطالب بإدراك الحقائق الجزئية التي يتضمنها النص وإدراك العلاقات القائمة بينها)) [(٢)] .

---

(١) جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ص١٣٤ . ط١ - القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٩٠م = ١٤١١هـ .

(٢) حلمي محمد فوده ، عبد الرحمن صالح عبد الله . المرشد في كتابة الأبحاث . ص ٤٢ . ط ٦ . جدة : دار الشروق . ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .

والباحث استخدم هذا المنهج في بحثه عند قيامه باستنباط طريقة التربية الإسلامية لمعالجة تلك الظاهرة من مصدريها الأساسيين القرآن الكريم والسنة المطهرة حيث قام الباحث بجمع الآيات والأحاديث المتعلقة بموضوع البحث ، ثم استعرض تلك الآيات عن طريق مراجعتها في كتب التفسير لفهمها وكذلك استعرض الأحاديث النبوية الشريفة عن طريق مراجعة شرحها في كتب شروح الحديث ، بهدف استنباط طريقة التربية الإسلامية في معالجة تلك الظاهرة موضوع البحث .

مصطلحات الدراسة

التبعية : مشتقة من فعل تبع قال ابن منظور : تبعت الشيء سرت في أثره، وتبعت القوم تبعاً وتباعة بالفتح إذا مشيت خلفهم . واتبع القرآن ائتم به وعمل بما فيه [1] .

وعند الأصوليين : الإتباع : هو العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع وغيرها من الأدلة [2] .

فالإتباع في الدين لا يكون إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن اتبع غيرهما فهو ضال ودينه باطل .

قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [3] .

---

(١) ابن منظور . لسان العرب . تحقيق عبدالله الكبير وآخرون . ج ١ . ص ٤١٦ ، القاهرة : دار المعارف . (د . ت) .

(٢) عبد الله عمر الشنقيطي . التقليد في الشريعة الإسلامية . ص ٢٢ . ط ١ . المدينة المنورة : دار البخاري للنشر ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م .

(٣) سورة الأعراف آية (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

ويقابل الإتباع عند الأصوليين التقليد :

والتقليد : هو الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله (٢) .

الفكرية : مشتقة من فكر

قال ابن منظور الفكرُ : هو إعمال الخاطر في الشيء ، وقال الجوهري : التفكر التأمل (٣) .

((والتفكير هو عمل العقل الذي يقوم فيه بترتيب المفاهيم والتصورات في سبيل تحديد موقف معين ، أو اتخاذ قرار محدد تجاه قضية ، أو أمر ، أو مشكلة تواجهه)) (٤) .

فالتفكير يكون بالتأمل في الشيء ، ثم استنتاج أو استنباط دليل أو قانون يبين علاقة الأشياء بعضها ببعض ، وكذلك إعمال الفكر في مشكلة أو موضوع بهدف استنتاج أسبابها أو آثارها .

التبعية الفكرية :

تنقسم التبعية الفكرية إلى قسمين :

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٢) عبد الله عمر الشنقيطي . التقليد في الشريعة الإسلامية . مرجع سابق . ص ٢٢ .

(٣) ابن منظور . لسان العرب . ج ٥ . ص ٣٤٥١ . مرجع سابق

(٤) نايف حامد همام الشريف . التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي . ص ٢٥ . رسالة دكتوراة غير منشورة . جامعة أم القرى . كلية التربية . ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

الأول : التبعية الفكرية المحمودة :

وهي في الدين : اتباع الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

ومن عمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع وغيرها من الأدلة فهو متبع لله ورسوله .

وتكون التبعية الفكرية المحمودة في أمور الدنيا : بإتباع الدليل المبني على حجة وبرهان . مثل إتباع النظريات العلمية المبنية على التجربة ونحو ذلك من البراهين

الثاني : التبعية الفكرية المذمومة :

وهي في الدين : إتباع الآخرين بتقليدهم في عقائدهم لا سيما المخالفة للقرآن والسنة .

والتبعية الفكرية المذمومة درجات من حيث قربها وبعدها من الحق ، وأشدها ضرراً إتباع العقائد الوافدة المخالفة للقرآن والسنة مثل الشيوعية ونحوها .

---

(١) سورة الأعراف . آية (٣) .

(٢) سورة آل عمران . آية (٣١) .

الدراسات السابقة :

لم يعثر الباحث على دراسة تتحدث عن موضوع البحث الذي يقوم بدراسته ، وذلك بعد أن رجع إلى دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وكذلك مدينة الملك عبد العزيز الوطنية للعلوم والتكنولوجيا ، لكنه عثر على عدة كتب ودراسات تتحدث عن بعض جوانب التبعية الفكرية .

لذا أراد الباحث استعراض بعض ما كتب حول الموضوع ، وحيث أن التبعية الفكرية في الأصل جاءت نتيجة تعطيل العقل عن وظيفته لذا فهي ترتبط بالتربية العقلية والتفكير العلمي .

وتنقسم التبعية الفكرية إلى قسمين ، قسم يتعلق بالتبعية الفكرية للمذاهب الدينية التي نشأت في البلاد الإسلامية ومثالها : الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة وإتباع الطرق الصوفية ونحوها ، وكذلك إتباع أصحاب البدع والأهواء ، ويدخل ضمنها أيضاً أولئك المتعصبون من أصحاب المذاهب الفقهية الذين قد يقدمون قول إمام مذهبهم أو مشايخهم على قول الله ورسوله ﷺ بعد قيام الحجة عليهم ، وهذه ليست موضوع بحثنا .

والقسم الآخر يتعلق بالتبعية الفكرية للمذاهب الوافدة لبلاد المسلمين مثل إتباع الشيوعية ، والعلمانية والاشتراكية ، ونحوها .

وحيث أن هذه الأخيرة ثمرة من ثمرات الاحتلال الأجنبي والتنصير ، والاستشراق ، والغزو الفكري والغزو الحضاري ونحو ذلك من أساليب الغزو التي استخدمتها الأمم الأخرى ضد المسلمين لإخضاعهم لنفوذها ولصهرهم في بوتقة أفكارهم وعقائدهم ليكونوا أتباعاً لها ، أن الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع يمكن أن نصنفها إلى قسمين :-

القسم الأول :

الدراسات التي بحثت في التربية العقلية والتفكير العلمي فهي وإن كانت ترتبط بموضوع الدراسة إلا أن الدراسات التي اطلع عليها الباحث لم يجد فيها من ركَّز على التبعية الفكرية بشكل عام وكشف عن طريقة التربية الإسلامية في معالجتها ، ومن هذا النوع من الدراسات :

١- التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي :

رسالة دكتوارة من إعداد نايف بن حامد بن همام الشريف مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القوى عام ١٤١١هـ .

تضمنت الدراسة تمهيداً وأربعة فصول :

الفصل الأول : في التفكير ، وأنواعه ، ومعوقاته ومن أبرزها : الأسطورة والخرافة ، والخضوع للسلطة وإنكار قدرة العقل ، والتعصب وسيطرة العاطفة والإعلام المضلل .

وبحث فيه أيضاً ضمانات ، وضوابط التفكير العلمي .

الفصل الثاني : إشكالية التفكير العلمي في بعض الفلسفات الغربية :

تضمن هذا الفصل الفلسفة المثالية والتفكير العلمي ، والفلسفة الطبعية والتفكير العلمي ، والبراجماتية والتفكير العلمي .

الفصل الثالث : التفكير العلمي ومحدداته من المنظور الإسلامي ، تناول فيه مفهوم التفكير العلمي وضرورته في الإسلام ، وخصائص وغايات التفكير العلمي ومصدره وأدواته ومجالاته ، وضوابطه وضماناته وبعض أساليبه .

الفصل الرابع : التربية الإسلامية وتنمية التفكير العلمي ، عرض فيه أهداف التربية الإسلامية وتنمية التفكير العلمي ، وطبيعة الأهداف التربوية وأهميتها ومصادر اشتقاقها ومستوياتها وخصائصها .

وبحث فيه أيضاً " المحتوى " في التربية الإسلامية وتنمية التفكير العلمي ، كما ناقش فيه أهمية المحتوى وماهيته ، والمفهوم القديم والحديث للمنهج الدراسي ، ومكونات المحتوى التربوي والتفكير العلمي .

وبحث خلال هذا الفصل أيضاً " الطريقة " ناقش فيه الطريقة وأهميتها ، وسمات الطريقة وتنمية التفكير العلمي ، والتقويم وأثره في نجاح الطريقة وتنمية التفكير العلمي .

ومن أهم نتائج الدراسة :

١- أن المفهوم الصحيح للتفكير العلمي شامل ومتكامل لجميع مجالات الحياة وجوانب المعرفة ، ويتطلب ضمانات وضوابط ليكون فعالا .

٢- أن مفهوم التفكير العلمي في الإسلام شامل ومتكامل لأن مصدره الوحي الإلهي .

ومن أبرز التوصيات :

١- أن ينظر إلى التفكير العلمي نظرة اهتمام بالغ ، وأن تعمل كافة المؤسسات الاجتماعية والتربوية ، في المجتمع على توضيحه والتوصية بممارسته في كافة مجالات العلم والمعرفة والحياة .

٢- العمل على إيجاد مساق تربوي في شكل منهج دراسي يهدف إلى توضيح مفهوم التفكير العلمي ومعاييره وضوابطه .

٣- إعادة النظر في صياغة المقررات الدراسية واستخدام الوسائل التعليمية وأساليب التقويم بما يكفل مساهمتها بفعالية قوية في تنمية التفكير العلمي

الفرق بين دراسة الباحث وهذه الدراسة :

اتضح لنا من استعراض فصول الدراسة أن الباحث جعل التفكير العلمي محور الدراسة و لم يناقش قضية التبعية الفكرية . ويستفيد الباحث من هذه الدراسة

عند الحديث عن علاج التبعية الفكرية .

٢- التربية العقلية في القرآن الكريم :

رسالة ماجستير من إعداد هدى عبد الرحيم ميمني مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ .

تضمنت الدراسة فصلاً تمهيدياً ، وثلاثة أبواب

الباب الأول :

تحدثت فيه الباحثة عن طبيعة الإنسان كما يصورها القرآن الكريم وتضمن هذا الباب فصلين :

الفصل الأول : مكانة الإنسان في هذا الكون والحكمة من خلقه .

الفصل الثاني : خصائص الإنسان الروحية والجسمية والنفسية .

الباب الثاني :

تحدثت فيه عن العقل الإنساني في القرآن الكريم وتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ناقشت فيه الباحثه المفهوم الإسلامي للعقل في القرآن والسنة وعند بعض العلماء مثل الكندى ، والفارابي ، وإخوان الصفا، وابن سينا وابن حزم ...

الفصل الثاني : عرضت الباحثة فيه العمليات العقلية في القرآن الكريم ومرادفات العقل مثل : النُّهى ، اللُّب ، والحِلْم ... ، كما تناولت فيه وظائف العقل مثل التفكير والتدبر ، والتذكر ، والتفقه ، والتعليم .

الفصل الثالث : منهج القرآن في تربية العقل ناقشت فيه تحرير العقل من سائر القيود والاغلال ، وإثارة الحواس والوجدان ، والحث على العلم والتزود من العلوم المختلفة التي تزكي العقل .

الباب الثالث :

الجانب التطبيقي لمنهج القرآن الكريم في تربية العقل وذلك في فصلين :

الفصل الأول : بحثت فيه "طرق حماية العقل " مثل : حماية العقل من الخمر ومن الغزو الفكري والمبادئ الهدامة مثل العلمانية والعقلانية والقومية .

الفصل الثاني : تناولت الباحثة فيه " دور المؤسسات التربوية في تربية العقل " مثل : المنزل ، المدرسة ، والمسجد ، ووسائل الأعلام ، وتوصلت الباحثة إلى نتائج من ابرز نتائج الدراسة هي :-

١- تقدير الإسلام للعقل واعتباره مناط المسؤولية .

٢- وردت في القرآن الكريم بعض العمليات العقلية التي تبين مجال فعل العقل مثل التفكير والنسيان والاعتبار والاستنباط .

٣- حث القرآن على استخدام العقل للتأمل في ملكوت الكون .

الفرق بين دراسة الباحث وهذه الدراسة :

هذه الدراسة ركزت على جانب التربية العقلية ، ولم تجعل محورها قضية التبعية الفكرية كما أنها لم تبرز طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية ولم تقدم تصورا لوظيفة المدرسة في معالجتها ، ويستفيد الباحث من هذه الدراسة عند الحديث عن علاج التبعية الفكرية .

القسم الثاني :

الدراسات التي بحثت في القضايا المرتبطة بالتبعية الفكرية الوافدة وهي كثيرة ومتنوعة ، بعضها يبحث في الغزو الفكري ، والحضاري ، والاحتلال الأجنبي والتنصير ، والعلمانية ، والاشتراكية ، والشيوعية ، والليبرالية ، والقومية ، والتغريب ، والتحديث ونحو ذلك [1] .

---

(١) ومثال تلك الدراسات ما يلي :-

أ- عماد الدين خليل . تهافت العلمانية . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . =

وبعضها يتناول واقع المسلمين والتحديات المعاصرة وقد يعرض إلى بعض مظاهر التبعية باعتبارها إحدى التحديات [1] .

لكن تلك الدراسات في طابعها العام لا تبحث في قضية التبعية الفكرية بشكل خاص بحيث تجعل منها محوراً لها فتناقش خلالها أسبابها وطريقة التربية الإسلامية في معالجتها ، لذا لم يعتبرها الباحث دراسات سابقة لكن هي دراسات ذات صلة بالموضوع وهذه الدراسات كثيرة ومتنوعة لأن التبعية تغلغلت في كثير من أوجه معالم الحياة المعاصرة ، فقد دخلت إلى السياسة ، والاقتصاد ، والتربية والتعليم ، والإدارة ، والأدب ، والفن ، والحياة الاجتماعية بشكل عام [2] ، وسنقتصر على بيان مثال من تلك الدراسات في ميدان التربية والتعليم .

أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي

رسالة ماجستير من إعداد محمد عبد العزيز السديس ، مقدمة إلى كلية التربية، بجامعة أم القرى عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ تضمنت هذه الدراسة بابين رئيسين :

الباب الأول : تحدث فيه عن عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي والإسلامي .

= ب- أحمد عبد الرحيم السائح . في الغزو الفكري . سلسلة كتاب الدعوة ، عدد ٣٨ ، ط١ . قطر ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

(١) ومثال تلك الدراسات :-

أبو الأعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية . ط١ . جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

(٢) ومثال تلك الدراسات :-

يوسف القرضاوي . الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . ط٥ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٩٢م .

وأشار إلى أن أهم عوامل نشوء العلمانية في الغرب هي تحريف النصرانية والبدع التي استحدثها رجال الكنيسة وطغيان رجال الكنيسة ، وفرضية التطور .

ومن ثم استعرض عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي وقسمها إلى قسمين : عوامل داخلية تشمل الانحراف الذاتي للمسلمين والمفكرين الذين نقلوا العلمانية إلى بلاد المسلمين ، وعوامل خارجية : تتمثل في قوى الاستعباد وتشمل التبشير والاستشراق .

الباب الثاني : أثر العلمانية في المجال التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي

استعرض خلاله الأفكار والمذاهب التربوية التي أثرت في التربية والتعليم ، مثل : المذهب البراجماتي ، والمذهب الوضعي المنطقي ، وناقش من خلال ذلك نماذج من أفكار التربويين المتأثرين بالعلمانية من خلال كتبهم ، وبعد ذلك تحدث عن أثر العلمانية في التعليم الرسمي كما أنه عرض فيه للجهود الفكرية والعملية التي بذلت " لعلمنة التعليم " منذ عهد الاستعمار إلى ما بعد الاستقلال .

خاتمة الرسالة :

ناقش فيها ثلاث مسائل :

- هل يوجد لدى دعاة العلمانية أي مبرر لدعواتهم ؟
- حكم الدعوة إلى العلمانية في العالم الإسلامي ؟
- كيف السبيل للتخلص من العلمانية ؟

اقترح فيه مجموعة من النقاط للتخلص من العلمانية ، أهمها محاربة الخرافات العقيدة ، وضرورة أن يقوم علماء المسلمين ببيان خطأ الأفكار التي دعا إليها

المستغربون ، وأن تعود الحكومات في العالم الإسلامي إلى اتخاذ شريعة الله منهجاً لها .

وأما في مجال التربية والتعليم فلابد من أن تتضمن المناهج روح الولاء للإسلام والبراءة من كل مبدأ يخالفه ، وإعادة صياغة العلوم الاجتماعية والطبيعية صياغة إسلامية ، وإعداد المعلم الصالح ، وإعطاء المواد الشرعية نصيبها المناسب ، وضرورة إلغاء التعليم المختلط ، وعدم السماح بفتح المدارس والجامعات غير الإسلامية .

الفرق بين دراسة الباحث وهذه الدراسة :

أن هذه الدراسة محورها الرئيسي هو العلمانية وأثرها في التربية والتعليم في العالم الإسلامي .

والدراسة التي سوف يقوم بها الباحث محورها " التبعية الفكرية " بشكل عام كانحراف له أسباب وآثار ، وله علاج في التربية الإسلامية ، ويستفيد الباحث من هذه الدراسة عند الحديث عن أسباب التبعية الفكرية .

الفصل الأول

التبعية الفكرية

أنواعها – أسبابها – آثارها

المبحث الأول : أنواع التبعية الفكرية :

أولاً : التبعية الفكرية المحمودة

ثانياً : التبعية الفكرية المذمومة

المبحث الثاني : أسباب التبعية الفكرية :

أولاً : الأسباب الداخلية

ثانياً : الأسباب الخارجية

المبحث الثالث : آثار التبعية الفكرية

أولاً : آثار التبعية الفكرية الداخلية

ثانياً : آثار التبعية الفكرية الخارجية

المبحث الأول : أنواع التبعية الفكرية:

تنقسم التبعية إلى نوعين : محمود ومذموم .

أولاً : التبعية المحمودة :

١- إتباع القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ :

قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

---

(١) سورة الأعراف ، أية (٣) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٣) سورة الأنعام ، آية (١٥٣) .

(٤) سورة يوسف ، آية (١٠٨) .

(٥) سورة النساء ، آية (٥٩) .

أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

فالواجب على كل فرد إتباع الله ورسوله ، ويشمل هذا الإتباع أحكام الشريعة الإسلامية المتضمنة في القرآن الكريم والسنة المطهرة من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وآداب ، ولا يسع لأي فرد مخالفة ما جاء في القرآن أو السنة من أحكام ، فالمفروض على المسلم أن يجتهد في معرفة ما أنزل الله من أحكام في القرآن وما شرع لنبيه محمد ﷺ ، وإذا نزلت به نازلة وأراد معرفة حكمها فعليه الرجوع إلى القرآن والسنة واستنباط حكم الله في ذلك هذا إن كان يملك آلة الاجتهاد (٢) ، وان كان لا يستطيع الاجتهاد فإنه يسأل أهل الذكر . قال تعالى : ﴿ فَاسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وهذا من الإتباع ، فإن تقليد أهل الذكر من العلماء لمن لا يستطيع الاجتهاد هو طاعة لله عز وجل واتباع لأمره .

أما من يستطيع الاجتهاد واستنباط الأحكام من مصادرها فلا يجوز له تقليد غيره ، إلا إذا خشي فوات الوقت فتضيع فرصة امتثال الأمر أو اجتناب النهي (٤) .

---

(١) سورة القصص ، آية (٥٠) .

(٢) وهي شروط الاجتهاد وقد فصلها الفقهاء في كتب أصول الفقه ، انظر على سبيل المثال محمد زكريا البرديسي ، أصول الفقه ، ص ٤٦٧ ، ط١ ، القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د . ت) .

(٣) سورة الأنبياء ، آية (٧) .

(٤) انظر عبد الله الشنقيطي ، التقليد في الشريعة ، رسالة ماجستير مطبوعة ، ص ١١٧ ط١ ، المدينة المنورة : نشر دار البخاري ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٢- إتباع الهدي الظاهر للأمة الإسلامية [١]

تميزت الأمة الإسلامية عن الأمم الأخرى في عقيدتها وشريعتها . فشعار عقيدتها التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [٣] ، وكذلك تميزت شريعتها عن الشرائع الأخرى ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [٤] ، وتلك الشرائع تشمل العبادات من صلاة وصيام وحج ومعاملات مثل أحكام البيع والشراء ، وما يخص الأسرة من نكاح وطلاق ، ووصايا ومواريث ، ونحو ذلك . أيضاً تميزت بهدي ظاهر في كافة شؤون حياتها من ذلك الآداب الشرعية ، مثل آداب اللباس ، " والحجاب " ، وآداب الأكل والشرب ، وآداب الحديث ، وآداب السلام ، وآداب اللعب ، وآداب المزاح ، وآداب

---

(١) وإن كان هذا القسم من التبعية المحمودة تابعاً للقسم الأول إلا إنا رأينا استقلاله بهدف تركيز الضوء عليه لمباينة " التشبه بالكفار " كأحد أنواع التبعية المذمومة وكل هذا التفصيل والتنويع من أجل أن يساعدنا في صياغة معايير التبعية الفكرية لمنع اللبس والاختلاط ، لأن هناك من يلتزم بالعقائد والشرائع الإسلامية لكنه يتشبه بالأمم الأخرى ، ولا يلتزم بالهدي الظاهر للأمة الإسلامية ، فآثر الباحث التنويع لذلك و" الهدي الظاهر للأمة " يشمل آداب شرعية ، جاء بها الإسلام وعادات وتقاليد ورثت من العرب وأقرها مثل اللغة واللبس ونحو ذلك حتى أصبحت بحمل تلك الآداب والعادات تمثل الهدي الظاهر للأمة الإسلامية ، فأصبح من دخل في الإسلام من غير العرب وجب عليه أن يلتزم بهذا الهدي الظاهر ، بعض ذلك واجب عليه وهي التي نص عليها وكانت أحكامها واجبة مثل إقامة الأعياد ، والأذان ، وبعضها سنة ، وبعضها مستحب مثل آداب الأكل والحديث ، ونحوها .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٦٣) .

(٣) سورة الإخلاص .

(٤) سورة المائدة ، آية (٤٨) .

الطهارة ، وآداب الرجل مع والده وأمه ، وزوجته وأولاده ، ومع جيرانه ، ومع الناس عامة ، ونحو ذلك من الآداب الشرعية التي ميزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم .

وكذلك لها مظاهر اجتماعية مثل الأعياد ، والأذان ، وبناء المساجد ، والكلام واللغة العربية ونحو ذلك .

إن هذا الهدي الظاهر هو ما يميز شخصية الأمة الإسلامية عن الأمم الأخرى في المظاهر الاجتماعية المميزة ، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يعلل بعض الأحكام بمخالفة ما عليه اليهود والنصارى والمشركين عامة ، من ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود** ﴾ (١) ، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ **خالِفُوا المُشرِكيْن ووفروا اللحى ، وأحفوا الشوارب** ﴾ (٢) ، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ﴿ **خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم** ﴾ (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ **لا يزالُ الدينُ ظاهراً ما عجَّل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤُخّرون** ﴾ (٤) .

---

(١) رواه الترمذي ، حديث رقم (١٨٠٥) ، ج٣، ص١٤٤ ، وقال حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، وأحمد في المسند ، حديث رقم (٤٩٩) ، ج٢ ، ص٢٦١ واللفظ للترمذي .

(٢) البخاري . حديث رقم (٥٨٩٢) ، كتاب اللباس ج٤ ، واللفظ له . ومسلم حديث رقم (٢٥٩) ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) أبو داود . حديث رقم (٦٥٢) ، واللفظ له . ج١ ، ص ١٧٦ . والحاكم في المستدرك , طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م . وفي ذيله تلخيص المستدرك للإمام الذهبي ، ج١ ، ص ٢٦٠ . وقال الحكم صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) أبو داود . حديث رقم (٢٣٥٣) ، ج٢ ، ص٣٠٥ . (كتاب الصوم) . وأحمد في المسند .ج٢ ، ص٤٥٠ . والحاكم في المستدرك .ج١ ، ص٤٣١ . وقال صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن ماجه " السنن " تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، حديث رقم (١٦٩٨) ، ج١ ، ص ٥٤٢ .كتاب الصيام بيروت : دار الفكر ، ط١ . (د . ت) .

كذلك حث الرسول ﷺ على مخالفة لبس الكفار ، فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصْفَرين فقال : ﴿ **إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها** ﴾ [1] .

وفي الأعياد : ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ﴿ **ما هذان اليومان ؟** ﴾ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما : يوم الأضحى ، يوم الفطر** ﴾ [2] ، ومن ذلك أيضاً ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضتِ المرأةُ فيهم ، لم يُؤَاكِلُوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحابُ النبيِّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ . . . ﴾ الآية [3] فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **اصنعوا كل شيء إلا النكاح** ﴾ فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه [4] ، فهذا دليل على كثرة ما خالف رسول الله ﷺ اليهود في أمورهم .

---

(١) مسلم . حديث رقم (٢٠٧٧) ، ج٣ ص١٦٤٧ . كتاب اللباس والزينة . وأحمد . ج٢ ، ١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢١١ .

(٢) رواه أبو داود في السنن . حديث رقم (١١٣٤) ، ج١ ص٢٩٥ كتاب الصلاة ، واللفظ له . والنسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، ج٢ ص ١٧٩ كتاب صلاة العيدين ، بيروت : دار القلم .

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) .

(٤) رواه مسلم ، حديث رقم (٣٠٣) كتاب الحيض ج١ ص٢٤٦ . وأبو داود حديث رقم (٢٥٨) كتاب الطهارة ج١ ص٦٧ . والترمذي ، ج٤ ص٢٨٣ أبواب تفسير القرآن . وقال حديث حسن صحيح . وأحمد ج٣ ص١٣٢ .

بل حذر الرسول أمته من التشبه بالأمم الأخرى فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **من تشبه بقوم فهو منهم** ﴾ [1] وعلى ذلك نهج أصحاب الرسول ﷺ فقد كانت سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذا الشأن واضحة ، من ذلك ما رواه أبو عثمان النهدي قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونحن بأذربيجان : ((يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير)) [2] .

ومن ذلك شروط عمر رضي الله عنه على أهل الذمة ، ومن تلك الشروط : ((أن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم ، قلنسوة أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نكتني بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نحمله ، ولا ننقش خواتمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زيّنا حيثما كنّا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصلب على كنائسنا ، ولا نظهر صليباً ولا كتاباً من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً)) [3] ، قال شيخ الإسلام تعليقاً على هذا الحديث : ((وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه

---

(١) رواه أبو داود حديث رقم (٤٠٣١) من كتاب اللباس باب في لبس الشهرة . وأحمد ج٢ ص٥٠ ، ص٩٢ . وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٨٠ إسناده جيد .

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٠٦٩) ج٣ ص١٦٤٢ كتاب الباس والزينة . وأحمد ج١ ص١٦ .

(٣) ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم . ص١٢١ - جدة : دار المدني ط١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م . وانظر لمزيد من التوسع :

=

والعلم ، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة ، وهي أصناف :

الصنف الأول : ما مقصوده التميّز عن المسلمين في الشعور ، واللباس والأسماء ، والمراكب ، والكلام ، ونحوها ليتميَّز المسلم من الكافر ولا يشبه أحدهما بالآخر في الظاهر ، ولم يرض عمر ﷺ والمسلمون بأصل التمييز بل بالتمييز في عامة الهدي ، وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميّز عن الكفار ظاهراً وترك التشبه بهم)) [1] ، إن هذا يدل على أن للمسلمين هدياً ظاهراً واجباً على المسلم أن يتبع هذا الهدي الذي يميز المسلم عن غيره ، وهذا من التبعية المحمودة .

٣- إتباع الدليل من تجربة وبرهان في أمور الدنيا :

عندما حث الإسلام على استخدام السمع والبصر والفؤاد عند التأمل في ملكوت السماوات والأرض ومعرفة الخالق ، والتحقق من صدق نبوة محمد ﷺ ، والاعتبار بمصير الأمم التي كذبت الرسل ، كان بفعله هذا كوَّن العقلية العلمية التي لا تقبل كل ما سمعته بل تطلب البرهان والدليل ، ثم تتبع الحق قال تعالى : ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَـهٌ

ابن قيم الجوزية . شرح الشروط العمرية . بتحقيق صبحي صالح . ط٢ - بيروت : دارا لعلم للملايين ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م . وقد أخرج ابن القيم أسانيد تلك الشروط ثم قال : ((وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها ، فإن الأمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ، ولم يزل ذكر الشروط العُمرية على ألسنتهم وفي كتبهم وقد أنفذها بعده الخلفاء ، وعملوا بموجبها)) ص ٧-٨ والكتاب نفيس في بابه .

(١) ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم . المرجع السابق ، ص ١٢١ .

مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] ، إن في هذه الآية أمراً بعدم قبول أي دعوى بدون برهان من دليل عقلي أو تجربة أو مشاهدة .

وقد ذم الله عز وجل الذين يتبعون آبائهم وأسيادهم وكبرائهم دون دليل وحجة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [3] ، وقال تعالى مطالباً الكفار بالدليل ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى محذراً من القول دون علم : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ [5] .

---

(١) سورة النمل . آية (٦٤) .

(٢) سورة البقرة . آية (١٧٠) .

(٣) سورة لقمان . آية (٢١) .

(٤) سورة الأحقاف ، آية (٤-٥) .

(٥) سورة الإسراء ، آية (٣٦) .

وحث الله عز وجل على استخدام مصادر المعرفة من السمع والبصر والفؤاد ((فالكتاب المبين يثير طاقة العقل الإنساني ، ويوجهه إلى المشاهدة والملاحظة ، والإدراك لشتى ظواهر الكون الواضحة لكل ذي عينين ، ونواميسه المعجزة التي يسبر غورها أهل العلم بالبحث والتدبر)) [1] ، قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [2] .

وحث أيضاً على التدبر في السنن الاجتماعية ، قال تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [3] ، إن في ذلك حثاً على إتباع البرهان ، سواء كان نظرياً أم حسياً مبنياً على التجربة أو المشاهدة .

وفي سيرة الرسول ﷺ أدلة كثيرة على الحث على إتباع البرهان والدليل من تجربة وغيرها ، فقد خرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يُلقحون ، فقال : (**لو لم تفعلوا لصلح**) قال : فخرج شيصاً ، فمرَّ بهم فقال (**ما لنخلكم ؟**) قالوا : قلت كذا وكذا ، قال :(**أنتم أعلم بأمور**

---

(١) عثمان محمد فتحي . القيم الحضارية في رسالة الإسلام . ص٦٦ . ط١ - جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

(٢) سورة ق ، آية (٦-٨) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (١٣٧) .

دنياكم) [1] ، وفي رواية أخرى أخرجها " مسلم " عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: (**ما يصنع هؤلاء ؟**) فقالوا : يلقحونه ، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله ﷺ :(**ما أظنُّ يغني ذلك شيئاً**) قال : فأخبروا بذلك فتركوه . فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : (**إن كان ينفعهُم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننتُ ظناً ، فلا تؤاخذني بالظنِّ ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً ، فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل**) [2] .

قال القرضاوي : ((فالقانون الذي يجب الخضوع له هنا : هو القانون الذي تنتجه الخبرة والممارسة أو المشاهدة والتجربة ويكفي العقل الإنساني في هذه الأمور هادياً ودليلاً)) [3] وفي هذا الحديث تنبيه لطيف إذ كان الصحابة يقتدون بالرسول ﷺ في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية ، فعندما قال لهم : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) فكأنه حثهم على اعتماد التجربة والخبرة في الأمور الدنيوية وأن هذه الأمور في مقدورهم ، وفي هذا حث على استخدام الخبرة و" التجربة " دليلاً في الأمور الدنيوية .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**) [4] ، وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهم عن أسامة بن شريك

---

(١) رواه مسلم . حديث رقم (٢٣٦٣) ، ج٤ ص١٨٣٥ ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي .

(٢) رواه مسلم . حديث رقم (٢٣٦١) ج٤ ، ص١٨٣٥ .

(٣) يوسف القرضاوي . الرسول والعلم . ص٤٩ . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

(٤) رواه البخاري . حديث رقم (٥٦٧٨) ج٤ ص١٥ ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً .

قال : أتيت النبي ﷺ وأصحابُهُ كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ههنا وههنا ، فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال : (**تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم**) [1] ، وفي هذا حث على البحث عن العلاج وكيف يتم التعرف على الدواء إلا عن طريق التجربة ، بل حمل من تطبب ولم يكن طبيباً مسؤولية ما أتلفه في المريض ، فقال ﷺ :(**من تطبَّب ولم يعلم منه طب فهو ضامن**) [2]، ففي هذا الحديث إشارة إلى أن من عالج مريضاً دون أن يكون من أهل الخبرة في ذلك فهو ضامن ، إن في ذلك حثاً على تعلم الطب المبني على المشاهدة والخبرة وتلقي العلم عن أهل الاختصاص .

وفي المقابل شن الإسلام حملة على معوقات العلم من الأوهام والخرافات مثل : السحر والتطير والكهانة ونحوها التي تعوق البحث العلمي ولا تستند على براهين وحجج بل على ظنون وأوهام وخرافات ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ [3] ، وأخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه أبو داود . حديث رقم (٣٨٥٥) ج٤ ص٣ ، كتاب الطب باب في الرجل يتداوى . واللفظ له . والحاكم في المستدرك . ج٤ ص١٩٩ .وقال هذا حديث أسانيده صحيحة كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه . والترمذي . حديث رقم (٢١٠٩) ج٣ ص٢٥٨ كتاب الطب ، باب ما جاء في الدواء والحث عليه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وأحمد في المسند ج٤ ص١٩٨ .

(٢) رواه أبو داود . حديث رقم (٤٥٨٦) ج٤ص١٩٥ ، كتاب الديات باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت واللفظ له ، وقال أبو داود : هذا لم يروه إلا الوليد لا ندري هو صحيح أم لا . ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك . ج٤ ص٢١٢ كتاب الطب ، وقال : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٦٣٥) ج٢ : الحديث حسن .

(٣) سورة طه . آية (٦٩) .

أن رسول الله ﷺ قال : (**اجتنبوا الموبقات : الشرك بالله والسحر**) [1] ، وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**لا طيرة وخيرها الفأل**) [2] ، وأخرج مسلم عن صفية عن النبي ﷺ قال :(**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**) [3] .

إن المتبصر في القرآن وفي السنة يجد أن الإسلام وضع الأسس التي كونت العقلية العلمية التي لا تقبل إلا الدليل والبرهان سواء في أمور الآخرة " الدين" أو أمور الدنيا ، لقد انعكست هذه (الأسس) التي كونت العقلية العلمية على المسلمين ، إذ ظهرت النهضة العلمية في كافة ميادين العلوم الدينية ، والاجتماعية ، والطبيعية وخاصة في القرون الثلاثة الأولى ، كأعظم نهضة عرفتها مسيرة العلوم ، إذ قعَّدوا العلوم ووضعوا أسسها وميادينها ومناهجها وأصولها ورتبوا وهذبوا العلوم التي اقتبسوها وأضافوا وأبدعوا غيرها حتى أصبحت المدن الإسلامية منارة للعلوم استمرت أكثر من عشرة قرون ، حتى ورثتها عنهم الأمم " الغربية " وأضافوا لها ما أضافوه ، ووجدوا فيها النفع والقوة فسادوا العالم كما هو مشاهد الآن ، وأصبح أساتذة الأمس تلامذة اليوم . إن إتباع الدليل سواء كان عقلياً أو حسياً هو من التبعية المحمودة التي حث عليها الإسلام .

---

(١) رواه البخاري . حديث رقم (٥٧٦٤) ج٧ ص٣٧ ، كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات .

(٢) البخاري . حديث رقم (٥٧٥٤) ج٧ ص٣٤ . كتاب الطب باب الطيرة .

(٣) رواه مسلم . حديث رقم (٢٢٣٠) ج٤ ص١٧٥١ ، كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

ثانياً : التبعية الفكرية المذمومة

القسم الأول : التبعية الفكرية الخارجية

النوع الأول : التبعية الفكرية في ميدان " العقيدة والشريعة "

إتباع الأمم الأخرى في عقائدها وشرائعها المخالفة للإسلام .

١- في العقيدة :

إن من اتبع الكفار من أهل الكتاب أو المشركين عامة في أي عقيدة مخالفة لما جاء في القرآن والسنة من العقائد المعلومة بالدين بالضرورة ، مثل : إنكار البعث ، أو نبوة محمد ﷺ ، أو صفات الله عز وجل ، أو أن الكون مخلوق ، أو إنكار الموازين ، والصراط ، وعذاب القبر ، والملائكة ، ونحو ذلك فهو مرتد كافر متبع لهواه ، وللشياطين .

وممن وقع في هذا النوع في عصرنا الحاضر من المسلمين الذين تخلوا عن دينهم ودخلوا في الشيوعية ، منهم من دخل دخولاً تاماً ، وترك أحكام الدين وأصبح عندهم الإسلام دين الرجعية ، ومنهم دون ذلك ممن قد أخذ من الكفر بنصيبه .

٢- التبعية في الشريعة :

مثل استبدال القوانين الوضعية المستوردة من بلاد الكفربالأحكام الشرعية فهذا إتباع للطاغوت ، وقد وقع في هذه الأمة من هذا النوع شيء كثير ، فقد استبدلت الأحكام الشرعية في بعض من البلاد الإسلامية بالأحكام والقوانين الغربية ، بينما نجد كثيراً من مواطني تلك الدول أنهم يتلفظون بشهادة التوحيد ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويحجون بيت الله ، ويعملون بكثير من الأحكام الشرعية في عباداتهم ، ومعاملاتهم ، ويؤمنون بما

جاء في القرآن والسنة من عقائد ، ويعملون بكثير من أوامرها ويتجنبون كثيراً مما نهوا عنه ، ومع ذلك نجد أن المحاكم في بلادهم لا تحكم شريعة الله بل تحكم القوانين الكفرية الطاغوتية .

ونجد أن النظم السياسية والاقتصادية ، والتعليمية تابعة لما عند الغرب ، وهذا شيء متناقض وعجيب ، عقيدة الناس في وادٍ والأنظمة الاجتماعية والمحاكم في وادٍ آخر .

إن كثيراً من مواطني تلك الدول إما مكرهون على تلك النظم ، أو إنهم يجهلون أحكام الشريعة ، فهؤلاء المواطنون قد يعذرون ، إما لجهلهم أو لإكراههم ، أما من عرف حكم الله ورضي بحكم الطاغوت فهذا حكم آخر إذ قد يصل إلى الكفر ، والردة ((ولا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً)) [1] ، وعموم الشعوب الإسلامية تحب الدين والخير وتخضع إذا سمعت قول الله ورسوله ، وقد رأينا كثيراً من العوام تركوا ما كانوا فيه من باطل عندما عرفوا حكم الله فيه .

النوع الثاني : التشبه بالكفار :

جاءت في العصور المتأخرة موجة عظيمة من الغزو الفكري والثقافي والعسكري إلى ديار المسلمين ، تحمل في طياتها عادات وتقاليد وقيماً مخالفة لهدي المسلمين ، سواء منها ما يخص الملابس ، أو اللغة ، أو العادات ، أو المظاهر الاجتماعية من أعياد ونحوها ، وقد ساير ذلك الغزو الفكري

(١) علي بن أبي العز الأذرعي . أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي . ص١٢٦ . بدون تاريخ ، وبدون دار نشر .

والعسكري غزو إعلامي استخدم وسائل إعلام حديثة فتاكة ، وقابل مجتمعات إسلامية قد انتشر الجهل والفقر والتخلف الصناعي والعلمي في ربوعها ، فاستولت تلك الأمم الكافرة على ديار المسلمين ، وعلى عقولهم ونفوسهم فاستغلوا تلك الفرصة ، التي لم تتحقق لهم على مدار التاريخ ، بأن بثوا عقائدهم وقيمهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم بين المسلمين ، في عملية كبيرة تسمى تارة " بالتغريب " وتارة " بالتحديث " ، كل ذلك في محاولةٍ لاجتثاث عقيدة الإسلام من نفوسهم ، وأخلاق الإسلام وآدابه وشرائعه من حياتهم ، وقد تحقق من أهدافهم الشيء الكثير . وأصبح المتأمل في أرجاء العالم الإسلامي يصاب بالذهول ويرى كيف انساق الناس جماعات نحو طريق الغرب بتقليدهم في كل أحوال حياتهم ، فخلعت الملابس الوطنية وارتديت ملابس الغرب ، وهجرت اللغة العربية في بعض البلاد العربية وتحدث الناس بالفرنسية أو الإنجليزية واحتفل الناس بأعياد النصارى ، وأخذوا قيم النصارى فخلعت نساؤهم حجابهن وملابسهن ، وارتدين ملابس الكافرات ، وعملن في أنفسهن ما يعمل الكافرات من تصفيف الشعر أو لبس البنطال أو تقصير للفستان ونحو ذلك ، وتغيرت معالم الحياة الاجتماعية في أغلب بلاد العالم الإسلامي ، حتى إنه ليصعب التفريق بين المسلمين وغيرهم ، وسار أغلب الناس في طريق " التحديث " إن صحت التسمية ، وغلب على الناس الظن بأنه لا يمكن التطور والتقدم إلا بالسير على نهج الحضارة الغربية المتقدمة ، وأخذت تروج لهذه الفكرة وسائل الإعلام ، وتحث الجميع على السير فيها دون تردد أو خجل ، وأصبحت الشعوب الإسلامية المغلوبة تقلد الأمم الكبرى الغالبة وتسير معها في نفس الطريق .

إنه طريق مظلم طويل ، ومن تخلف عن الركب فهو" رجعي " يعيش في عصور التخلف والانحطاط ، ومن سار مع القوم وغير هندامه وعقله وعاداته وأساليب حياته فهو متقدم حضاري متعلم مثقف ، وقادة الطريق يمنون جموع الناس " بالتنمية " والمجد والتقدم والصناعة والتحرر ، والناس يسيرون في ذلك الطريق و لم يتبينوا إن كانوا يساقون إلى الموت أم إلى العز والحياة ؟ فلا مجال للتفكير أو التردد ، والحياة كلها تسير وتلهث خلف الغرب المتحضر المتقدم ، الذي يملك حلول المشكلات كلها بزعمهم ، وتحقق قوله ﷺ : ((**لتتبعنَّ سنَنَ من كان قبلكُم شبراً شبراً ، وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضبٍ تبعتموهم**)) . قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى ؟ (**قال : فمن ؟**) [1] ، لقد نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بالكفار في هديهم الظاهر فقال ﷺ : ((**من تشبه بقوم فهو منهم**)) [2] ، ويشمل الهدي الظاهر كل ما يتميز به الكفار من ملابس ولغة ، وشعارات ، وعبادات ، وآداب ، وأعياد ، وتقاليد ونحو ذلك ، ولقد نهى الرسول ﷺ عن أشياء كثيرة كان يعلل النهي فيها بالتشبيه بالكفار ، فقد نهى عن لبس ثياب الكفار فقال ﷺ : ((**فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس**)) [3] ، ونهى عن

---

(١) البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب قول النبي ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، ج٨ ، ص١٩١ ، حديث رقم ٧٣٢٠ . ومسلم ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، ج٤، ص٢٠٥٤ حديث رقم ٢٦٦٩ .

(٢) أبو داود ، كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة ، ج٤ ، ص٤٤ حديث رقم ٣٠٣١ . وأحمد ، المسند ، ج٢ ، ص٥٠ ، ص٩٢ . وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٨٠ : ((إسناده جيد)) .

(٣) أبو داود ، كتاب اللباس ، باب العمائم ، ج٤،ص٥٥،حديث رقم ٤٠٧٨ ، والترمذي ، كتاب اللباس ج ٤ ، ص ١٥٨ ، حديث رقم ١٨٤٤ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ليس بالقائم ، والحاكم في المستدرك ج ٣ ، ص ٤٥٢، كتاب معرفة الصحابة .

التسليم بالإشارة كما يفعل اليهود ، فقال ﷺ : (**ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالكف**) [1] .

ولقد أخذ بسنة الرسول ﷺ الخلفاء الراشدون والأئمة المتبوعون ، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينهى عن ((لبس زي الأعاجم والتكلم بلغتهم)) [2] ، وقال رضي الله عنه : ((إياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم)) [3] .

وكذلك الفقهاء نهوا عن ذلك ، فقال أصحاب أحمد بن حنبل مثل القاضي أبو يعلى [4] ، وابن عقيل [5] ، والشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي [6]

---

(١) الترمذي ، أبواب الاستئذان والآداب : باب كراهية إشارة اليد في السلام ، ج٤ ،ص ١٥٩ ، حديث رقم ٢٨٣٦ ، وقال الترمذي : هذا حديث إسناده ضعيف .

(٢) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٣٣ .

(٣) ابن تيمية ، وعزاه إلى البيهقي في السنن وقال سنده صحيح ، مرجع سابق.

(٤) أبو يعلى (٣٨٠ - ٤٥٨ هـ)

محمد بن الحسين محمد بن خلف ، أبو يعلى بن الفراء شيخ الحنابلة القاضي الحبر ، صاحب التصانيف ، وفقيه العصر ، كان إماماً لا يدرك قراره ، ولا يشق غباره ، ولي قضاء الحريم ، وتفقه على أبي عبد الله بن حامد وغيره . ابن العماد ، الشذرات ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .

(٥) ابن عقيل (٤٣١ - ٥١٣ هـ)

أبو البقاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري ، شيخ الحنابلة ، وصاحب التصانيف ، ومؤلف كتاب " الفنون" كان إماماً مبرزاً كثير العلوم ، خارق الذكاء ، تفقه على القاضي أبي يعلى وغيره ، وكان رحمه الله كثير التعظيم للإمام أحمد وأصحابه والرد على مخالفيهم ، وتوفي سنة ٥١٣ هـ ، ودفن في دكة الإمام أحمد . ابن العماد ، الشذرات ، ج٤ ، ص ٣٩ .

(٦) عبد القادر الجيلي (٤٧١ - ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ - ١١٦٦م)

عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني ، أبو محمد ، مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفين ، برع في أساليب الوعظ ، وتفقه وسمع الحديث ، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد ، له كتب منها " الغنية لطالب الحق " و " الفتح الرباني " . الزركلي ، الأعلام ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

وغيرهم في أصناف اللباس ، وأقسامه من اللباس المكروه ((ما خالف زي العجم وأشبه زي الأعاجم وعاداتهم)) [1] ، وقال أحمد بن حنبل في رواية الحسن بن محمد ((يكره أن تكون العمامة تحت الحنك كراهة شديدة ، وقال إنما يتعمم بمثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس)) [2] .

وقال شيخ الإسلام : ((أما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن ، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولأهل الأسواق أو للأمراء ، أو لأهل الفقه ، فلا ريب أنه مكروه ، فإنه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه)) [3] ، وقال أيضاً : ((فإن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)) [4]

ونحن نلاحظ أن الأمم تهتم كثيراً بالمحافظة على هويتها وشعارها لارتباط ذلك بثقافتها وموروثاتها الشعبية ، من تقاليد وعادات وقيم ، وعقائد ، بل تحاول في نفس الوقت نشر ثقافتها ، وشعارها ، ومحاولة طمس هوية الشعوب الأخرى الضعيفة وصهرها في بوتقتها الفكرية لتصبح تابعة لها .

وإذا تأملنا ما فعلته الأمم الغربية أثناء استعمارها للشعوب الإسلامية لرأينا كيف كانت تبذل أقصى جهدها في طمس الهوية الإسلامية ، ونشر ثقافتها وقيمها وعاداتها ، ولا تستخف بأي أمر كان من شعاراتها ، سواء في اللبس أو في اللغة أو الأنظمة ، والفن وكل شيء ، إنها تحاول أن تصهر تلك

---

(١) اقتضاء الصراط ، ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٤) اقتضاء الصراط ، ص ٢٠٤ .

الشعوب حتى تتشرب ثقافتها ، وترتدي شعاراتها فتصبح تابعة لها مدافعة عنها ، بل أصبح تعليم اللغة الفرنسية ، كما حدث في الجزائر وتونس والمغرب أثناء الاحتلال الفرنسي بالقسر والإرهاب ، حتى أصبح التخاطب بين المسلمين في تلك الدول باللغة الفرنسية ، وليس هذا فقط بل في الملابس وفي أنظمة الحكم ، وفي الأدب ، والصحافة ، والفن ، والقوانين ، وغير ذلك إن في نهي الإسلام عن التشبه بالأمم الأخرى لحكمة عظيمة ، يبرز بعض أسرارها شيخ الإسلام ابن تيميه فيقول : ((إن الله تعالى جبل بني آدم وسائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين ، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم ، حتى يؤول الأمر أنه لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط ،ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم ، واكتساب بعضهم أخلاق بعض ، بالمشاركة والمعاشرة ، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه ، ولهذا صارت الخيلاء والفخر في أهل الإبل ، وصارت السكينة في أهل الغنم ، وصار الجمالون والبغالون كذلك فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال ، وكذلك الكلابون ، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الإنس من المعاشرة والمؤالفة ، وقلة النفرة ، فالمشابهة والمشاركة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكله في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدرج الخفي وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى أقل إيماناً من غيرهم ، والمشاركة في الهدي الظاهر يوجب أيضاً مناسبة وائتلافاً))[1]

(١) ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢١٨ . مرجع سابق .

ويضيف أيضاً : ((أن المشابهة تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان)) [1] ، قال تعالى : ﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [3] .

والمتبصر في أحوال المسلمين الذين عاشوا في الدول الغربية مثل أوروبا ، وأمريكا ، ودول المعسكر الشرقي مثل روسيا ، وأوروبا الشرقية ، يجد أن المسلمين قد اكتسبوا كثيراً من قيمهم وثقافتهم وعاداتهم ، كذلك نلاحظ أيضاً تأثر بعض من المبتعثين إلى تلك الدول ، ولهذا نجد أن تلك الدول تهتم بالمنح الدراسية للدول الإسلامية ، وتسهل إجراءات قبولهم وتعليمهم ، كل ذلك حتى يصبحوا يوماً ما من أتباعها وجنودها في البلاد الإسلامية ، ونلاحظ أيضاً كيف تبذل تلك الدول الأموال الطائلة في نشر ثقافتها بين دول العالم الثالث (التي أغلبها دول إسلامية) وتقيم المراكز الثقافية ،

(١) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط ، ص ٢١٨ .

(٢) سورة المائدة آية (٥١) .

(٣) سورة المجادلة ، آية (٢٢) .

ودورات تعلم اللغة الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو الروسية ، وتشجع الملتحقين وتسهل الصعاب كل ذلك في سبيل نشر ثقافتها حتى تستميل قلوب تلك الشعوب نحوها .

النوع الثالث : إتباع الأمم الكافرة فيما عندها من علوم اجتماعية وإنسانية دون نقد وتمحيص

في خضم الانهزام النفسي الذي عاشه المسلمون في القرنين السابقين عندما رأوا الحضارة الغربية بأسلحتها الفتاكة ، وصناعاتها المتقدمة ، وعلومهم المتفوقة عليهم ظهرت فئة من المسلمين رأت أنه لا طريق للتقدم وللتنمية إلا بالسير في طريق الغرب واقتباس ما لديهم من علوم طبيعية أو اجتماعية أو إنسانية دون تفريق بين تلك العلوم ، ودون تمحيص ونقد لها [1] .

وبدأ رواد النهضة ينشرون تلك العلوم بحماس شديد ، فمن يقبل الكيمياء والفيزياء ، والأحياء ، والطب ، والهندسة ، فعليه أن يقبل بنظريات علم الاجتماع ، وعلم النفس ، والفلسفة ، والأدب ، وتفسير التاريخ ، فالكل على درجة واحدة من الصحة ، ومناهج العلوم الطبيعية (التجريبية) والعلوم الاجتماعية كلها متشابهة في رأيهم .

ولم يتبين لأولئك الرواد الحق والباطل في تلك العلوم ، فكلها حق في زعمهم ، وكلها علوم نافعة ، وهي وسيلة للتقدم والنهضة بالأمة .

لكن تكشف لفئة من هؤلاء المتحمسين أن تلك العلوم فيها نظريات وافتراضات تتعارض مع ما ورثوه من عقائدهم الإسلامية ، فحاول الرواد الأوائل أن يلووا أعناق النصوص ، لتنسجم مع تلك الافتراضات والنظريات لكن بعضها يخالف العقائد الإسلامية المجمع عليها ، ولا طريقة لتأويل

---

(١) انظر أبو الأعلى المودودي ، نحن والحضارة الغربية ، ص ١٩٣ وما بعدها ، ط ١ ، جدة : الدار السعودية ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣م .

النصوص ، بل لابد من الكفر بتلك النظريات والافتراضات والآراء أو الكفر بتلك العقائد ، أو اعتناق الفكرين المتعارضين وهذا مستحيل ؟! .

لكن من كان قلبه معلقاً بهذا الدين ، وأنار الله بصيرته ، وأراه الحق حقاً، والباطل باطلاً ، علم أن تلك العلوم الوافدة فيها حق وباطل ، وقد التبس الحق بالباطل وإن إتباع تلك العلوم دون تمحيص من التبعية الفكرية التي قد تخرج الإنسان من دينه وهو لا يشعر ، وقيض الله لهذه الأمة في القرن الهجري المنصرم ، وهذا القرن علماء ، وفقهاء ، ومفكرون ، تبصروا في ذلك الزخم الهائل من العلوم الوافدة ، فوجدوا أن فيها ما يخالف الدين ، وأن فيها مالا يصلح للمسلمين ، فهبوا ينذرون قومهم بمخاطر التقليد الأعمى ، والاقتباس على غير هدى وبصيرة [1] ففرقوا بين العلوم الطبيعية (التجريبية) التي يمكن التحقق من صحة فرضياتها وقوانينها ، ونظرياتها بالتجربة ، وبين العلوم الإنسانية والاجتماعية التي لا يمكن التأكد من صحة فرضياتها بالتجربة [2] .

ثم ركزوا على أن تلك العلوم في مجملها تحمل فكراً وثقافة وقيماً غربية خطيرة على دين المسلم ، فبدءوا ينقحون العلوم ويبينون مكامن الغزو فيها ،

---

(١) من هؤلاء : أبو الأعلى المودودي ، خاصة في كتابه "نحن والحضارة الغربية " . وكذلك سيد قطب ، في كثير من كتبه وخاصة " في ظلال القرآن " .وكذلك محمد قطب ، في كثير من كتبه وخاصة " واقعنا المعاصر " وكذلك أنور الجندي في كتابه " تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة " ، وأيضاً " أسلمة المناهج والعلوم " . وأيضاً يوسف القرضاوي في كتابه " الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا " ، وغير هؤلاء كثير .

(٢) انظر مالك البدري ، علم النفس من منظور إسلامي ، من بحوث اللقاء العلمي الرابع ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي واشنطن ، وجامعة الخرطوم ، كية الآداب المنعقد في ١٥- ٢٢ جمادى الأول ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م ، وانظر أيضاً : محمد عيسى فهيم ، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب .

وإن كانت العلوم الطبيعية أكثر فائدة وأسهل في التنقيح والتهذيب ، إلا أن العلوم الإنسانية أصبحت من أخطر ميادين الغزو الفكري ، لأنها تحمل الثقافة والفكر بين ثناياها ، واختلطت الأباطيل والفكر الفاسد بالحقائق العلمية .

وخلص محمد عيسى فهيم إلى أهم الاعتبارات المترتبة على إعادة النظر في مناهج البحث في الدراسات الإنسانية والاجتماعية [1] ومن تلك الاعتبارات:

١- التفريق بين الحقائق الطبيعية والحقائق الاجتماعية فالأخيرة تختلف اختلافاً جذرياً في ماهيتها عن الأولى ، لذا فإن طرق دراستها تتطلب الأخذ بمعايير تتفق مع طبيعتها .

٢- نسبية المعرفة الإنسانية والتأكد على تأثر هذه المعرفة بالقيم والرغبات والدوافع الإنسانية عبر التاريخ ، لذا فالمعارف الإنسانية متعددة ومتنوعة بتنوع الثقافات البشرية ، وكل معرفة ثقافية لها منطقها ومبرراتها ودرجتها من الصدق والاحتمال ، وليس بالإمكان إيجاد معرفة إنسانية مطلقة وعمومية لأن التجربة الإنسانية قاصرة على الإحاطة بكل أبعاد الأشياء .

٣- إن الباحث خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية مقيد عند نظرته للأشياء والمواضيع من حوله بأفكار ومفاهيم أو نظريات مسبقة عن هذه الأشياء والمواضيع قبل دراستها ، وأن قيمه ورغباته وخلفيته التعليمية كلها تتدخل لتحدد طريق بحثه ، وتكون المعاني والتفسيرات التي يصفها على الموضوع .

---

(١) لقد بذل الباحث جهده في بيان خطورة المنظور الأمبيرقي في البحث العلمي ، وخاصة في الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، وأشار أيضاً إلى خطورة اقتباس العلوم الاجتماعية إلى الدول الإسلامية دون فحص لجذورها الفلسفية ، وإدراك مؤثرات الحياة الغربية عليها ، انظر كتابه " إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب " . مرجع سابق .

٤- أن المعرفة الإنسانية نسبية وقاصرة ومحددة بالأطر " الإيديولوجية " والفلسفية والثقافية لكل أمة فإن نشر ثقافة الغرب وفرضها على الدول النامية يحرمها من خصوصياتها الثقافية ، ويفقدها أصالتها كما يجعلها تابعة فكرياً واقتصادياً للدول الغربية المسيطرة .

٥- إن المعرفة في الغرب صورة مطابقة للقيم والطموحات " الإيديولوجية " الرأسمالية لتلك الدول ، وهي تخدم مصالح الطبقات " البرجوازية " فيها .

٦- التخلص من عيوب المنظور الأمبيرقي الذي يجزء المعرفة الإنسانية ولا يؤخذ في الاعتبار الأنواع الأخرى المتعددة للوصول إلى المعرفة ، كالحدس والاستبصار ، والوحي ، والنظر إلى مشاكل الحياة بطريقة " ميكانيكية " تقنية وليس من خلال (إطار شمولي) يتفق مع ما للحقائق الاجتماعية والإنسانية من خصائص معقدة [١] .

فالخلاصة من ذلك ((أن العلم الذي يظهر في مجتمع ما سيتأثر ولا شك بالقيم السائدة ، وبالنظرة " الإيديولوجية " والفلسفية لذلك المجتمع ، وهذه القيم و " الإيديولوجيات " تتدخل وتحدد طبيعة التجربة ، والقياس المنطقي والمحصول أو الناتج المعرفي والنظري ، وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فإن الدراسات الاجتماعية والإنسانية تخضع لدرجة كبيرة للعوامل الذاتية ، وللخصوصيات الثقافية والإيديولوجية لكل بيئة اجتماعية)) [٢] .

ومن ينظر في كثير من النظريات الشائعة في علم النفس ، أو علم الاجتماع

(١) فهيم ، إعداد أعضاء هيئة التدريس ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٧ باختصار .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، باختصار .

أو الاقتصاد ، أو التاريخ ، يجد أن نظريات تلك العلوم متأثرة بالقيم والثقافة الغربية وميراثها القديم من الفكر اليوناني ، فنظريات ماركس المادية تزعم أن لا إله وأن الحياة مادة ، ونظرية دوركهايم ترى أن الدين والقيم من صنع الإنسان ، ونظرية سيجموند فرويد تفسر سلوك الإنسان كله بالدافع الجنسي ونظرية تشارلز دارون في نظريته عن أصل الأنواع يزعم أن الإنسان متطور عن القرد ، وعن الحيوانات الأولية [1] .

وكل تلك النظريات تخالف وتعارض العقائد الإسلامية ، فمن أخذ بنظرية أو رأي يخالف العقيدة الإسلامية فهذا من التبعية الفكرية المذمومة .

---

(١) انظر على سبيل المثال :

أ- محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، ط٧ ، القاهرة : دار الشروق ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

ب- عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، ط ٢ ، دمشق : دار القلم ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

النوع الرابع : التبعية في ميدان النظم الإدارية ومناهج التنمية السياسية والاقتصادية

سارت بعض الدول الإسلامية على هدى مناهج التنمية السياسية والاقتصادية الغربية أو الشرقية ، وتضمنت تلك المناهج الأهداف ، والتخطيط والتنفيذ ، والإدارة والتنظيم ، ونحو ذلك وشملت كافة المؤسسات سواء الحكومية أو الخاصة مثل المشاريع الصناعية ، أو الزراعية والتجارية والعمرانية وتخطيط المدن ، كما تضمنت أيضاً ، أساليب التنمية ومناهج التعليم والتدريب ، وإن كان هذا الميدان يرتبط مع ميدان النظم الاجتماعية ، من سياسية ، أو اقتصادية وتربوية ، وما يشمل ذلك من القوانين التي استبدلت بدلاً من الأحكام الشرعية فهذه من أقبح صور التبعية ، وهي داخلة في النوع الأول ، وهو التبعية في ميدان العقيدة والشريعة .

أما التبعية في ميدان النظم الإدارية ، ومناهج التنمية السياسية والاقتصادية فهذه ليست كالسابقة وإن كانت أيضاً تشترك مع الأولى لكنها تختلف ، إذ أن فيها حق وباطل ، وقد تستفيد الشعوب الإسلامية من بعض هذا الحق ، وترفض الباطل .

وتلك النظم الإدارية وأساليب إدارة المشاريع الصناعية والعمرانية والزراعية وخطط التنمية ومناهجها ، وأساليب تنفيذها ، هي نتاج عقول تأثرت بخلفيات فلسفية وثقافية وسياسية مرتبطة بمفاهيم أولئك المفكرين نحو العدل بين العمال وأصحاب رأس المال ، ومفاهيم حول المال ، وزيادة الإنتاج ورفع الكفاءة ، ونحو ذلك من العناصر التي كونت تلك النظريات ، والتي هي في الأصل منبثقة من سلسلة من التغيرات التاريخية التي مرت عليها الشعوب الأوروبية ، وخاصة في القرنين الأخيرين ، حيث مرت أوروبا بتغيرات عظيمة

شملت دينها عندما تحررت من سلطان الكنيسة للتحول إلى سلطان " العلمانية " ، ومن سلطان الملوك إلى سلطان البنوك ، وشملت حياتها الاجتماعية : من زراعية إلى صناعية ، ومن الأرياف والقرى إلى المدن الكبرى وإلى المصانع والشركات الضخمة ، وإلى حياة جديدة شملت الفكر والعقيدة ونظم الحياة كلها ، وانبثق منها نظريات التنمية ونظم الإدارة ، وأساليب العمل وأصبحت تمثل ثمرة التغيرات التي طرأت على المجتمع الأوروبي والأمريكي [1] ، لكن بعض الدول الإسلامية لم تجد إلا تلك النظريات والنظم وأساليب العمل فاقتبستها بأكملها دون فحص ، ودون اختيار فلا طريق أمامهم إلا هذا الطريق ، وظهرت موجة عارمة قضت على المؤسسات القديمة وأنشأت المؤسسة الوافدة باسم " التحديث " [2] ، وشجعت الدول الاستعمارية الأوروبية فكرة التحديث لأنها من أهم وسائل نقل القيم والأفكار الغربية إلى المجتمعات الإسلامية ومن ثم " تغريبها " ونزعها من جذورها [3] .

---

(١) انظر لمزيد من التوسع :

نصر محمد عارف . نظريات التنمية السياسية المعاصرة . ط٢ - الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

(٢) انظر لمزيد من التوسع :

فادي إسماعيل . الخطاب العربي المعاصر ، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة . ط٢ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

(٣) انظر : نصر محمد عارف . نظريات التنمية السياسية المعاصرة . ص٢٣٨ . ط٢ - الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، هيرندن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

وهكذا نقل مفهوم " التحديث " إلى العالم الإسلامي وتبنت كثير من الدول الأساليب الغربية في الإدارة والنظم ، وتبنت مفاهيم التنمية والتحديث حسب وجهة النظر الغربية ، وهكذا دخلت القيم مع تلك الأساليب والنظم فترى كيف نُقِلت المصانع ونُقِلَ معها اختلاط الرجال والنساء ، وتم تبني النظم الغربية بما فيها من قيم ، ومن هنا التبس الحق بالباطل ، فلم تكن تلك الدول قادرة على الفصل بين الحق والباطل ، ولا التمييز بين النظام كأداة ، وبين فلسفة النظام والقيم المصاحبة لهذا النظام واعتبروا أن اقتباس تلك النظم وتلك القيم هي الطريق إلى التحديث والطريق إلى النهضة العلمية والصناعية والاقتصادية ، فأصبح التحديث بزعمهم هو تحقيق النمط الغربي في التطور أو نقل القيم والمؤسسات والمؤشرات الغربية باعتبارها معيار التحديث [1] .

إن تبني تلك النظريات والأساليب والنظم في التنمية وفي إدارة المشاريع ونحو ذلك مما يمس الجانب التنظيمي الإداري للمؤسسات الاجتماعية أو للمؤسسات الصناعية والزراعية الإنتاجية ، تحمل عدة مخالفات أبرزها :

أ-بعض تلك النظم فيه ظلم يقع على الأفراد سواء ما يقع على العمال أو على أصحاب رأس المال كما هو واضح في النظم الشيوعية التي صادرت الأموال بظلم ، وغير ذلك من الظلم الواضح لمن أعطاه الله بصيرة ومعرفة بأحكام الشرع الإسلامي .

ب- التشبه بالكفار سواء في الظاهر كما هو مشاهد في الزي ، والشعار ، وغير ذلك حتى لا يمكن التفريق بين العمال والموظفين في كثير من المشاريع في البلاد الإسلامية والمشاريع في البلاد الغربية أو الشرقية .

---

(١) نصر محمد عارف . نظريات التنمية السياسية المعاصرة .ص٢٤٠ . مرجع سابق .

وكذلك التشبه في الباطن ، وهو أكثر خطراً من ذلك انتقال القيم والأفكار الغربية .

ج- وفي تلك النظم أضرار دنيوية ، فمن المعلوم أن تلك النظم الإدارية وخطط التنمية وما يصاحبها من مفاهيم وقيم وأفكار ونظريات صممت في الأصل من أجل أن تتوافق مع رغبات ومطالب الشعوب الأوروبية ، وتلائم ظروف تلك الدول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية فقد فُصِّلت وصممت ونظمت وطورت من أجل أن تلائم ظروفهم ومطالبهم فمن نقلها بشكل تام إلى بلاد المسلمين - وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية تختلف - فإن تلك النظم لن تنجح ولن تؤدي وظيفتها المأمولة ، والواقع يشهد بأن تلك النظم والمناهج لم تحقق التنمية الاقتصادية والسياسية للشعوب الإسلامية ، فهذه كثير من الدول الإسلامية مضى عليها خمسة عقود أو أربعة عقود من الزمن و لم تشهد أي نهضة حقيقية ، بل مازالت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية قائمة ، بل ازدادت .

القسم الثاني : التبعية الفكرية الداخلية

وهي التبعية الفكرية للآباء والمشايخ ، والفرق التي نشأت في البلاد الإسلامية وأبرز صور تلك التبعية النوعان التاليان :

النوع الأول : إتباع الآباء .

النوع الثاني : إتباع المشايخ عند المتصوفة .

النوع الأول : إتباع الآباء :

تكاد تكون " الآبائية " أول صورة من صور التبعية يقع فيها غالب البشر ، فالطفل يولد ويرضع وينمو في أحضان والديه ، ويتشرب منهما الفكر والعقيدة ويتم صهر هذا الطفل في بوتقة فكر والديه بعاملين رئيسيين ، هما :

العامل الأول : وهو الميل الفطري عند الطفل لتقليد والديه .

العامل الثاني : وهو جهود الوالدين في غرس عقيدتهما وثقافتهما في الطفل حتى يتشرب تلك العقيدة وتلك الثقافة لما في ذلك من مصلحة لوالديه إذ أن الولاء والمحبة مرتبطة دائماً بالعقيدة والثقافة ، ولقناعة والديه بأن عقيدتهما وثقافتهما صحيحة ، ولمحبتهما لطفلهما ، لذا نجد أنهما يبذلان جهدهما في غرس عقيدتهما في قلبه .

وقد أشار الله عز وجل إلى هذه السنة من سنن الحياة فقال تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [1] .

---

(١) سورة لقمان ، آية (١٥) .

وما إن يصل الطفل إلى سن التمييز إلا ويبدأ عقله في النمو ، ويكتمل النمو العقلي بعد البلوغ ، وهنا يبدأ في نقد وتقويم عقائد والديه ، وفي الغالب يستمر على ما سبق أن تبناه في طفولته ، وقد حذر الرسول ﷺ من هذا النوع من التبعية ، ومن الآثار الواردة في تحديد الوالدين لمستقبل طفلهما ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟** ثم يقول : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . . . ﴾ الآية [1]) [2] ، يستفاد من هذا الحديث إن أصل فطرة الطفل هي الإسلام [3] ، وقد أعطاه الله القدرة على السير في إحدى الطريقين الخير أم الشر ، وأعطاه الله العقل ليزن به الأمور وليميز الخير من الشر ، وأرسل إليه الرسل ليضيئوا فطرته بالحجج والبراهين التي يطمئن إليها عقله ، ومن ثم يبينوا له طريق الخير ومعالمه ، وطريق الشر ومعالمه ، وما يؤول إليه كل طريق .

ولقد أرسل الله خاتم الأنبياء محمداً ﷺ إلى البشر حتى قيام الساعة ، وأنزل معه القرآن ، وتكفل بحفظه إلى آخر الزمان ليكون حجة على الناس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [4] ، وزود الإنسان بوسائل

---

(١) سورة الروم . آية (٣٠) .

(٢) رواه البخاري . حديث رقم (٤٧٧٥) ج٦ ص٢٣ ، كتاب تفسير القرآن ، باب لا تبديل لخلق الله . ومسلم . حديث رقم (٢٦٥٨) ج٤ ص٢٠٤٧ ، كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(٣) انظر : ابن تيمية ، الفتاوى . ج٢ ، ص٦ . مرجع سابق .

(٤) سورة الحجر . آية (٩) .

المعرفة من سمع وبصر وفؤاد ، وجبله على الفطرة ، لكن كثيراً من الناس لا يستعمل ما أعطاه الله من السمع والبصر والفؤاد ، ولا يتدبر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليستضيء بنور الوحي فما يلبث أن يميل إلى تقليد والديه " رضىً بأن يعطل ما أعطاه الله تكاسلاً ، وخوفاً ، ومجاملةً للناس " فنرى الطفل الذي يكون أبواه من الشيعة إذا كبر في الغالب يعتنق أفكارهما وعقائدهما ، ولا يتساءل هل هما على حق أم على باطل ؟! وبراهين وحجج الحق ساطعة ، ومع ذلك نجد أنه يتبع والديه إن كانا على حق أم على باطل .

وهكذا نجد كل فرد يتأثر بوالديه ، ولذلك حذر عز وجل من الاحتجاج بإتباع الوالدين وأنها حجة باطلة لا تعفي من الحساب ولا العقاب يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى عن محاجَّة إبراهيم لقومه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة . آية (١٧٠) .

(٢) سورة الأنبياء . آية (٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤) .

(٣) سورة لقمان . آية (٢١) .

النوع الثاني : إتباع المشايخ عند المتصوفة : [1]

قال ابن الجوزي : ((أصل تلبيس " الشيطان " عليهم - يقصد المتصوفة - أنه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك : ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم ، ثم جاء أقوام فتكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات ، وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي [2] ، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ، ثم مازال الأمر ينمو والأشياخ يصنعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم ؛ حتى سموه " العلم الباطن " وجعلوا علم الشريعة " العلم الظاهر " [3]

---

(١) والباحث يقصد بالمتصوفة الذين أعرضوا عن المنهج الإسلامي ، ولا يقصد الصوفية بشكل عام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((طائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف . وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء . وكلا طرفي هذه الأمور ذميم و" الصواب " أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم ، فمنهم السابق المقرب ، ومنهم المقتصد ، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه ، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم ، كالحلاج)) [انظر الفتاوى ، ج١١ ، ص١٨]

فليس من انتسب إلى الصوفية دلَّ على فساد معتقده ، وإن كان الغالب على متصوفة القرون المتأخرة طابع الانحراف ، ولهذا آثر الباحث أن يفصل بينهم حتى لايقدح في الصالحين منهم رحمهم الله .

(٢) الحارث المحاسبي (ت : ٢٤٣هـ = ٨٥٧م)

الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة ، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد . الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص ١٥٣ .

(٣)عبد الرحمن بن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص ٣٦٥ .

وأصبحت التبعية الفكرية إحدى السمات الرئيسية في التصوف منذ بروزه ظاهرة ، إذ أنه ارتبط بثلاثة عوامل مهدت الطريق إلى التبعية الفكرية **الأول** : إهمال العلم حتى وصل الأمر إلى درجة أن دفنوا كتبهم كما فعل أحمد بن أبي الحواري [1] ، ويعلل ذلك ابن الجوزي : ((بأن العلم نور وإن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ، ولا ظلمة كظلمة الجهل ، ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها)) [2] .

الثاني : الإرهاب الفكري لأتباعهم من طلب العلم ، من ذلك ما ذكره ابن الجوزي عن أبي سعيد الكندي [3] قال : كنت أنزل في رباط الصوفية ؛ وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون ، فسقطت الدواة يوماً من كمي فقال لي بعض الصوفية : استر عورتك ، ومن ذلك ما ذكره عن جعفر الخلدي [4] يقول : ((لو تركني الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا ، لقد مضيت

---

(١) أحمد بن أبي الحواري (١٦٤ - ٢٤٦ هـ =)

((أحمد بن عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ القدوة شيخ أهل الشام ، أبو الحسن الثعلبي الدمشقي الزاهد ، أحد الأعلام ، سمع من سفيان بن عيينة وغيره ، حدث عنه أبو زرعة الدمشقي ، وأبو زرعة الرازي ، وأبو داود وابن ماجة في سننهما ، قال يحيى بن معين : أظن أهل الشام يستقيهم الله به الغيث ، وقال الجنيد : أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام ، ومن أقواله : من عمل بلا إتباع سنة فعمله باطل ، وقد حمل كتبه إلى البحر فغرقها)).[الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ، ص ٨٥].

(٢)

(٣) أبو سعيدالكندي ت (٣١٤هـ = ٩٢٦ م)

((حاتم بن أحمد بن محمود بن عفان بن حازم ، حدث عن الإمام مسلم ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأحمد بن الأزهر ، وعنه أبو عمرو بن المقري ، ومكي بن إسحاق)).[الذهبي . تاريخ الإسلام . ج سنوات ٣١١-٣٢٠ ص ٤٧٦] .

(٤) جعفر الخلدي (٢٥٣ - ٣٤٨ هـ)

=

إلى عباس الدوري [1] وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً ، وخرجت من عنده ، فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال : ايش هذا معك ؟ فأريته إياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ، ثم خرق الأوراق ، فدخل كلامه في قلبي ، فلم أعد إلى عباس)) [2] .

الثالث : تعظيم المشايخ واحاطتهم بهالة من القداسة ، وهذا من السمات المميزة في كتب القوم ، فنجد أن روح الاستسلام للمشايخ ، وتعظيم شخصياتهم في نفوس الأتباع بذكر أقوالهم وكراماتهم ، كل ذلك بهدف إحاطتهم بهالة من القداسة بل نجد في عباراتهم ما يفيد تقديس المشايخ ، وخطورة عدم الانقياد لتوجيهاتهم وإرشاداتهم ونصائحهم [3] .

من ذلك قول السهر وردي [4] في نصحه للمريدين والأتباع : ((ويحذر الاعتراض على الشيوخ فإنه السم القاتل للمريدين ، وقل أن يكون المريد

((أبو محمد ، جعفر بن محمد بن نصير البغدادي الخواص الزاهد ، شيخ الصوفية ومحدثهم ، والخلدي نسبة إلى الخلد محلة في بغداد ، وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم ، قال : عندي مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دوايون الصوفية ، توفي في بغداد)).[ابن العماد ، الشذرات ج ٢ ، ص ٣٧٩].

(١) عباس الدوري (١٨٥ - ٢٧١ هـ)

((عباس بن محمد الدوري الحافظ ، أبو الفضل ، مولى بني هاشم وكان من أئمة الحديث الثقات ، حدث عنه أرباب السنن الأربعة ، قال الأصم : لم أر في مشايخي أحسن حديثاً منه)).[الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ، ص ٥٢٢].

(٢) عبد الرحمن بن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص ٣٦٨ .

(٣) انظر عن عجائب كرامات المشايخ ، ابن الجوزي تلبيس إبليس ص ٤٢٢ وما بعدها .

(٤) السهر وردي (ت ٥٦٣ هـ)

((عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهر وردي ، نسبة إلى سهر ورد ، الصوفي القدوة الواعظ العارف الفقيه الشافعي أحد الأعلام ، قدم بغداد، وسمع علي بن نبهان وجماعة ، وكان إماماً في الشافعية وعلماً في الصوفية ، وشرح أحوال القوم ، ودرس بالنظامية سنتين ، له كتاب آداب المريدين ، وشرح الأسماء

يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ، ويذكر في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام [١] ، ولذلك قالوا من لا شيخ له فشيخه الشيطان [٢] ، وقال عبد القادر الجيلاني : ((من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً)) [٣] ، ووصل إلى من أعظم من ذلك وهو التقديس حتى قال بعضهم : ((إذا صدق المريد مع شيخه وناداه من مسيرة ألف عام أجابه ، حياً كان أو ميتاً)) [٤] .

((والمريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله لا كلام ولا حركة ولا يقدر ينطق بين يديه من هيبته ، ولا يدخل ولا يخرج ولا يخالط أحداً ، ولا يشتغل بعلم و قرآن ، ولا ذكر إلا بإذنه)) [٥] .

ولا يحتاج الباحث إلى كثير عناء في معرفة تقديس المشايخ عندهم فكتب القوم طافحة بهذه العقيدة .

إن ظهور فكرة الشيخ ووظيفته كقائد إلى الله ؛ ساعد على تحقيق مفهوم التبعية الفكرية ، حتى زاد انحراف التصوف إلى أن بلغ عند بعض الفرق الدخول في البدع والشركيات ، والخروج من الدين ، وقد عمت تلك الظاهرة كثيراً من بلاد العالم الإسلامي .

الحسنى ، وغريب المصابيح)).[ابن العماد ، الشذرات ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ ، الزركلي ، الأعلام ح٤ ، ص ٤٩].

(١) السهر وردي ، عوا رف المعارف ، ملحق مع كتاب إحياء علوم الدين ج ٥ ، ص ٧٩ .

(٢) حمود عبد الرؤوف القاسم ، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص ٦١٠ ، ط ١ ، بيروت : دار الصحابة ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٣١٨ . مرجع سابق

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٣١٩ ، مرجع سابق .

(٥) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٣١٩ ، مرجع سابق .

المبحث الثاني : أسباب التبعية الفكرية

أولاً : الأسباب الداخلية

ساهم في بروز التبعية الفكرية في بين المسلمين عوامل كثيرة منها ما يمس التزام الأمة بالدين ، حيث ضعف الدين عند الناس بمرور الزمن ، ومنها ما يمس الوضع الاجتماعي سواء ما جاء بسبب دخول شعوب كثيرة في دين الإسلام ، وما يحمله هؤلاء الجدد من بقايا أديانهم السابقة ، وعدم انصهار الجميع انصهاراً تاماً في بوتقة الدين الجديد ، وتشرب عقيدته ومفاهيمه وأحكامه .

وكذلك ما طرأ على الدولة الإسلامية من انقسام وحروب داخلية انشغل الناس بسببها عن أمور " التربية والتعليم " إلى محاولة إصلاح الخلل الطارئ على الدولة الإسلامية ، ومنها ما أصاب " الحركة العلمية " بوجه عام من ضعف وفتور .

وتلك العوامل يؤثر بعضها في بعض ، حتى يكاد يصعب فصلها ، فهي متداخلة في واقع الحياة ، وإن كان سببها الرئيسي هو عدم الالتزام بأحكام الدين ، وضعف التقوى في نفوس الناس .

ولكن الباحث آثر أن يفصلها بقصد البحث وتحري الأسباب ورأى أنه يمكن توزيعها على ثلاثة عوامل رئيسية :

الأول : ضعف الالتزام بأحكام الدين .

الثاني : ركود وجمود الحركة العلمية .

الثالث : غياب الشورى عن الحياة الإسلامية .

أولاً : ضعف الالتزام بأحكام الدين :

إن المتبصر في تاريخ الأديان عموماً يتضح له أن أتباع الرسل يلتزمون بدينهم مادام رسولهم بينهم ، فإذا رحل رسولهم عنهم وانقضى أصحاب النبي يأتي من بعدهم خلف يقل التزامهم بالدين ، وهكذا كلما جاء من بعدهم قوم تركوا بعض ما أمروا به [1] ، ثم ينتاب الدين الانحرافات ، ومن سنن الله عز وجل أن يبعث نبياً آخر يجدد معالم الدين المندثر رحمة بعباده ، وكان بنو إسرائيل متميزين عن غيرهم من الشعوب أن النبوة استمرت فيهم ، فما يرحل نبي إلا ويخلفه نبي آخر ، حتى كان آخرهم عيسى عليه السلام [2] ، وانقطعت النبوة عن بني إسرائيل ، وضعف التزام أتباع عيسى عليه السلام بالدين شيئاً فشيئاً حتى حرفوه وبدلوه .

ثم بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ للناس كافة ، وجعله آخر الأنبياء والرسل ، فلا نبي بعده ، ولهذا خص الله هذا الدين بخصائص تجعله يستمر إلى قيام الساعة ، من تلك الخصائص : أن الله تكفل بحفظ كتابه من التحريف ، قال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [3] ، وتبعاً

---

(١) لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن مسعود وخرجه مسلم ، قال ﷺ : ﴿ **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون** ﴾ [حديث رقم (٨٠) ج٣ ، ص٧٠ كتاب الإيمان] .

(٢) لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة وخرجه البخاري ومسلم ، قال ﷺ : ﴿ **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء كثيرون** ﴾ [حديث رقم (٣٤٥٥) ج٤ ص١٧٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم حديث رقم (١٨٤٢) ج٣ ص١٤٧٠ ، كتاب الإمارة] .

(٣) سورة الحجر ، آية (٩) .

لهذا الحفظ قيض الله لهذه الأمة من العلماء والمحدثين ، الذين حفظوا حديث رسوله ﷺ وبلغوه جيلاً عن جيل ، وبينوا صحيحه من ضعيفه ، ومن خصائص هذا الدين أيضاً : أن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد للأمة دينها ، أخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : (**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**)[1] ، وأخبر ﷺ أن هذا الدين سيبقى يحمله طائفة من أمته إلى قيام الساعة ، فخرج مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**) [2] ، فوصف الرسول ﷺ الذين يحافظون على الدين إلى قيام الساعة بأنهم " طائفة " دليل على أن الأكثرية سيتفلتون من أحكام الدين ، وقد أخبر به أيضاً ، فقال ﷺ : (**لينقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة**) [3] ، وأخرج البخاري وغيره عن مرداس الأسلمي قال : قال النبي ﷺ : (**يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم**

---

(١) رواه أبو داود حديث رقم (٤٢٩١) ، ج٤ص١٠٩ ، كتاب الملاحم . والحاكم في المستدرك ج٤ص٥٢٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، وسكت عنه الذهبي ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ حديث رقم (٥٩٩) والسند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم .

(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله حديث رقم (١٩٢٣) ج٣ ص١٥٢٤ كتاب الإمارة . وفي البخاري عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال : (**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**) [حديث رقم (٧٣١١) ج٨ ص١٨٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وهذا اللفظ رواه أيضاً مسلم حديث رقم (١٩٢١) ج٣ ص١٥٢٣] .

(٣) رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي ﷺ ج٥ ص٢٥١ .

الله بالة) [1] وتحقق ما أخبر به الرسول ﷺ وبدأت البدع والانحرافات مبكراً في تاريخ المجتمع الإسلامي وإن كانت تلك البدع والانحرافات في أول زمنها مقصورة على فئة من الناس ، لكن من أدرك النبي ﷺ كان يعلم مدى الانحراف ، قال الزهري : ((دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة . وقد صنعتم فيها ما صنعتم)) ، وفي رواية ((وهذه الصلاة قد ضيعت)) [2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وعامة البدع إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين ، كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال : (**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**) [3])) [4] وأضاف أيضاً ((فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين وصار الأمر مُلْكاً ظهر النقص في الأمراء فلا بد أن يظهر أيضاً في أهل العلم والدين ، فحدث في آخر خلافة " علي " رضي الله عنه بدعتا " الخوارج والرافضة " ، ثم ملك " معاوية " رضي الله عنه ملكاً ورحمة ، فلما ذهب " معاوية " رضي الله عنه سنة (٤٠هـ = ٦٦٠م) ، وجاءت إمارة " يزيد " سنة (٦٠هـ = ٦٧٩م) وجرت فيها فتنة " قتل الحسين " سنة

---

(١) البخاري . حديث رقم (٦٤٣٤) كتاب الرقاق ، باب ذهاب الصالحين حديث رقم (٦٤٣٤) ، وقال البخاري رحمه الله يقال : حفالة وحثالة .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٩٦ .

(٣) رواه أبو داود . حديث رقم (٤٦٠٧) ج٤ ص٢٠٠ ، كتاب السنة باب لزوم السنة من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٤) ابن تيمية . الفتاوى . ج١٠ ، ص٣٥٤ .

(٦١هـ = ٦٧٩م) بالعراق وفتنة " الحرة " بالمدينة سنة (٦٣هـ = ٦٨٢م) وحاصروا مكة سنة (٦٤هـ = ٦٨٣م) لما قام عبد الله بن الزبير ﷺ ، ثم مات يزيد سنة (٦٤هـ = ٦٨٣م) وتفرقت الأمة ، وذلك في آخر عصر الصحابة ، وحدثت بدعة " القدرية والمرجئة " فردها بقايا الصحابة كابن عباس وابن عمر وجابر وغيرهم ﷺ .

وفي أوائل الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ) صار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم ، وخرج كثير من الأمر عن ولاية العرب ، وعُرِّبت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس والهند والروم وظهر ما قاله رسول الله ﷺ : (**إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يُسْتشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمَن**) [١] ، فحدثت ثلاثة أشياء : الرأي والكلام والتصوف وحدث التجهم ونفي الصفات وبإزائه التمثيل)) [٢] .

وفي القرن الرابع الهجري زادت الفرق وكثرت البدع ، وضعفت الدولة الإسلامية ؛ وانقسمت إلى دويلات كثيرة ، فقويت شوكة القرامطة حتى قطعوا طريق الحجاج سنة (٣١٧هـ) [٣] وأخذ الحجر الأسود بعد مقتل حجاج بيت الله الحرام ، وظهرت بوادر الجرأة في الإلحاد والكفر ، متمثلة في الحسين بن منصور الحلاج الذي قتل عام (٣٠٩ هـ = ٩٢١ م) بتهمة

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري عن عمران بن حصين وأوله (**خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم** ...) حديث رقم (٢٦٥١) ج٣ ص٢٠٣ ، كتاب الشهادات . وكذلك مسلم حديث رقم ٢٥٣٥ ج٤ص١٩٦٤ ، كتاب فضائل الصحابة .

(٢) ابن تيمية . الفتاوى ج١٠ ، ص ٣٥٦-٣٥٨ باختصار .

(٣) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٧٠ ، أحداث سنة ٣١٧ هـ .

الزندقة [1] وكان له أتباع في بغداد وغيرها ، وتغلب البويهيون على الدولة العباسية سنة ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ م ، وظهور مذهب الشيعة في بغداد ، واستقلت الشام ومصر ، وغيرهما ، وتغلب العبيديون على شمال أفريقيا ومصر قال ابن كثير في أحداث سنة ٣٤٧ هـ : ((وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة ؛ من بني بويه ، وبني حمدان ، والفاطميين ، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان ، وغير ذلك من البلاد ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب ، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة)) [2] ، وزاد الانحراف والتفلت من أحكام الدين في القرنين الخامس والسادس الهجري ، ويتضح مدى الانحراف الذي أصاب الناس في دينهم ؛ إذا ما قرأنا كتب التاريخ ، وأيضاً الكتب التي تخصصت في عرض الانحرافات التي أصابت ميدان الدين ، ومن أبرز تلك الكتب ؛ كتاب الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) " تلبيس إبليس " حيث ذكر البدع والانحرافات التي أصابت الأمة الإسلامية في عصره فذكر أبرز الفرق مثل الخوارج والرافضة والباطنية والصوفية ، وبين مكامن الانحراف عند القراء وأصحاب الحديث والفقهاء والزهاد والصوفية والأمراء والولاة والسلاطين والعباد والزهاد وعوام الناس [3] ، وضعفت الدولة الإسلامية تبعاً لضعف الدين في نفوس الناس ، فبدأت الأمم الأخرى تزحف على بلاد المسلمين وكان أبرز تلك الأحداث ظهور الموجة الأولى من الغزو الصليبي لسواحل لبنان وفلسطين ومصر ، وسقوط القدس سنة (٤٩٢ هـ = ١٠٩٨ م)

(١) انظر ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١١ ، ص ١٤١ ، أحداث سنة ٣٠٩هـ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١٢ . ص ٢٤٧ . أحداث سنة ٣٤٧هـ .

(٣) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . مرجع سابق .

واستمر في قبضتهم حتى استرده صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م) [١] ، وفي القرنين السابع والثامن زادت الأحوال سوءاً حيث كان في القرن السابع زحف التتار على الممالك الإسلامية ؛ واقتحموا أسوار بغداد سنة (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) وعاثوا فيها فساداً وقتلاً وتشريداً ؛ حيث قتلوا ما يقارب من ألف ألف نفس وانهارت الخلافة العباسية [٢] ؛ واضطربت أمور المسلمين اضطراباً عظيماً ، وانتقلت الخلافة إلى مصر سنة (٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م) ثم انتقلت إلى الدولة العثمانية سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) ؛ وعادت القوة إلى الدولة الإسلامية بالتزام الخلفاء بدينهم [٣] ، ثم ما لبثوا أن عادوا إلى ما نهوا عنه ؛ فأخذوا يتفلتون من أحكام الشرع ، ثم زادت البدع

---

(١) انظر ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١٢ . ص ٣٤٢ . أحداث سنة ٥٨٣ هـ .

(٢) انظر تلك الأحداث المأسوية في مصادر التاريخ المختلفة . ومنها البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ .

(٣) انظر كتاب عبد اللطيف بن محمد الحميد . سقوط الدولة العثمانية .ص ١٣، ١٤ ، ط ١ . الرياض : مكتبة العبيكان . ١٤١٦ هـ . وذكر قول المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا في تاريخه عندما أورد نص وصية الأمير عثمان – مؤسس الدولة العثمانية لولده أورخان الغازي ومنها : ((أولاً : تمسك في كل أمورك بالشريعة الغراء ، شاور في المهمات أهل الرأي والدهاء ، ثانياً : اعط كل ذي حق حقه من التكرم والإنعام من الخواص والعوام ؛ لا سيما العلماء الأعلام الذين هم دعائم دين الإسلام . ثالثاً : حيث أنك خليفتي من بعدي فتنبه لما هو أعظم ركن من أركان هذا المقام وهو التعظيم لأوامر الله والشفقة على خلق الله ..)) وعلق المؤرخ على هذه الوصية بقوله : ((فعمل حضرة أورخان الغازي بهذه الوصية ، وسلك بنوه فيها على منجهه القويم ؛ وأزالوا عن البلاد غشاوة الظلم ؛ وما كان في بعض الممالك الإسلامية من التعصب المخالف للسنة النبوية ، وسلكوا جادة العدل والدين متمسكين بالشرع المبين)) . وهكذا سار السلاطين الأوائل على هذا المنهج وحققوا إنجازات وفتوحات خلدها التاريخ ومن هؤلاء : مراد الأول (ت ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) ، وبايزيد الأول (ت ٨٠٥ هـ = ١٤٠٣ م) ، ومحمد الفاتح . ت ٨٨٦ هـ = ١٤٨١ م) ، وسليم الأول (ت ٩٢٦ هـ = ١٥٢٠ م) ، ثم بدأ الخلل في الدولة مع إطلالة القرن الحادي عشر الهجري ، وتنبه إلى ذلك أحد علماء الدولة العثمانية وهو الشيخ " حسن كافي " (ت ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م) فألف كتاباً أسماه " أصول الحكم في نظام العالم" .

شيئاً فشيئاً ، وما تخبو ضوء سنة إلا ويحل محلها ظلام بدعة حتى زادت البدع والشركيات في حياة المسلمين ؛ وضعفت تبعاً لذلك الدولة العثمانية الإسلامية ؛ حتى سقطت الخلافة الإسلامية على يد " أتاتورك عام ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م " وحول تركيا إلى بلد علماني ، وأصبح الإسلام غريباً ، ومن يلتزم بأحكامه غريباً بين الناس ، وتحقق قول الرسول ﷺ : (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدا غريباً فطوبى للغرباء**) [1] ، فانتاب الدين غربة أخرى [2] ، وأصبحت ديار المسلمين مطمعاً للغزاة ؛ فعاد الصليبيون مرة أخرى إلى بلاد المسلمين ؛ ولكنهم لم يواجهوا ما واجهه أجدادهم الأوائل ؛ من مقاومة ضارية ، لقد واجهوا شعوباً متفلتة من أحكام دينها ؛ غائبة عن الوعي والرشد ، قد حل البؤس والفقر والجهل والفرقة والخلاف في ربوعها ، ففرح الصليبيون الجدد بتلك الغنيمة الباردة ؛ ووجدوا فرصتهم سانحة للانتقام والاستيلاء على الممالك الإسلامية ، ولنهب الخيرات وبث الفرقة وتعميم الجهل ، ومحاربة الدين وتحريفه ، فسلم الصليبيون فلسطين إلى اليهود ليقيموا دولة يهودية فيها ويجعلوا القدس عاصمة لهم .

---

(١) رواه مسلم .ج ١ . ص ١٣٠ . من طريق أبي هريرة . كتاب الإيمان . حديث رقم ١٤٥ واللفظ له ، ورواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود . ج ٤ . ص١٢٩ . كتاب الإيمان . باب / ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً . حديث رقم ٢٧٦٤ .وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة . ج ٣ . ص ٢٦٧ . حديث رقم ١٢٧٣ .

(٢) يصف تلك الغربة الأستاذ محمد قطب بالتيه ، فألف كتاباً بعنوان " هلم نخرج من ظلمات التيه " ط١ . الرياض . دار الوطن . ١٤١٥ هـ ، وله كتاب نفيس تناول فيه جذور انحراف الأمة حتى عصرنا الحاضر وعنوانه " واقعنا المعاصر " ط ١ . جدة . مؤسسة المدينة . ١٤٠٧ هـ .

ورحمة بهذه الأمة ظهر المجددون لدين الله مرة أخرى ، وكان أبرز أولئك المجددين في القرنيين الماضيين هو الأمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١ م) الذي ناصره وأزره الأمير محمد بن سعود (ت ١١٧٩ هـ = ١٧٦٥ م) ؛ لتجديد الدين في جزيرة العرب ، فهدم الأضرحة ، وحارب الشرك ، وأعلن قيام دولة التوحيد ، فعادت جزيرة العرب مصدر إشعاع للصحوة الإسلامية المعاصرة ، وظهر مجددون آخرون في بقاع شتى من العالم الإسلامي أبرزهم في القرن الرابع عشر الهجري الإمام حسن البنا في مصر رحمه الله (ت ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٨ م) ، ثم بدأت الصحوة الإسلامية تنتشر في بقاع العالم الإسلامي في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ؛ ومطلع القرن الخامس عشر ؛ حتى شملت أغلب بلاد العالم الإسلامي في جزيرة العرب في السعودية ، واليمن ، ودول الخليج ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، وفلسطين ، ولبنان ، وأفغانستان ، والبوسنة والهرسك ، وغيرها بل أن المسلمين الذين في أوربا وأمريكا ظهرت بينهم الصحوة ؛ وعادت روح الالتزام بالدين في المسلمين تارة أخرى .

وتلك الصحوة مازالت مقصورة على طائفة من الناس لأن أغلب المسلمين ما زالوا حتى اليوم متفلتين من أحكام الدين ؛ فما زالت البدع والشركيات وترك أوامر الدين ؛ شائعة بين عوام المسلمين في أغلب البلاد الإسلامية ، وأصبح من يدخل في زمرة التائبين والعائدين إلى الله بمثابة غريب بين الناس ، وأصبح المنكر معروفاً ؛ والمعروف منكراً .

وإن من المثير للجدل الآن لدى من يراقب أحوال الشعوب الإسلامية هو ظاهرة " الصحوة " لأن ما أصاب المسلمين في القرنين السابقين من الأهوال

والمصائب التي أوهنت الدين ، وضاعت خلالها بلاد المسلمين واختفت معالم ثقافتهم وهويتهم الحضارية ، وجاء الصليبيون والشيوعيون ليجوسوا خلال الديار ، ويسحقوا بقايا معالم الدين .

ومع كل ذلك ظهرت الصحوة الإسلامية مرة أخرى على موعد لم يكن أحد يصدق أنها ستعود ، فمع الجهل و الفقر والفرقة دبت الحياة مرة أخرى في مشهد يخلب العقول والأبصار ، وهذا دين الله ، والله غالب على أمره ولو كره المشركون .

ثانياً : ركود وجمود الحركة العلمية

مرت الحركة العلمية في كافة الميادين بمراحل ازدهار ، ثم ركود ثم جمود ، وأول ميادين العلوم التي أصيبت بالركود هو ميدان العلوم الشرعية ، ثم سرى ذلك الركود إلى بقية الميادين ، لأن العلوم الشرعية هي الأصل ، وهي الموجه والمرشد لبقية ميادين العلوم ، فما يحدث فيها من ازدهار ؛ أو ركود ، وفتور وجمود ، ينعكس بدوره على بقية الميادين ، والمتأمل في تاريخ حركة العلوم الشرعية وغيرها ؛ يجد أنها مرت بمراحل مختلفة من الازدهار والركود [1] ، إلا أنهم يجمعون على أن القرون الثلاثة الأولى هي عصر ازدهار لكافة العلوم وخاصة العلوم الشرعية ، ومن ثم في القرن الرابع الهجري بدا الركود يجتاح ميدان العلوم الشرعية ، ومن ثم سرى الركود إلى ميدان العلوم الإنسانية

(١) انظر د . عمر سليمان الأشقر . تاريخ الفقه الإسلامي . مرجع سابق . وكذلك د . ماجد عرسان الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . ط ٢ . المدينة المنورة .دار التراث . ١٤٠هـ .

والاجتماعية ، ثم سرى إلى ميدان العلوم الطبيعية وسنلقي باختصار الضوء على الانحرافات التي أصابت الحركة العلمية وأثرت فيها .

١- ميدان العلوم الشرعية :

كان أبرز ما يميز القرون الثلاثة الفاضلة الأولى ؛ هو الازدهار في حركة العلوم الشرعية ، إذ لم يكن التقليد معروفاً ، وكان الاجتهاد سمة مميزة للعلماء فلم تكن المذاهب الفقهية معروفة ، ولم يكن عامة الناس يقتصرون على تقليد عالم بعينه ، وكان من أهم سمات عصر الازدهار هو الإبداع في التصانيف وفتح ميادين علوم جديدة تواكب حركة التوسع في العلوم الشرعية فابتدعت أصول الفقه ، ودون الحديث ، وابتدع فيه قواعد الحديث ، والجرح والتعديل وظهرت التخصصات المختلفة ، في السيرة ، والتاريخ ، والفقه ، والحديث واللغة ، والتفسير ، والعقيدة ، وغير ذلك ، وكان أهم تلك الأحداث هو ظهور التخصصات المختلفة وتقعيد أصولها ومناهجها وميادينها [١] فظهر أصول الفقه منهجاً للبحث الفقهي [٢] وظهر مصطلح الحديث منهجاً للبحث في الحديث .

لكن أهم سمات العصر هو أن طلبة العلم يتلقون منهجية شاملة [٣] كما هو واضح في سير علماء تلك الفترة من فقهاء ، ومحدثين ، حتى أن الفقيه نجده

(١) انظر عمر سليمان الأشقر . تاريخ الفقه الإسلامي . مرجع سابق . الفصل الثاني والثالث والرابع .

(٢) عبد الوهاب أبو سليمان . الفكر الأصولي دراسة تحليلية ونقدية . مرجع سابق .

(٣) المنهجية الشاملة : هي أن يتعلم الطالب مناهج البحث المختلفة في ميادين العلوم الشرعية ، فيتعلم أساليب الفقهاء في الاستنباط ، وأساليب المحدثين في ضبط الرواية ، والسند ، وأساليب اللغة ونحو ذلك مما يجعله مؤهلاً للاجتهاد والاستنباط .

من رواة الحديث ، والمحدث يستنبط ويفتي [1] وإن تميز في أواخر تلك الفترة بظهور " مدرسة أهل الرأي " و " مدرسة أهل الحديث " ، لكن لم يهمل أهل الرأي الحديث البتة ، ولم يهمل أهل الحديث الفقه البتة ، ولكن غلب على أهل الحديث الاهتمام بالحديث ، وعلى أهل الرأي الاهتمام بالفقه والتفريع على المسائل الفقهية [2] ، وفي أواخر القرن الثالث بدأت تتبلور " مدارس الفقه "مثل الأحناف ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة .

وتميزت مرحلة الازدهار بنشاط الحركة العلمية ، واندفاع طلبة العلم إلى إفناء أعمارهم في طلب العلم ونشره والرحلة في طلب العلم وتحمل المشاق ، والصبر الشديد ، والزهد ، والورع والتقوى ، ومظاهر الخشوع والعبادة ، والتواضع ، والحلم ، ونحو ذلك من الصفات التي تفوح بها سيرهم الطاهرة ، كذلك تميزت بتصدي العلماء للانحرافات التي حدثت في عصرهم مثل محاربة البدع ومواجهة أصحابها ، كما فعل الإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن وغيره من العلماء [3] وكذلك اهتماهم الشديد بالتربية العقلية ، والمتمثل في غرس المعيار الشرعي الذي توزن به الأمور ، وتقعيدهم لمفهوم " البدعة " و " السنة " [4] ، وكذلك اهتماهم بالمنهجية العلمية الدقيقة ،

---

(١) انظر . سير علماء تلك الفترة في كتب السير الطبقات المختلفة ، على سبيل المثال : الذهبي . سير أعلام النبلاء . تحقيق شعيب الأرنؤوط . ط ٧ . مؤسسة الرسالة . ١٤١٠ هـ .

(٢) انظر عمر سليمان الأشقر . تاريخ الفقه الإسلامي . مرجع سابق . ص ٨١ وما بعدها .

(٣) انظر ابن كثير . ج ١٠ . ص ٢٩٦ .

(٤) انظر على سبيل المثال : السيوطي جلال الدين عبد الرحيم بن أبى بكر . الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع . تحقيق ذيب القحطاني . ط . المدينة المنورة . مطابع الرشيد . ١٤٠٩ هـ .

كذلك : أحمد بن حجر النعلي . تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين . ط٢ . الكويت . مكتبة ابن تيمية . ١٤٠٣ هـ .

فلا يقبل الباحث قولاً دون برهان ، وإن كان حديثاً فلا بد من سند ، ولا بد من نقد السند وفق قواعد دقيقة ، لا يمر من خلالها إلا الحديث الصحيح ، وكذلك عدم قبول أي رأي دون برهان ، وكراهيتهم الشديدة للتقليد ، ولقبول الرأي دون حجة وبرهان وتحذيرهم من مغبة ذلك وما يؤول إليه [1]

كذلك كانت روح المشاورة والتناصح ، تتميز في مناظرات السلف التي لم يكن يقصد بها المباهاة ، أو التفاخر ، أو العلو على الناس ، بل كان الهدف منها التعاون على استخراج الحق [2] فنجد ذلك في مناقشتهم ورسائل بعضهم إلى بعض ، ونجد للعالم أكثر من رأي في المسألة ، فكلما استبان له دليل عمل به ، ولا يخجل أن يرجع عما أفتى به سابقاً ، ولا يخجل أيضاً أن يقول لا أدري ولا أعلم [3] .

هذه أهم سمات تلك المرحلة ، ثم تسلل الركود إلى الحركة العلمية ، فبدأ يجتاحها في القرن الرابع الهجري ، ثم ركدت فيه ، وبعد ذلك أصابها الجمود وأهم سمات عصور الركود والجمود بروز ظاهرة التقليد في الفقه ، والتعصب المذهبي ، واختفاء الاجتهاد ، وإغلاق بابه ، وكثرة الخلافات ، وتحول المناظرات العلمية لنصرة المذاهب ، وظهور المختصرات الفقهية ، وشروحها ، ودورانها حول فقه العصور الفاضلة ، مع التفريع الشديد ، والتعصب لرأي وتحول الناس إلى المذاهب الفقهية المتبوعة ، وتركيز طلبة العلم على

---

(١) انظر ابن تيمية . مجموع الفتاوى . مرجع سابق . ج ٢٠ . ص ٢١٠ .

(٢) انظر أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين . ج ١ . ص ٤٢ .

(٣) من هؤلاء الإمام مالك قال الهيثم بن جميل : سمعت مالكاً سئل عن ثمان وأربعين مسألة فأجاب في أثنين وثلاثين منها " لا أدري " ، وكذلك روي عن خالد بن خداش قال :(قدمت على مالك بأربعين مسألة فما أجابني منها إلا في خمسة مسائل) . انظر سير أعلام النبلاء . ج ٨ . ص ٧٧ .

المختصرات الفقهية [1] ، فكان أبرز سمات تلك الفترة هي بروز ظاهرة " المنهجية الجزئية " [2] ، فأصبح بعض الفقهاء يقتصرون على مناهج البحث في الفقه ، والمتمثل في أصول الفقه ، والعلوم المرتبطة بها ، مع إهمالهم لمناهج البحث في العقيدة أو في الحديث ، وغير ذلك مما ترتب عليه مفاسد كثيرة ، من ذلك نجد الفقيه يفتي بأحاديث ضعيفة ، بل قد تكون موضوعة ، وفي المسألة أحاديث صحيحة ، وقد يجتهد ويقيس وفي المسألة أحاديث كثيرة يجهلها ، وأبرز مثال لذلك أبو حامد الغزالي في كتابه الشهير " إحياء علوم الدين " الذي استشهد فيه بأحاديث كثيرة ضعيفة لا يحتج بها ، وقد تتبعه العراقي وخرج أحاديث كتابه ، ومن اطلع على تخريج العراقي يصاب بالذهول كيف يجهل مثل الغزالي ذلك الكم الكبير من الأحاديث [3] ، وليس ذلك الاختلال في المنهجية قاصراً على الإمام أبي حامد الغزالي يرحمه الله ، لكن ذلك كان سمة في كثير من المؤلفات في عصور الركود والجمود [4] كذلك بعض المحدثين نجد أنهم يفنون أعمارهم في طلب الحديث ، وروايته ، ومع ذلك يهملون منهجية الفقه ، يقول ابن الجوزي : ((فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ، ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ، ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهة الذين يترددون إليه

(١) انظر عمر سليمان الأشقر . تاريخ الفقه الإسلامي . مرجع سابق . ص ١١٥ وما بعدها .

(٢) المنهجية الجزئية : هي تعلم أن يتعلم الطالب مناهج بحث ميدان محدد ويقتصر عليه ، ويفني عمره في ذلك التخصص ، ويهمل مناهج البحث في العلوم الأخرى .

(٣) انظر . زين الدين العراقي . المغني عن حمل الأسفا ر في الأسفار . وهو ملحق بكتاب إحياء علوم الدين . طبعة دار المعرفة . دون تاريخ .

(٤) انظر ابن الجوزي . تلبيس إبليس . ص ١٣٧ - ١٣٨ . مرجع سابق .

لسماع الحديث وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين ، فقالوا زوامل أسفار لا يدرون ما فيها فإن أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهمه العامي الجاهل ، وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث ، كما روينا أن بعض المحدثين روى عن الرسول ﷺ أنه نهى عن أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره [1] ، فقال جماعة ممن حضر : قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا، ونحن نستغفر الله ، فما فهم القارئ ولا السامع ، ولا شعروا أن المراد " وطء الحبالى " من السبايا ؟ قال الخطابي : وكان بعض مشايخنا يروي الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الحلْق قبل الصلاة يوم الجمعة [2] " بإسكان اللام " قال وأخبرني أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة ، فقلت له إنما هو الحِلَق جمع حلقة ، وإنما كُره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة ، وأمر أن يشتغل بالصلاة ، وينصت للخطبة ، فقال : " قد فرجت علي " وكان من الصالحين [3] .

كذلك نجد أن كثيراً من المشاهير الفقهاء ، قد وقعوا في أخطاء كبيرة عند حديثهم على بعض مسائل العقائد كالصفات ، وذلك لقصور منهجيتهم في

---

(١) حديث : (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره) رواه أبو داود ج ٢ . ص ٢٤٨ . حديث رقم ٢١٥٨ . كتاب النكاح . والترمذي ج ٢ . ص ٢٩٩ . كتاب النكاح . باب الرجل يشتري الجارية وهي حامل ، ولفظ الترمذي ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه ولد غيره)) وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن رويفع بن ثابت ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، لا يرون للرجل إذا اشترى جارية وهي حامل أن يطأها حتى تضع .

(٢) حديث : أن الرسول ﷺ نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة ، جزء من حديث خرجه أبو داود عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . ج ١ . ص ٢٨٣ . كتاب الصلاة . باب التحلق قبل الصلاة . حديث رقم ١٠٧٩ .

(٣) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . مرجع سابق . ص ١٣٣.

مجال العقائد ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه : ((ولهذا نجد جمهور أهل الكلام من أبعد الناس عن معرفة الحديث وأقوال الصحابة ، ويذكرون أحاديث يظنونها صحيحة ، وتكون من الموضوعات المكذوبات ، وأحاديث تكون صحيحة متلقاة بالقبول ، بل مجمع على تلقيها بالقبول وصحتها عند علماء أهل الحديث وهم يكذبون بها ، أو يرتابون فيها)) [1] .

كذلك المفسرون أكثروا من نقل الروايات دون تحقيق في السند ، مما جعل بعض كتب التفسير مليئة بالأحاديث الضعيفة والإسرائيليات التي تصرف عقل المسلم عن فهم الآية [2] .

إن " للمنهجية الجزئية " آثاراً بالغة في مسيرة الحركة العلمية فقد ساهمت في ترسيخ ظاهرة التقليد ، إذ أن من يقتصر على تعلم فن واحد ؛ لا يمكن أن يبدع فيه إذ لم يجد العلوم الأخرى ، فالعلوم الشرعية وحدة مرتبطة يخدم بعضها بعضاً ، لكن في عصور الجمود ظهر الميل نحو " التخصص المبكر " ثم استمرار الطالب في تخصصه فلا يتعلم إلا منهجية تخصصه ، وتلك " المنهجية الجزئية " غير الشاملة لا تتيح للطالب فرصة النظرة الشاملة التي تعتبر بمثابة الأرضية ينطلق منها نحو الإبداع ، أو النقد والنظرة الفاحصة ، فنرى أغلب المؤلفات في عصور الركود والجمود تدور حول شرح أو اختصار ما ألف في عصور الازدهار .

---

(١) انظر عبد الرحمن الفريوائي . تراث المسلمين العلمي في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية . ص ١٤٢ ومابعدها ط ٢ .الرياض . دار الأثر . ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٣٠ .

وإن كان هذا هو الطابع العام للحركة العلمية ، إلا إن هناك علماء استطاعوا أن يتجاوزوا قيود التقليد والنظرة الجزئية المحدودة ، فاجتهدوا وأثروا ساحة العلوم الشرعية في كافة التخصصات ، وأبرز هؤلاء كان شيخ الإسلام ابن تيميه ، وفي كتبه يتضح أنه أحاط بكافة مناهج العلوم المختلفة ، سواء في الفقه أو التفسير أو العقائد أو الحديث أو الملل والنحل أو الفلسفة والمنطق وغير ذلك ، وكان أهم أعماله قاطبة هو تجديد " منهج السلف " وبيان المعيار الشرعي في كافة ميادين العلوم وخاصة في ميدان العقيدة .

٢- في ميدان العلوم الطبيعية :

أ- ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية :

مرت هذه العلوم بمرحلتين ، مرحلة ازدهار ، ثم مرحلة ركود وجمود ، فمرحلة الازدهار تمت في القرون الأربعة الأولى ، وتميزت تلك المرحلة بفتح ميادينها ، وتأسيس مناهجها .

ففي علم التاريخ : ابتكروا " منهج البحث التاريخي " المبني على السند ، ونقد الرواية ، فأصبحت الأحداث التاريخية لا تنقل إلا بسند ، وتخضع للدراسة والتمحيص ، فلا تقبل الأقوال إلا ببرهان ، وقسم التاريخ إلى فروع كثيرة ، منها ما يخص سيرة الرسول ﷺ ، وأخبار الصحابة ﷺ ، وتاريخ الدول ، وتاريخ الملوك ، وتاريخ المدن ، وتاريخ الفرق والمذاهب ، وطبقات العلماء في مختلف الفنون ونحو ذلك .

وفي ميدان اللغة : استنبطت قواعد اللغة ، وموازين الشعر والمعاجم [(١)] .

وفي ميدان علم النفس : أُسس منهج الدراسات النفسية كما هو واضح في الكتب التي تناولت قضايا علم النفس ، ففي بحثهم للروح والنفس ، والقلب والعقل استندوا على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار المروية من أقوال السلف من الصحابة والتابعين ، وجمع ابن قيم الجوزية في كتابه " الروح " آرائهم في الروح والنفس ، وهناك فرع آخر يبحث في أمراض القلب مثل : الحسد ، والبخل ، والنفاق ، والرياء ونحو ذلك .

---

(١) قواعد اللغة استنبطها أبو الأسود الدؤلي ، ومن المشاهير في هذا العلم : أبو عمرو بن العلاء ، وأبو عمرو الشيباني ، وابن الأعرابي ، وسيبويه ، والفراء ، والكسائي ، واستنبط موازين الشعر الخليل بن أحمد (ت سنة ١٧٠هـ) وله كتاب " العين " أول معجم في اللغة . انظر ابن النديم . الفهرست . ص٣٦ وما بعدها .

واهتم الصوفية بهذا المجال وأكثروا من التفريع فيه [1] ، كذلك بحثوا في علاج الصرع والمس والسحر والعين ونحو ذلك معتمدين على الآثار النبوية في هذا الميدان بالإضافة إلى ملاحظاتهم الشخصية .

وفي ميدان علم الاجتماع : فقد اهتموا بدراسة خصائص الأمة الإسلامية [2] ، كذلك استفادوا كثيراً من سنن الاجتماع البشري المبثوثة في القرآن الكريم ، فاهتموا بمحاربة الآفات التي تفتك بالأمة فيقع عليها العذاب كما وقع على الأمم السابقة ، فحذروا من مغبة الصور وتعظيم الصور لئلا يقعوا في الشرك كما حدث عند قوم نوح عندما عظموا أكابرهم ثم عبدوهم [3] ، كذلك حذروا من تقليد الآباء الجاهلين الضالين ، لأنه أحد الطرق التي ساهمت في الكفر بالرسل عند الأقوام السابقة .

---

(١) انظر : أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين . ج١ .

(٢) انظر : ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم . وتضمن كتابه أقوال كثير من السلف في بيان هدي الأمة الظاهر .

(٣) انظر : القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج١٨ ، ص٣٠٧ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ . عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (سورة نوح ، آية ٢٣) .

ب- وفي ميدان التربية والتعليم :

كانت جهود العلماء والمربين تصب في تربية النشء على عقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه وآدابه ، وتشارك المؤسسات التربوية المختلفة في ذلك الجهد من أسرة ، وكتاتيب ، ومسجد ، وكان المسجد بمثابة مدرسة أو جامعة مفتوحة يجتمع الناس ويتعلمون فيه شؤون دينهم .

إن أهم ما يميز ميدان التربية والتعليم هو بناء " نظام تعليمي " يعتمد على أساسين رئيسيين هما : مراعاة الفروق الفردية ، ومراعاة الميول والاهتمامات والتي أصبحت سمة مميزة للنظام التعليمي الإسلامي في القرون اللاحقة .

فمحتوى المنهاج لم يكن يعتمد على " مواد إجبارية " ما عدا القرآن الكريم وأحكام الشرع التي هي فرض عين ، واللغة العربية قراءةً وكتابةً ، مفتاحاً للعلوم . أما غير ذلك فهو اختياري حسب ميول الطالب كذلك كانت مراعاة الفروق الفردية سمة مميزة لعدم اعتمادهم في التعليم وقتاً محدداً وامتحاناً محدداً ، فكان الطالب يحضر الدروس ، ويحصل على الإجازة التي هي بمثابة شهادة في الكتاب الذي يدرسه الشيخ بعد أن يتأكد أنه استحقها ، وقد استمر هذا النظام حتى مجيء الاستعمار في أيامنا فأزاله وأقام نظام المدرسة الغربي الحديث المعاصر .

أما طريقة تعليم العلوم الشرعية فإنها تعتمد على تعليم القرآن والسنة مباشرةً فلم تكن هناك مختصرات فقهية ونحو ذلك ، إذ أن التقليد لم يكن معروفاً في القرون الثلاثة الأولى لذلك فقد ساهم هذا المنهج في تهيئة السبيل نحو

استمرار ظاهرة الاجتهاد ، ولكن بعد أن ظهرت المختصرات الفقهية وأُقِر التقليد ضعفت حركة الاجتهاد حتى أغلق بابه [1] .

وأهم ما يميز العلوم الاجتماعية والإنسانية هو " المنهجية الشاملة " التي ترتب عليها " الرؤية الشاملة " لأن العلوم الاجتماعية والإنسانية هي في أصولها وقواعدها جزء من العلوم الشرعية ، فالعلماء الذين ساهموا في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية كانوا في الأصل علماء في ميدان العلوم الشرعية فكانت آرائهم في التربية ، أو علم النفس ، أو علم الاجتماع منطلقة من فهم الآيات " القرآنية " والأحاديث النبوية مما جعلها أكثر نفعاً للمجتمع في تلك العصور ، نلاحظ ذلك في آراء الذين ساهموا بآراء تربوية في القرن الهجري الأول ، منهم : علي بن أبي طالب ﷺ (ت : ٤١هـ = ٦٦١م) وعبد الله بن مسعود ﷺ (ت : ٣٢هـ = ٦٥٢م) والزهري (ت : ١٢٤هـ = ٧٤١م) [2] ، وفي القرن الثاني الهجري : الإمام أبو حنيفة (ت : ١٥٠هـ = ٧٦٧م) ومالك (ت : ١٧٩هـ = ٧٩٥م) والشافعي (ت : ٢٠٤هـ = ٨١٩م) [3] ، ثم في القرنين الثالث والرابع الهجريين : ابن سحنون (ت : ٢٥٦هـ = ٨٦٩م) والآجري (ت : ٣٦٠هـ = ٩٧٠م) والقابسي (ت : ٤٠٣هـ = ١٠١٢م) وغيرهم [4] .

---

(١) انظر عن آثار المختصرات في التعلم : ابن خلدون . المقدمة . ص٧٣٣ .

(٢) ماجد الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية . مرجع سابق . ص٧٠ .

(٣) المرجع السابق . ص ٨٨ - ٩١ .

(٤) المرجع السابق . ص١٠٧ .

وكان من أبرز سمات الحركة العلمية في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية فتح ميادين جديدة تواكب تغير الحياة الاجتماعية [1] .

عصر الركود والجمود :

تسلل الركود والجمود إلى ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية لأسباب كثيرة أهمها : أن تلك العلوم مرتبطة بميدان العلوم الشرعية فما يحدث في ذلك الميدان ينعكس عليها ، وكما أشرنا سابقاً ، أن العلوم الشرعية أصابها الجمود في القرن الرابع والخامس الهجري ، وتبلورت المدارس الفقهية ، وفتح باب التقليد ، وأغلق باب الاجتهاد ، وانعكس ذلك على ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وكان من أبرز سماتها في عصر الركود والجمود ، هو الانقسامات التي حدثت في ميدان العلوم الشرعية ، فأصبح للفقهاء أراء تربوية مبنية على منهجهم الفقهي ، فيبحثون مسائل التربية والتعليم مقتصرين على الأحكام الفقهية ، ومستندين على أصول مذاهبهم الفقهية ، كما فعل الزرنوجي ، وابن جماعة [2] .

كذلك أصبح للصوفية أراء تربوية تمثل ثمرة طريقهم الذي انتهجوه من تطهير الباطن ، والاهتمام بتربية المريد والسالك على ما ورثوه من أسلافهم ، وعلى ما زادوه من " بدع " جديدة [3] .

---

(١) ففي القرن الهجري الأول توسع المنهاج ليشمل ميادين جديدة منها : الاهتمام باللغة والحديث النبوي الشريف ، ثم توسع في القرن الثاني الهجري ليشمل فروعاً كثيرة كالتاريخ والسيرة ، والحساب وغير ذلك . انظر ماجد الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية .ص ٧١ . وما بعدها عن القرن الأول ، وَ ص ٨٨ وما بعدها عن القرن الثاني الهجري . وَ ص ١٠٣ عن القرن الثالث والرابع الهجريين .

(٢) انظر ماجد الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية . ص ١٨٨ . مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق . ص ٢٢٥ .

ومن سمات الركود والجمود أيضاً ضيق مفهوم " المنهاج " ، وترديد معارف السلف ، وتعزيز التعصب المذهبي [1] .

هذا الطابع العام في عصور الركود والجمود ، لكن كان هناك حالات استثنائية ، يبرز فيها " مجددون " ساهموا بنظريات في ميادين تلك العلوم ، كما فعل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) في مقدمة تاريخه ، عندما بحث في سنن الاجتماع البشري ؛ مسترشداً بتجربته التاريخية ، ومنهجيته الشاملة ، فأثرى ميدان علم الاجتماع بنظرياته وأرائه ، كذلك قبله جهود شيخ الإسلام ابن تيميه (ت ٧٢٨ هـ = ١٣٢٧ م) في إصلاح الخلل الذي أصاب ميادين العلوم المختلفة بسبب النظرة " الجزئية " ، وذلك بأن بحث في مكامن الخلل في مختلف العلوم الشائعة في عصره ، فانتقد الفلاسفة والصوفية والمنطقيين وغيرهم .

إلا أن جهود أولئك العلماء الأفذاذ ؛ لم تُعد الحركة العلمية على ما كانت عليه في القرون الفاضلة ، وذلك بسبب التردي العام في الحركة العلمية ، ولكنها ساهمت في إيقاف حركة التردي من ناحية ، وإيقاظ همم طلاب العلم من ناحية أخرى ، فبعثت روح النشاط في الحركة العلمية ، خاصة في القرن السابع والثامن الهجريين ، كما هو واضح في جهود ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م) والذهبي (ت ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) وابن رجب (ت ٧٥٩ هـ = ١٣٩٢ م) وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) ونحوهم ، إلا أن الركود والفتور عادا مرة أخرى ، لأن آفات الجمود والركود لم تنزع من الحركة العلمية ، وأبرزها " التقليد ، والتعصب

---

(١) المرجع السابق . ص ٢١١ .

المذهبي " و " المنهجية الجزئيـة " وقـد حـاول الشـوكاني (ت ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) في القرن الثالث عشر أن يُعيد الحركة العلمية إلى سابق عهدهـا ، فبذل جهده في محاربة التقليد ، وكان يدرس علوم الاجتهاد في " صنعاء " وله كتاب قيم ذكر فيه منهجه في تدريس علوم الاجتهاد وتجربته في ذلك ، اسماه " أدب الطلـب ومنتهـى الأدب " [١] ، وتضمـن الكتـاب وصفـاً لأحـوال الحركة العلمية في عصره ، واتصافها بالتعصب المذهبي والنظرة الجزئية [٢] .

في ميدان العلوم الطبيعية :

كانت جهود العلماء في القـرن الأول الهجـري منصبـة علـى نشـر الديـن ، ومحاربـة الطغيـان والإرهـاب الفكـري ، فـأزالوا دولـة الطغيـان في فـارس ، وكذلك أزالوا طغيان الروم عن الشام وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وغيرهـا من البلدان ، وحرروا الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده لا شـريك له ، فكان الجهاد ونشر الدين ؛ وتحرير الناس من رق الأوثان هدفهم الأول ، وكان المسلمون الجدد من أبناء فـارس ، والـروم ، وغـيرهم ينقلـون علومهـم الطبيعيـة وصناعـاتهم ، وأسـاليبهم في الـري والزراعـة ، والبنـاء وغيرهـا إلى المسلمين ، فقد أخذ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأساليب الفـرس في تدويـن الدواوين [٣] أداة لتنظيـم أحـوال النـاس والجنـد ، كذلـك استعان المسـلمون بالمهندسين الروم في البناء ، وفي صناعاتهم الحرفية والمهنيـة ، حتـى أن الوليـد

---

(١) الشوكاني . أدب الطلب ومنتهـى الأدب . تحقيـق محمـد صبحي حـلاق .القـاهرة . مكتبـة ابـن تيميـة . ١٤١٥هـ .

(٢) انظر مقدمة المؤلف . ص ٢١ وما بعدها .

(٣) انظر ابن دقماق . الجوهر الثمين . ص ٣٥ . مرجع سابق .

ابن عبد الملك بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعاً في الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارة مسجد دمشق ، فأرسل إليه مائتي صانع [١] .

أما في القرن الثاني الهجري ، والذي شهد توقف زخم الجهاد والفتح الإسلامي ، واستقر المسلمون في المدن ، بدأت تشهد المدن الإسلامية نهضة علمية ، وإدارية ، وصناعية ، اقتضاها تزايد السكان وكثرة الأموال ، ووفود الكفاءات المتنوعة من مختلف الأمم الذين دخلوا في الإسلام ، واستمرت تلك النهضة في القرن الثالث الهجري ، وأخذت العلوم الطبيعية دفعة جديدة من الفاعلية بدخول الكتب المترجمة ، حيث ترجمت كتب اليونان والفرس في مختلف التخصصات ، في الفلك والكيمياء والفلسفة والمنطق والطب وغير ذلك [٢] ، وكان الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ = ٧٣٣ م) من أبرز الخلفاء الذين اهتموا بها ودفع أموالاً طائلة لجلبها وترجمتها ، وأغرت تلك الكتب المترجمة بعض المثقفين المسلمين يحدوهم حب الاستطلاع لقراءتها [٣] لكن تلك العلوم وإن كان فيها منفعة إلا أنه حدث من جراء ترجمتها ، وعدم قدرة المختصين فيها من تطهيرها من الأفكار الوثنية ، أثار سيئة على الحركة العلمية في القرون اللاحقة ، إذ ظهرت أول بوادر الانحراف في مناهج البحث العلمي وذلك أن الكتب المترجمة كانت تحمل معها طرائق للتفكير ومناهج للبحث غريبة عن طرائق التفكير ومناهج البحث الإسلامية فأغرت مناهج البحث تلك بعض المسلمين فأعجبوا بها ، وظنوا أنها لا تعارض الشريعة الإسلامية ،

---

(١) ابن كثير . البداية والنهاية . ج ٩ . ص ١٥٤ .

(٢) عن حركة الترجمة والمساهمين فيها . انظر ابن النديم . الفهرست . المقالة السابعة . ص ٣٠٢ .

(٣) عن أسباب الترجمة وعواملها . انظر . ابن خلدون . المقدمة . الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون . ضبط خليل شحادة . ص ٧٠٧ . دار الفكر . ١٤٠١ هـ =١٩٨٠م .

وكان ذلك سبباً في ظهور أولئك المثقفين الذين نهلوا من معين الكتب المترجمة ولم يكونوا على أساس متين من الثقافة الشرعية ، كذلك كانت الترجمة دون نقد بل إن المترجمين أنفسهم كان بعضهم يهوداً أو نصارى [1] ، وأخطر آثار الكتب المترجمة هو اقتباس المناهج التي فيها ، واعتمادها واعتبارها مناهج يمكن أن تساهم في البحث في العلوم الشرعية ، فدخل " المنطق " إلى مباحث أصول الفقه ، وأصبح في عصور الجمود جزءاً من مقرراتها [2] وظهر " علم الكلام " وانتشرت الفلسفة والفكر الفلسفي بما يحمله من أساليب بحث وطرائق تفكير عقيمة .

ولقد تنبه المسلمون في القرن الأول إلى خطورتها ، فقد رُويَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه استشاره سعد بن أبي وقاص في كتب أصابها في فارس فأمره بحرقها [3] ، وقد اقتبس المسلمون في القرن الأول والثاني بعض خبرات الشعوب الأخرى ماعدا ميدان " المناهج ، وطرائق التفكير ، والاستنباط " فقد اعتبروها جزءاً من الدين يلتزم بها المسلم كما يلتزم بدينه .

قال الشافعي رحمه الله : ((لأن يلقى الله عز وجل العبد بذنب ماخلا الشرك بالله ، خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام)) وقال أيضاً : ((قد اطلعت من أهل الكلام بشيء ما ظننته قط ، لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام)) وقال : ((إذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى ؟ فاشهد بأنه من أهل الكلام

(١) انظر : ابن النديم . الفهرست . ص٣٠٤ .

(٢) انظر : ابن تيمية . الرد على المنطقيين .

(٣) ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم . ص١٢٦ .

ولا دين له)) . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ((لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل)) وقال أيضاً : ((علماء الكلام زنادقة)) ، وقال مالك رحمه الله : ((لا تجوز شهادة أهل البدع)) ، فقال بعض أصحابه في تأويله : ((أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام)) ، وقال أبو يوسف رحمه الله: ((من طلب العلم بالكلام تزندق)) وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . [1]

وعلل ابن الجوزي سبب افتتان بعض الناس بالفلسفة اليونانية فقال : ((وقد لبَّس إبليس على أقوام من ملتنا ، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب إتباع الفلاسفة ، لكونهم حكماء وقد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء ، وكمال الفطنة ، كما يُنقَلُ عن حكمة سقراط ، وأبقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو طاليس)) [2]

إن المنطق لم يكن صالحاً منهجاً علمياً يمكن أن يساهم في تقدم المعرفة ، فهو كما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد)) [3] وقال : ((ولا تجد أحداً من أهل الأرض حقق علماً من العلوم وصار إماماً فيه مستعيناً بصناعة المنطق ، لا من العلوم الدينية ولا غيرها ، فالأطباء والحُسَّاب والكتَّاب ونحوهم يحققون ما يحققون من علومهم وصناعتهم بغير صناعة المنطق)) [4] .

---

(١) الغزالي . إحياء علوم الدين . ج١ ، ص١٢٦ .

(٢) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . ص٥٩ .

(٣) ابن تيمية . الفتاوى . ج٩ ، ص٨٢ .

(٤) ابن تيمية . المرجع السابق . ج٩ ، ص٢٣ .

وترتب على انحراف مناهج البحث ركود وجمود العلوم الطبيعية ، وعدم الاهتمام بها ، وكذلك ساهم في ذلك الركود والجمود في العلوم الطبيعية ارتباط تلك العلوم بالفلسفة اليونانية التي كانت ملوثة بالفكر اليوناني الوثني فنجد أن الحقائق العلمية مختلطة بالأساطير ، من ذلك علم الفلك الذي ارتبط بالتنجيم ، والكيمياء والذي ارتبط بالسحرة والحواة الذين يخدعون العوام .

وساهم أيضاً في جمود العلوم الطبيعية انصراف طلبة العلم إلى طلب العلم الشرعي وإهمال العلوم الطبيعية ، وقد نبه إلى ذلك أبو حامد الغزالي فقال : ((وكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ، ثم لا نرى أحداً يشتغل به ، ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء)) [1] .

ومع تلك العوامل التي أضعفت حركة العلوم الطبيعية إلا أن المسلمين كان لهم فضل بارز وعظيم في تطورها ، فقد أسسوا المنهج التجريبي ، وقعَّدوا مناهج البحث في مختلف العلوم ، وكان لهم اكتشافات مهمة في كافة الميادين في الرياضيات ، والفلك ، والكيمياء ، والطب ، وفي مختلف الصناعات ، يشهد بذلك الأوروبيون أنفسهم [2] ، لكن زخم الحركة العلمية تباطأ ، وضعف ، وفتر ، فجاء الأوروبيون ونقلوا هذا التراث الضخم ، واندفعوا في

---

(١) الغزالي . إحياء علوم الدين . ج١ ، ص٢١ .

(٢) لمزيد من التوسع عن فضل المسلمين في حركة العلوم الطبيعية ، والصناعة انظر على سبيل المثال : زيغريد هونكه . شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيضون وآخرون . ط٨ - بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

تطويره فحصلوا على نصيب وافر من استثماره فأصبحوا القوة المهيمنة على العالم بقوة العلم ، ومازال المسلمون في مؤخرة الشعوب في هذا الميدان .

إن ما يواجه اليوم المسلمين هو الشعور الشديد بالنقص إزاء الأوروبيين المتفوقين عليهم في ميدان العلوم المادية ، وترتب على هذا ربطهم بين تقدم الغربيين المادي ومناهجهم في ميادين الحياة الأخرى ، حتى جعل كثير من المفكرين والقادة يحثون قومهم على تقبل الحضارة الغربية ونقلها إلى المجتمع الإسلامي بحلوها ومرها [1] .

(١) من القادة " محمد علي " وسار على نهجه كثيرون من القادة المعاصرين في الدول الإسلامية ، ومن المفكرين : الطهطاوي وطه حسين وغيرهم كثير ، انظر لمزيد من التوسع : فادي إسماعيل . الخطاب العربي المعاصر . قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة . مرجع سابق . ص٦٩ وما بعدها .

ثالثاً : غياب الشورى :

يعتبر عصر الخلفاء الراشدين أكثر عصور الدولة الإسلامية ازدهاراً ، إذ مارس المجتمع الإسلامي الشورى في كافة أنشطته بدءاً من اختيار الخليفة ، ومروراً بكافة أنشطة المجتمع [1] ، إذ أن الشورى سمة من سمات المسلمين قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [2] ، وكان الفصل بين عصر الخلفاء الراشدين ، وعصر الدولة الأموية هو ظهور الملك العضوض ، خرج الإمام أحمد وغيره عن سعيد بن جمهان عن سفينة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك**))[3] .

وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وعمر الفاروق ﷺ وعثمان الشهيد ﷺ وعلي بن أبي طالب الشهيد أيضاً ﷺ ، وكان ختامها وتمامها لستة أشهر وليها الحسن بن علي بعد أبيه وعند تمام

---

(١) انظر : عدنان علي النحوي . ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . ص٢٥٠ وما بعدها . الرياض : مطابع الفرزدق التجارية .د . ت . وكذلك عز الدين التميمي . الشورى بين الأصالة والمعاصرة . ص٨٠ وما بعدها . عمان : دار البيئة ، ١٤٠٥هـ .

(٢) سورة الشورى . آية (٣٨) .

(٣) رواه أحمد . ج٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . مسند سفينة ﷺ مولى رسول الله ﷺ وقال سفينة ﷺ أمسك خلافة أبي بكر ﷺ سنتين ، وخلافة عمر ﷺ عشر سنين ، وخلافة عثمان ﷺ اثني عشر سنة ، وخلافة علي ﷺ ست سنين ﷺ .

ورواه أبو داود . حديث رقم (٤٦٤٦) ، ج٤ ص٢١١ .كتاب السنة . والحاكم . ج٣ ، ص ٧١ . وقال إسناده صحيح . والترمذي . حديث رقم (٢٣٢٦) ج٣ ، ص ٣٤١ . أبواب القدر - باب ما جاء في الخلافة وقال حديث حسن . وقال الألباني الحديث حسن وذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة . حديث رقم (٤٦٠) ، المجلد الأول ، ص ١٩١ .

الثلاثين نزل عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة أربعين [1] ، ثم جرى بعد ذلك في الدولة الأموية أول ثلمة في عرى الدين مصداقاً لقوله ﷺ : ((**لينقضن عرا الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً الحكم وأخرهن الصلاة**)) [2] ، فتحولت السلطة من خلافة على منهاج النبوة إلى ملك ! عندما قرر معاوية ﷺ تولية ابنه يزيد سنة (٥٦هـ = ٦٧٥م) وألزم الناس بذلك ، فأصبح الملك وراثياً ، واختفت الشورى في مجال انتخاب الخليفة ، وقد كان معاوية ﷺ يخشى الفرقة ، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أشد مما كان يخشاه إذ دب الخلاف مرة أخرى منذ تولى ابنه يزيد سنة (٦٠هـ = ٦٧٩م) فدعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة وبايعه أهل مكة ، وخضعت له الجزيرة العربية والعراق وبقي الأمويون في دمشق ، وبعث يزيد جيشاً إلى أهل المدينة فحصلت موقعة " الحرة " سنة (٦٣هـ = ٦٨٢م) [3] ، ثم استمرت الحروب الداخلية حتى قتل عبد الله بن الزبير سنة (٧٣هـ = ٦٩٢م) واستقرت الأمور نوعاً ما لعبد الملك بن مروان وأولاده .

وقد ترتب على إلغاء الشورى في مجال الخلافة آثار سيئة بالغة الخطورة انعكست على مسيرة الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أبرزها ما يلي :

---

(١) ابن كثير . النهاية في الفتن والملاحم . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . ج١ ، ص١٦ . دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

(٢) رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي ج٥ ص٢٥١ .

(٣) الذهبي . العبر . ج١ ، ص٥١ .

١- كثرة الحروب الداخلية والفتن في الدولة الإسلامية ، والقارئ في تاريخ الدولة الإسلامية يذهل مما يقرأ من كثرة الخارجين على سلطان الدولة وكثرة الخلافات داخل الأسرة الحاكمة ، من ذلك عام (٧٢هـ = ٦٩١م) وقعة " دير الجاثليق " بين أهل العراق وبين عبد الملك بن مروان [١] ، وفي عام (٨١هـ = ٧٠٠م) كانت فتنة ابن الأشعث وقام معه أهل البصرة لمحاربة الحجاج [٢] ، وفي عام (١١٦هـ = ٧٣٤م) كان خروج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأنه كان فاسقاً متهتكاً فقتله ، وتولى السلطة بدلاً منه ، وبعد ذلك بسنة خرج مروان بن محمد بن مروان يطلب الخلافة لنفسه [٣] ، وفي عام (١٢٧هـ = ٧٤٤م) ظهر الضحاك في الموصل عن حكم مروان بن محمد ، وفي عام (١٣١هـ = ٧٤٨م) خرج أبو مسلم الخراساني يدعو للعباسيين واستولى على خراسان عام (١٣٢هـ=٧٤٩م) [٤] وابتدأ أمر الدولة العباسية ، ومنذ وفاة السفاح أول خليفة عباسي تولى بعده أبو جعفر المنصور فخرج عليه عمه عبد الله بن علي من دمشق عام (١٣٧هـ = ٧٥٤م) يطلب الخلافة ، وحدثت فتنة كبيرة انتهت بهزيمة عبد الله بن علي [٥] واستمر ظهور الخارجين على سلطان الدولة العباسية ، من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة

(١) ابن العماد . شذرات الذهب . ج١ ، ص٧٩ .

(٢) الذهبي . العبر . ج١ ، ص٦٨ .

(٣) المرجع السابق . ج١ ، ص١٢٤ .

(٤) الذهبي . العبر . ج١ ، ص١٢٣ .

(٥) المرجع السابق . ج١ ، ١٤٣ .

على أبي جعفر المنصور عام (١٤٥هـ = ٧٦٢م) [١] ، وقد يقتتل الأخوان على الخلافة كما حدث بين الأمين والمأمون ، فدمرت أكثر معالم بغداد وحوصرت ، وحصلت مجاعة وفتنة عظيمة وذلك في الأعوام (١٧٦ ، ١٧٧ ١٧٨هـ) حتى قتل المأمون أخاه الأمين .

إن تلك الأحداث التي استمرت مع الدولة الإسلامية كانت من أهم عوامل إنهاك الدولة ، وانشغال الناس بالحروب الداخلية .

٢- تولى الخلافة أفراد ليسوا بأكفاء لها ، وقد يصل الأمر إلى تولية صبي لم يبلغ الحلم .

فتولى الخلافة المقتدر با لله وعمره ثلاث عشرة سنة [٢] وترتب على ذلك ضعف الخلافة حتى عزل ، واضطرب أمر المسلمين وحدثت مفاسد هائلة في زمنه [٣] ، واستولى معز الدولة بن بويه على العراق سنة (٣٣٤هـ = ٩٤٥م) وأصبح الملك بيده وليس للخليفة إلا الاسم حتى أنه خلع المستكفي با لله ، وولى المطيع لله سنة (٣٣٤هـ = ٩٤٥م) [٤] فاضطرب أمر الخلافة ، وكثرت الانقلابات على الخلفاء العباسيين واستمر الضعف في مجمل الدولة الإسلامية حتى سقطت بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) على يد " هولاكو " ملك التتار وقتل الخليفة المستعصم با لله [٥] وانعكست تلك

---

(١) المرجع السابق . ج١ ، ص١٥٢ .

(٢) ابن دقماق . الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين . ص١٣٥ . تحقيق سعيد عاشور . جامعة أم القرى . مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي .

(٣) المرجع السابق . ص١٣٦ وما بعدها .

(٤) ابن كثير . البداية والنهاية . ج١١ ، ص٢٢٤ . أحداث سنة (٣٣٤هـ) .

(٥) المرجع السابق . ج١٣ ، ص٢٢٦ . أحداث سنة (٦٥٦هـ) .

الفوضى في الخلافة على نشاط الحركة العلمية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، بل على مجمل نشاط المجتمع الإسلامي ، فترتب على ذلك استقلال أكثر البلاد عن السلطة العباسية ، وتحول الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة حفَّزت الدول الأخرى للاستيلاء على البلاد الإسلامية .

٣- تحول جهد بعض الخلفاء منذ توليه السلطة إلى نهاية فترة حكمه وهو يقمع الخارجين ويستميل المخالفين ، ويوزع ثروات الأمة على الشعراء والموالين والأمراء والأعوان والجند ، فأهمل أحوال الرعية مما ترتب عليه فساد أحوال الناس ، وانتشار البدع والجهل والفقر بينهم ، فلم يعد كثير من الخلفاء يهتمون بنشر العلم الشرعي ، وإقامة راية الجهاد ، ونحو ذلك من مصالح الأمة [١] .

٤- ابتعاد العلماء عن الخلفاء

كان العلماء والخلفاء في معسكر واحد يؤازر بعضهم بعضاً فالخلفاء يستشيرون العلماء و لم يكونوا يقطعون أمراً دونهم فكان أبو بكر الصديق ﷺ إذا أعياه أمر جمع رؤساء الناس فاستشارهم وكذلك عمر بن الخطاب ﷺ [٢] وكان هذا نهج الخلفاء الراشدين ، ولكن بعد أن تولى الخلافة أفراد ليسوا بأهل لها ولكثرة مخالفتهم لأحكام الشريعة ، وظلمهم للرعية ، ومصادرة أموال الناس دون مبرر شرعي ، وإرهابهم للمخالفين ، وعدم تقبلهم للنصيحة ونفورهم منها رأى العلماء الابتعاد عن هؤلاء الحكام ، فظهرت

---

(١) انظر لمزيد من التوسع عن أحوال الخلفاء : ابن دقماق . الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين وكذلك : القلقشندي . مآثر الإناقة في معالم الخلافة . تحقيق عبد الستار فرح . ط٢ - مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٥م = ١٤٠٦هـ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية . أعلام الموقعين . ج١ ، ٦٥ .

القطيعة بين العلماء والحكام ، وانكفأ العلماء على التدريس ، وابتعدوا عن التأثير على مسيرة الحياة في المجتمع الإسلامي ، يقول أبو حامد الغزالي : ((فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ، ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ، وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم ، وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول ، وملازم صفو الدين ، ومواظب على سمات علماء السلف فكانوا إذا طُلِبوا هربوا وأعرضوا)) [1] .

((ويمضي الوقت تفاقمت هذه العزلة والفرقة وطال أمدها لعدة قرون مما ترك آثاره على الفكر الإسلامي ، وعلى تفكير رجالاته واهتماماتهم ، وولدت مدرسة التقليد والمحاكاة والوقوع في براثين النظر الجزئي وأحادية المنهج اللغوي في فهم الوحي والنصوص ، وهكذا جفت الجذور الفكرية للقيادات الاجتماعية والسياسية ، وسلمت هذه القيادات زمامها للعجز الفكري ، والجهل السياسي كل هذا كان لابد أن ينتهي بالأمة إلى الوقوع في قبضة التقليد ، وجمود فكر القيادة الفكرية " العلماء " [2] .

٥- بروز ظاهرة الإرهاب الفكري .

استخدم بعض الحكام العنف مع المخالفين لهم في الرأي أو مع منتقديهم ، من ذلك أبو جعفر المنصور ؛ فقد ضرب الإمام مالك بالسياط لأنه كان يرى أنه لا طلاق للمكره ، ووشى بذلك للخليفة أبي جعفر المنصور وأول ذلك

---

(١) الغزالي . إحياء علوم الدين . ج١ ، ص٤٢ .

(٢) عبد الحميد أبو سليمان . أزمة العقل المسلم . ص٣٩ . ط٢ - الأردن ، الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٤١٢هـ

أنه لا يرى أيمان بيعتكم لأن الناس كان بعضهم مكرهاً في تلك البيعة [1] ، وقد لزم الإمام مالك بيته عشر سنوات لا يخرج لجمعة ولا جماعة ويقول : (ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل يقدر على الاعتذار) [2] ، وأسرف المأمون في معاقبة المخالفين له ، ففي سنة (٢١٨ هـ = ٧٣٣ م) كتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وشملت المحنة جماعة من المحدثين منهم : محمد بن سعد الواقدي ، ويزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، والإمام أحمد بن حنبل ، وغيرهم كثير ، وكان مِنْ رأيه ضرب أعناق المخالفين [3] ثم استمر على نهج المأمون المعتصم ، والواثق حيث ضُرب الإمام أحمد بن حنبل في ولايتهما [4] .

ولم تقتصر غياب الشورى على الحياة السياسية بل شمل الحياة العلمية أيضاً فقد كانت مجالس العلماء منتدى لحرية الرأي ، والمناقشة ، وكانت المناظرات العلمية طابعها الشورى والنصيحة ، لتبادل الرأي بين العلماء ، وبيان الأدلة ، والحجج ، والهدف منها بيان الحق ، لقد كانت المناظرات العلمية في عصور الازدهار ، مدرسة في ميدان التربية العقلية والفكرية ، إذ فيها تطبيق أساليب الاستنباط والإقناع وإظهار الدليل والحجة ، وتساهم بذلك في التحرر الفكري من قيود التقليد إلى سعة الاجتهاد ، واطلاق الطاقات الفكرية والعلمية ، وكان العلماء في ممارستهم للمناظرة ينطلقون من " مبادئ الشورى " والتناصح الذي يثمر المحبة والألفة بينهم ، ويهدفون في الأصل

---

(١) انظر تفصيل ذلك في . الذهبي . سير أعلام النبلاء . ج ٨ . ص ٨٠ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١ . ص ١٨٨ .

المرجع السابق . ج ١٠ . ص ٢٩٦ .

(٤) المرجع السابق . ج ١٠ . ص ٣٦٠ .

لمعرفة " الدليل " والحجة لأتباعهما ،كما كان الصحابة ﷺ يفعلون ذلك [1] لكن في عصور الركود والجمود تبدل مفهوم المناظرة ، فبدلاً من قيامها على الشورى والتناصح قامت على الاستبداد بالرأي ، والمفاخرة ، والمباهاة .

وذكر أبو حامد الغزالي الآفات التي أصابت ميدان " المناظرة " في عصره " حيث أصبحت المناظرة لقصد الغلبة والإفحام ، وإظهار الفضل والشرف ، والتشدق عند الناس " واشتغال المتناظرين بفروض الكفاية عن فروض العين ، ومناظراتهم في مسائل غير واقعة وبعيدة الوقوع ، والمناظرة في حضور الجمع والأكابر والسلاطين ، والمحافل يقصد الظهور أمام الناس [2] .

وانعكس " الاستبداد بالرأي " على ميدان الحركة العلمية ، فزادت الفرقة والاختلاف بين المذاهب الفقهية ، وضعفت حركة الاجتهاد حتى أغلق بابه ، وقر التقليد ، ومسحت شخصية طالب العلم ، فلا مجال لديه للنقد أو إبداء الرأي ، إنما حفظ المختصرات ، وتعظيم الشيوخ ، كأن عقله قاصرعن أن يبلغ رتبتهم ؟ ! وهكذا اختفت الشورى من الحياة الإسلامية عامة ، وحل محلها الاستبداد بالرأي ، فكان ذلك أكبر عامل ساهم في إيجاد التبعية الفكرية حيث أن الشورى من أهم وسائل الإبداع ، والاجتهاد ، وإظهار الرأي ، وإعمال العقل وتوظيفه ، وكل ذلك يساهم في إطلاق العقل من رق التقليد وقيوده التي تجعل الإنسان ممسوح الشخصية ، يتقبل الرأي دون حجة وبرهان وهذا الذي نتج عن غياب الشورى عن الحياة الإسلامية .

---

(١) انظر عن مناظرات السلف الصالح . الغزالي . إحياء علوم الدين ج ١ ص ٤٢ .

(٢) الغزالي . إحياء علوم الدين . ج ١ . ص ٤٥ .

خلاصة

اجتمعت العوامل الرئيسية الثلاثة وهي :

- **عدم الالتزام بأحكام بالشرع .**
- **ركود الحركة العلمية .**
- **غياب الشورى عن العقل المسلم .**

فساهمت ببروز ظاهرة التبعية الفكرية وإغلاق باب الاجتهاد ، وإقرار التقليد وترسيخه ، حتى وهنت عرى الدين ، وانتشرت البدع ، وألغي عقل المسلم ، وتفككت الدولة الإسلامية ، وأصبحت عشرات الدويلات الصغيرة واستمر الحال إلى عصرنا الحاضر حيث انضمت إلى العوامل الداخلية عوامل خارجية ساهمت في القضاء على ما تبقى من العقل المسلم ، وعلى ما تبقى من الشخصية الإسلامية ، وهذا ما سنلقي الضوء عليه إن شاء الله .

ثانياً : الأسباب الخارجية

١ – الغزو العسكري :

من سنن الله عز وجل في الحياة الدنيا الصراع بين الحق والباطل ، وأول مراحل الصراع كانت بين آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله ، وكانت محاولة إبليس إخراج آدم من الجنة ونصحه بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، فأقسم إبليس له أنه من الناصحين ، وأن تلك شجرة الخلد وملك لا يفنى ، فأكل آدم من الشجرة وفعل ما نُهِيَ عنه ، ثم أنزله الله إلى الأرض وتاب عليه ، ومنذ ذلك الزمن قامت العداوة بين أبناء آدم وإبليس ومازالت مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وأصبح على الأرض معسكران قائمان ، معسكر الإيمان يمثله الرسل وأتباعهم ، ومعسكر الكفر ويمثله إبليس وأتباعه ، والحرب سجال بين المعسكرين . قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ

(١) سورة البقرة ، آية (٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١) .

وعندما بعث النبي محمد بن عبد الله ﷺ ظهرت بوادر العداء في معسكر الكفر بمكة ، فاضطر الرسول ﷺ إلى الهجرة ، واستقر أمره في المدينة حيث تكونت الدولة الإسلامية ، فأُذِنَ للمسلمين بالجهاد لنشر الدعوة في الأرض .

وتوفي رسول الله ﷺ بعدما فتحت مكة وتوسعت الدولة الإسلامية لتشمل أكثر جزيرة العرب ، وقام من بعده بأمر الجهاد خلفاؤه الراشدون ، وفتحت العراق والشام ، وأزيلت دولة فارس المجوسية ، وقهرت دولة الروم ونزع سلطانها عن الشام ومصر وغيرهما (٢) ، واستمر الفتح الإسلامي المبارك يجتاح فلول الكفر حتى بلغ في زمن الوليد بن عبد الملك (ت ٧٦ هـ = ٦٩٥ م) الأندلس غرباً مروراً بشمال أفريقيا ، وبلغ الفتح شرقاً إلى ما وراء النهر ، وإلى الهند ، وجزء من بلاد الترك (٣) . وما أن توقف زحف الجهاد إلا وبدأت الأمم الأخرى تحاول أن تسترد بعض بلادها التي فتحها المسلمون . فالروم والإفرنج تارة يغيرون على سواحل لبنان وفلسطين ويتملكونها فترة من الزمن فتأتيهم موجة من الجهاد الإسلامي فتطردهم عنها مهزومين ذليلين (٤) حتى جاء العثمانيون واستلموا راية الجهاد فاستطاعوا أن يفتحوا

---

(١) سورة الأنعام ، آية (١١٢) .

(٢) انظر : ابن دقماق . الجوهر الثمين . ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق . ص ٦٩ .

(٤) عن تاريخ الحروب الصليبية انظر : محمد فريد بك المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٦٨ وما بعدها . تحقيق إحسان حقي . ط ١ - بيروت : دار النفائس .د .ت . ولمزيد من التوسع انظر : أنست باركر الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني . ط ٢ . بيروت : دار النهضة ، بدون تاريخ .

عاصمة الروم القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ = ١٤٥٤ م) [١] واستمر توسع الدولة العثمانية في أوروبا حتى حاصروا (فينا) عام (١٠٩٤ هـ = ١٦٨٣م) ونشروا الإسلام في أوروبا ، وسيطروا على أوروبا الشرقية وحتى حدود روسيا [٢] ومع مرور الزمن توقف الجهاد والفتح الإسلامي ، ثم عادت الأمم الأوروبية تهاجم أطراف الدولة العثمانية واستمر الحال حتى انهارت واقتسموا تركتها من البلاد الإسلامية [٣] .

وأهم أحداث الغزو العسكري :

سقوط الأندلس بيد الإسبان سنة (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) [٤] ، وموجة الغزو البرتغالي لسواحل الدول الإسلامية واحتلوا عدن عام (٩١٩ هـ = ١٥١٣ م) ، والخليج العربي عام (٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م) ، ووصلوا إلى الفلبين وقاتلوا المسلمين فيها عام (٩٢٨ هـ = ١٥٢١ م) ، وكانت حملات البرتغاليين تلك تسمى ((الكشوف الجغرافية)) وكانت تتسم حروبهم بالروح الصليبية الحاقدة من أعمال وحشية ضد المسلمين مثل : القتل والإبادة الجماعية ، وتهديم المدن ، وتخريب المساجد ونحو ذلك .

وكان من خططهم دخول جزيرة العرب واحتلال الأماكن المقدسة ، ونبش قبر الرسول ﷺ [٥] .

---

(١) انظر . محمد فريد بك المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ص ١٦٣ . مرجع سابق .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٢١ .

(٣) انظر شكيب أرسلان . التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي (مائة مشروع لتقسيم تركيا) ملحق مع كتاب حاضر العالم الإسلامي . لوثروب ستودارد . ترجمة عجاج نويهض . المجلد الثاني . ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٤) انظر عن سقوط الأندلس : شكيب أرسلان . سقوط الأندلس . ملحق مع كتاب لوثروب ستوادارد . حاضر العالم الإسلامي . مرجع سابق . المجلد الأول . ج ٢ . ص١ وما بعدها .

(٥) محمود شاكر . العالم الإسلامي . المكتب الإسلامي . دمشق . ط٢ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م ، ص ١٥٤

ثم بدأت فرنسا حملتها على البلاد الإسلامية ، فاستولت على السنغال عام (١٠٣٦ هـ = ١٦٢٦ م) ، وحلت محلها إنكلترا عام (١١٧٢ هـ = ١٧٥٨ م) ، ثم حلت هولندا محل البرتغال في أندونيسيا عام (١٠١٠ هـ = ١٦٠١ م) ، وكانت الدولة العثمانية آنذاك متجهة نحو أوروبا ، وكانت البلاد الإسلامية التي لم تخضع لسلطان الدولة العثمانية تتكون في أغلبها من إمارات ضعيفة مجزأة [١] .

وزادت ضراوة المستعمر عندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام (١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م) بقيادة نابليون بونابرت [٢] ، وأرسلت حملة أخرى إلى الجزائر عام (١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م) ، وواجهت مقاومة عنيفة بقيادة الشيخ عبد القادر الجزائري رحمه الله واستمرت ستة عشر عاماً [٣] ثم أرسلت فرنسا حملة أخرى إلى تونس عام (١٢٩٩ هـ = ١٨٨١ م) وأخضعتها لسلطانها .

وهكذا استمرت الحملات الإستعمارية على البلاد الإسلامية من فرنسا ، وإنكلترا ، وألمانيا ، وكان أكثر تلك الحملات مركزاً على أفريقيا ، لبعدها عن سلطان الدولة العثمانية مثل : النيجر ، وغينيا ، وجيبوتي ، وإفريقيا الوسطى ، وموريتانيا ، والمغرب ، وجزر القمر ، وكان نصيب الأسد من

---

(١) المرجع السابق . ص ١٥٧ .

(٢) انظر : عمر عبد العزيز عمر . دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر . دار النهضة العربية . ص ٩٩ وما بعدها . ط ١ - بيروت . ١٩٨٠ م = ١٤٠١هـ .

(٣) عن جهاد الشيخ عبد القادر الجزائري . انظر : شكيب أرسلان . مقالة بعنوان ((الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا)) ملحقة بكتاب لوثروب ستوارد . حاضر العالم الإسلامي . مرجع سابق . ص ١٦٦ وما بعدها .

أفريقيا لفرنسا ، أما إنجلترا فقد سيطرت على غامبيا عام (١٢٣١ هـ = ١٨١٥ م) ، وسواحل نيجيريا عام (١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م) ، وسيراليون عام (١٢٩٠ هـ = ١٨٧٣ م) ، وجزء من الصومال عام (١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م) ، وفرضت حمايتها على مصر عام (١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م) ، وعلى زنجبار عام (١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م) ، وعلى السودان عام (١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م) [١] . وأما ألمانيا ففرضت حمايتها على التوغو عام (١٣١٢هـ = ١٨٩٤ م) ، وعلى تنزانيا عام (١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م) ، والكاميرون عام (١٣٠٢هـ = ١٨٨٤ م) . وأما إيطاليا فقد استولت على إريتريا عام (١٣٠٣هـ = ١٨٨٥ م) ، وعلى جزء من الصومال عام (١٣١٠هـ = ١٨٩٢ م) ، وعلى ليبيا عام (١٣٣١هـ = ١٩١٢ م) [٢] .

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى اقتسمت الدولتان الكبيرتان آنذاك فرنسا وبريطانيا ، بلاد الشام ، والعراق [٣] ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت الدول الإسلامية تحصل على استقلالها حتى استقل أغلبها حالياً .

نتائج الغزو العسكري :

١- ركز المحتل على اجتثاث الهوية الإسلامية من الشعوب الإسلامية التي وقعت تحت سيطرته عن طريق الأعمال التالية :

---

(١) محمود شاكر . العالم الإسلامي . ص (١٦٤) .

(٢) محمود شاكر . العالم الإسلامي . ص (١٦٥) .

(٣) المرجع السابق . ص (١٧٢) .

أ- استبدال الأحكام الشرعية بالقانون الأجنبي [١] .

ب- تذليل مهمات المبشرين بالنصرانية ، ومهمات المستشرقين العاملين على تنصير أبناء المسلمين أو إخراجهم من الإسلام إلى الإلحاد والكفر [٢] .

قال رشتر : ((إن مائة وستين مليوناً من مجموع مائتين وخمسين مليوناً من المسلمين في حكم الدولة النصرانية ، فواجب هذه الدول إذن أن تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا)) [٣] .

ج- إنشاء مدارس ومعاهد وجامعات علمانية معادية للدين [٤] .

د- نشر أسلوب الحياة الغربية الإباحية بين الشعوب المسلمة [٥] .

هـ- نشر لغة المستعمر في البلاد وإحلالها محل لغة الشعب الوطنية ومحاربة اللغة العربية على وجه الخصوص [٦] .

٢- تدمير مقومات الشعوب الإسلامية وترسيخ عوامل التخلف الحضاري فيها عن طريق :

أ- إثارة الفتن والنعرات الطائفية بين المسلمين وغيرهم [٧] ، وما زالت الحكومات الغربية تغذي هذا الإتجاه .

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . دار القلم . دمشق . ط٥ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م ، ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٧٦ .

(٣) مصطفى خالدي ، عمر فروخ . التبشير والإستعمار في البلاد العربية . ص ١٤٥ . ط ١٩٨٦م = ١٤٠٧هـ - صيدا ، لبنان : المكتبة العصرية .

(٤) عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . ص ١٧٦ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٧٧ .

(٦) المرجع السابق . ص ١٧٧ .

(٧) المرجع السابق . ص ١٧٨ .

ب- تقسيم الدول الإسلامية إلى دويلات صغيرة وبذر بذور الشقاق والخلاف بينها [1] ، ومازالت الخلافات قائمة بين الدول وخاصة المتجاورة منها .

ج- استغلال خيرات البلاد الإسلامية واستنزاف ثرواتها [2] .

د- ربط اقتصاديات البلاد المستعمرة وربط تقدمها بدولة الاستعمار لتكون هذه البلاد تابعة لها ولو خرجت الدولة الاستعمارية [3]

تلك من أهم نتائج الإستعمار في البلاد الإسلامية ، وإن كان الإستعمار اختص بالاستيلاء على الأرض فإن الغزو الفكري اختص بالإستيلاء على الفكر . فهما معولان يمهد أحدهما للآخر ، وأيهما سبق فإنه يمهد للآخر وإن رحل الإستعمار المباشر في أغلب البلاد الإسلامية إلا أن الغزو الفكري ما زال جاثماً على صدور وعقول الأمة ، وسنلقي عليه بعض الضوء لمعرفة مكايده وأساليبه وآثاره الخبيثة .

(١) المرجع السابق . ص ١٧٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٧٨ .

٢-الغزو الفكري :

لم يكن معروفاً عند المسلمين في القرون السابقة مصطلح (الغزو الفكري) ولكنه تردد في القرن الرابع عشر الهجري بعد مجيء الإستعمار واستخدامه لأساليب جديدة في حربه للمسلمين ، إذ شملت حربه ميدان الفكر ، وذلك بإثارة الشبهات حول دين المسلمين ، وحول لغتهم ، وثقافتهم ، وتاريخهم ، بالإضافة إلى استخدامه للدعاية المكثفة عن حضارته وتقدمه العلمي والتقني ، وكان يهدف إلى اقتحام عقول المسلمين ، وغرس قيم الغرب فيها وتحطيم معنوياتهم من أجل اجتثاث روح الولاء للدين ، والانتماء للثقافة الإسلامية وتحويل ذلك الانتماء للفكر الغربي ، وجعل عقول المسلمين وأرواحهم تابعة له .

وأصبح مصطلح الغزو الفكري يقصد به ((إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة ، وأساليب مختلفة لتدمير قواها الداخلية ، وعزائمها ومقوماتها وانتهاب كل ما تملك)) [١] .

((ويتميز الغزو الفكري)) بالشمول والامتداد فهو حرب دائمة دائبة ، لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعاً ، وتسبق حروب السلاح أو تواكبها ، ثم تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي امتداداً ذليلاً لهم [٢] .

---

(١) أحمد عبد الرحيم السايح . في الغزو الفكري . مرجع سابق ص ٣٣ .

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . ص ٢١ . ط ٤ .- المنصورة : دار الوفاء ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

بداية الغزو الفكري الغربي للشعوب الإسلامية :

يشير بعض الباحثين إلى أن السبب الرئيسي لظهور الغزو الفكري كان بسبب إخفاق الحملات الصليبية عن تحقيق أهدافها بالسيطرة على البلاد الإسلامية .

((وكانت آخر تلك الحملات بقيادة القديس لويس [1] قائد الحملة الصليبية السابعة والثامنة (٦٤٦ هـ - ٦٥٢ هـ = ١٢٤٨ م - ١٢٥٤ م) فوقع أسيراً في مدينة المنصورة (سنة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م) ، ثم خلص من الأسر بفدية وعاد إلى فرنسا وأيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم إلى الجهاد فأوصى أتباعه بأن يهتموا بتغيير فكر المسلمين والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم وذلك بأن يدرسوا الإسلام لهذا الغرض للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلى إثارة الشبهات)) [2] يقول أرنست باركر عن نتائج الحروب الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي : ((بدأ نشاط تبشيري ضخم وهذا النشاط إنما نجم عن الحروب الصليبية والاتصال بالمسلمين ، وعلى الرغم من أنه أسهم في وقف الحروب الصليبية ، فما قام به من غزو النفوس من الناحيتين السلمية والروحية يعتبر بديلاً لما ترتب على الحرب !!)) [3] ، وتلك هي الغاية

---

(١) انظر عن حملات القديس لويس . ارنست باركر . الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني . ص ١٢٠ . ط ٢ . بيروت : دار النهضة العربية .(د . ت) .

(٢) أحمد عبد الرحيم السائح . في الغزو الفكري . مرجع سابق . ص ٤٧ . ونص وثيقة لويس التاسع ذكرها جلال العالم في كتابه : قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدوا أهله . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م . ص٦٢ .

(٣) أرنست باركر . الحروب الصليبية . ص ١٤٢ . ترجمة السيد الباز العريني . ط ٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية .

النهائية من الغزو الفكري ، إنه العداء الصليبي للإسلام ، يؤكد ذلك قول جلادستون أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابقين : ((مادام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)) [1] ، وكذلك قول لورانس براون ((الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي)) [2] ، وأيضاً قول موروبيرجر في كتابه العالم العربي المعاصر : ((إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام ، يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية)) [3] ، ويقول غاردنر :((الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس بقدر ما كانت لتدمير الإسلام)) [4] ومن تلك الغاية الخبيثة صمم المستعمر أساليب ماكرة لاجتثاث الإسلام من قلوب المسلمين وإثارة الشكوك في كتابهم ولغتهم ، وطمس هويتهم ، وإلباسهم الهوية الغربية ليكونوا أتباعاً وعبيداً لهم .

---

(١) أحمد عبد الرحيم . في الغزو الفكري . ص ٤٩ . مرجع سابق .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار . ص ١٨٤ ، مرجع سابق .

(٣) جلال العالم . قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام وأبيدوا أهله . ص ٥٥ . ط .بيروت ، دار الرسالة . ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣م .

(٤) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية . ص ١١٥ . مرجع سابق .

أساليب الغزو الفكري :

١- إثارة الشكوك حول الدين الإسلامي :

عن طريق حملات التشويه التي قاد لوائها المستشرقون ، يقول المستشرق (هانوتو) وهو مستشار سياسي لوزارة المستعمرات الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر ((لقد تركزت أهداف الحروب الصليبية قديماً في استرداد بيت المقدس من المسلمين البرابرة ولا يزال مما يزعج الغرب المسيحي بقاء لواء الإسلام منتشراً على مهد الإنسانية ولذا يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية بقصد رفع الخطر الكامن في الوحدة الإسلامية وأفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية والتناقضات الشعوبية والقومية والجغرافية ، مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصلية ، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسي ، والسلوك الفردي للشعوب الأوروبية)) [(١)] .

وقد ركزت حملات التشويه هذه على مجالات عديدة منها ميدان العقيدة يقول رينان الفرنسي وهو يصور عقيدة التوحيد في الإسلام : ((بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك)) [(٢)] .

وكذلك ميدان القرآن الكريم ، يقول المستشرق جب : ((إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها وشق طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته

---

(١) سعدالدين السيد صالح .احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة اللإسلام . ص ٣٤ . ط ١ .مصر ، الزقازيق دار الأرقم ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م .

(٢) أحمد السايح . في الغزو الفكري . مرجع سابق . ص ٦٥ .

فالقرآن من صنع محمد ومن ملائمات هذه البيئة التي عاش فيها)) [1] ، ويقول المستشرق موريس بوكاي : ((كنت أتعلم عندما كنت شاباً أن محمداً هو الذي ألف القرآن ولقد قيل مراراً وتكراراً أن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة قصصاً من التوراة والإنجيل بشكل مختلف شيئاً قليلاً)) ويضيف بوكاي إنه ظل فترة على هذا الاعتقاد حتى درس الإسلام بنفسه فاكتشف زيف وتضليل هؤلاء المستشرقين)) [2] .

وشملت حملات التشويه ميدان الشريعة ، واللغة العربية ، والسيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي [3] .

وأفرزت تلك الحملة المسعورة عشرات الكتب التي طبعت ووزعت في البلاد الإسلامية ،ومن تلك الكتب: كتاب " حياة محمد " للسير وليم مور ، و " الإسلام " لهنري لامنس ، و " الإسلام " لصموئيل زويمر ، و " دائرة المعارف الإسلامية " ألفه لفيف من المستشرقين)) [4] ، وهناك مستشرقون كانت أهدافهم علمية نبيلة تحاول البحث عن الحق لذاته ، وتدرس الإسلام بموضوعية إلى حد ما ، ومن هؤلاء " موريس بوكاي " و " جوستاف لوبون " و " سيجريد هونكه " و " روجيه جارودي " ، ولكن هؤلاء دخلوا ميدان البحث الإسلامي بأفكارهم المسبقة ، كما أن المصادر التي اعتمدوا

---

(١) المرجع السابق . ص ٦٦ .

(٢) موريس بوكاي . ما أصل الإنسان ؟ ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج . ص ١٧٧ . ط ١٢ . ١٩٨٥ م = ١٤٠٦هـ .

(٣) انظر لمزيد من التوسع : محمد عبد القادر هنادي . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها . ص ٤٤ ومابعدها . ط ١ . مكة المكرمة – مكتبة الطالب الجامعي – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

(٤) سعد الدين صالح . أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام . ص ٩٧ . مرجع سابق .

عليها كانت في الغالب من مصادر المستشرقين السابقين التي مُلئت بالطعن على الإسلام)) [1] .

٢- نشر الإلحاد في الشعوب الإسلامية :

ويعتبر المذهب الشيوعي أكبر أعداء الأديان قاطبة ؛ والشيوعية قرينة الكفر والإلحاد ،يقول زعيمها كارل ماركس : ((لا غَنَاءَ في الوقت الحاضر عن شن أشد حرب على تعاليم الدين وأوهامه)) [2] ، ويقول أحد الشيوعيين ((الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها)) [3] .

وانتشرت الأحزاب الشيوعية في بعض الدول الإسلامية وخاصة الدول التي كانت تحت سلطان الاتحاد السوفيتي " سابقاً " مثل طاجكستان - أوزبكستان ونحوها .

وساهم أيضاً في نشر الإلحاد ((الماسونية)) وهي جمعية سرية يهودية ، تسعى لإقامة دولة إسرائيل ومن وسائلها محاربة الأديان ، جاء في مضبط المحفل الماسوني الأكبر عام (١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ م) : ((لا يقبل المتدينون في المحافل لأن الذي ينخرط في المحافل يجب أن يكون حراً ، والماسوني الحقيقي لا يكون متديناً)) [4] ، وفي محفل الشرق العام لعام ١٩٢٣ م ((إنه يجب أن تبقى الماسونية كتلة واحدة ، وعليه يقتضي محو جميع الأديان)) [5] والماسونية إحدى وسائل الصهيونية العالمية ، التي تنشر الإلحاد والفساد الخلقي

---

(١) سعد الدين صالح . أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام . ص ٩٢ . ومابعدها . مرجع سابق .

(٢) محمد عبد القادر هنادي . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها . ص ٢١٦ . مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق . ص ٢١٦ .

(٤) محمد عبد القادر هنادي . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها . ص ١٨٣ .مرجع سابق .

(٥) المرجع السابق . ص ١٨٣ .

في شعوب العالم قاطبة بهدف القضاء على شخصية الإنسان حتى تسهل السيطرة عليه ، ومن ثم يصبح مطية وخادماً لليهود ، وقد استخدمت الماسونية كافة وسائل الإعلام لبث الإلحاد والزنى ، والتمرد على القيم في الشعوب الإسلامية [1] .

٣- نشر الزنى والتفسخ الأخلاقي :

ومن أبرز أساليب الغزو الفكري وتحطيم شخصية المسلم نشر الزنى والتفسخ الأخلاقي باعتبار أن من أسهل الغرائز إثارة غريزة الجنس ، وهي من أقوى الغرائز تأثيراً في تحطيم شخصية الفرد إذا ما أثيرت ، لأنه يسهل السيطرة عليه وتوجيهه ، وهي باب كبير من أبواب الفتن التي يدخل منها عشرات المفاسد من مخدرات وجرائم ، واكتئاب ، وقلق ونحو ذلك ، وقد امتطى اليهود هذا الأسلوب في تدمير مقومات الأمم والشعوب ، تمهيداً للإستيلاء على أوطانهم فقد ساهموا في نشر الزنى والشذوذ الجنسي في أوربا وأمريكا ، ونقلوا ذلك إلى البلاد الإسلامية [2] .

٤- الإرهاب الفكري :

ومن وسائل الغزو الفكري الخبيثة في تحطيم الشخصية الإسلامية استخدام

---

(١) انظر لمزيد من التوسع : عن الماسونية : محمود ثابت الشاذلي . الماسونية عقدة المولد وعار النهاية . ط ١ . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

سعيد الجزائري . الماسونية مالها وما عليها . ط ١ . دمشق : مؤسسة النوري . ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

أبو إسلام أحمد عبد الله . الماسونية في المنطقة ٢٤٥ . ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام . د . ت .

/ شرخ في جدار الروتاري . ط ١ . القاهرة : دار الاعتصام . د . ت .

إبراهيم فؤاد عباس . الماسونية تحت المجهر . ط ١ . جدة : دار الرشاد . ١٤٠٨ هـ .

محمد أبو عابد ,. المؤامرة اليهودية . رقم الإيداع في مصر ٨٩٦٩ / ١٩٨٧ م . دون تاريخ . دون دار نشر

(٢) انظر عبد الله التل . جذور البلاء . ص ١٧٢ ومابعدها . ط ٢ . المكتب الإسلامي . ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٧م .

أسلوب الحرب النفسية والإرهاب الفكري ، ويعتمد هذا الأسلوب على السخرية بكل من يدعو إلى العودة إلى الإسلام فيلمزونهم تارة ((بالأصولية)) وتارة ((بالرجعية)) وتارة ((بالإرهاب)) وتارة يثيرون الشكوك حول الدعاة ، والشباب التائبين العائدين إلى الإسلام ، ويزعمون أنهم تجار دين وأنهم يمتطون الدين لبلوغ مآربهم ، وأبرزها الوصول إلى السلطة . كما هو شائع في كثير من وسائل الإعلام الغربية .

٥- التضليل الفكري :

ويعتمد التضليل الفكري على غرس معايير الحضارة الغربية في كافة جوانب الحياة ، في عقول المسلمين باعتبارها معايير عالمية مبنية على العلم الحديث ، حيث أن الطريق الوحيد إلى النهضة والتقدم هو السير في خطى الحضارة الغربية .

وقد دخلت كتائب الغزاة بين المسلمين في مختلف حقولهم الاجتماعية والفكرية ، لبث ما تريد بثه من أفكار مضللة لهم ومؤثرة في سلوكهم الفردي والجماعي [1] .

((وكانت مدرسة " التحديث " تفترض أن الواقع السائد لدى المسلمين طبيعي ، وأن المرحلة الراهنة هي مرحلة دنيا في سلم التطور ، وقد سبق للدول الصناعية المتقدمة الآن ، أن عايشت هذه الظروف السيئة من قبل ، إن الدول الأوربية الرأسمالية كانت السباقة إلى مرحلة العصرنة ، لذلك فإن الأنظمة الغربية الرأسمالية هي المعيار والأنموذج للدول الأخرى ، فالعصرنة

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . ص ٢٢٥ . مرجع سابق .

حركة كونية دينامية ثورية لا يمكن صدها أو مقاومتها ، وستغلف المجتمعات العربية عاجلاً أم آجلاً)) [1] .

وفي مجال السياسية والحكم اعتبر أن النظام الغربي القائم على مفهوم الديمقراطية ، والليبرالية ، وتعدد الأحزاب ، والبرلمان نظاماً ملائماً لحياة الناس بزعم أنه يحقق الازدهار والنمو والاستقرار الاجتماعي ، فإن الدول الغربية التي تبنت هذا النظام قد حققت التقدم المضطرد والنهضة العظيمة ، فهو من سمات الحضارة والتمدن ، وفي مجال الاقتصاد اعتبر النظام الغربي في الاقتصاد القائم على الرأسمالية والربا ، هو النظام الأمثل الذي يتيح للشعوب التنمية الحقيقية .

وفي مجال التعليم والتربية أصبح النظام الغربي في التعليم القائم على العلمانية وإهمال الدين والأخلاق والقيم والاهتمام بالعلوم الطبيعية ، والاجتماعية المنبثقة عن التصور الغربي لها ، هو النظام الأمثل الذي يجب على الشعوب المتخلفة الاحتذاء به ، وهكذا في بقية الميادين ، بذل المستعمر جهده في غرس تلك المعايير وتلك المفاهيم في نفوس المسلمين مستخدماً وسائل إعلامه الجبارة في الدعاية لها ، وفي نفس الوقت محاربة المعايير والقيم المخالفة لها ، حتى أصبحت بعض الشعوب الإسلامية لا تعرف إلا المعايير والقيم الغربية ، فلا ترى إلا بعيون غربية ، ولا تسمع إلا بآذان غربية ، ولا تقيس إلا بعقول غربية [2] .

---

(١) فادي إسماعيل . الخطاب العربي المعاصر . ص ١٣٠ . مرجع سابق . =

(٢) انظر لمزيد من التوسع عن فتنة الحداثة والعصرنة . فادي إسماعيل . الخطاب العربي المعاصر . ص ١١٩ ومابعدها . مرجع سابق .

٦- التبشير :

وكان التبشير من أعظم الأساليب استخدمها المستعمر في غرس التبعية الفكرية في الشعوب الإسلامية ((والتبشير تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية لا سيما المسلمون)) [١] ، وهو من أخطر الوسائل التي لجأت إليها الصليبية في حربها للمسلمين ، وإن كان الظاهر من اسم التبشير هو الدعوة إلى النصرانية ((لكن بواعث التبشير الحقيقية غير ذلك ، بل إن الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية ، وإننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً ، لا يؤمن بدين ، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى ، إن أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول ، قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية ، وسلام ديني ، وبينما نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج ، كذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياساتها الإستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين)) [٢] فما هي إذن بواعث المبشرين الحقيقية ؟

إذا راجعنا أقوال المبشرين اتضح لنا جزء كبير من الحقيقة التي يسعون من ورائها ، ببذل الأموال والرجال لتحقيقها وما تخفي صدورهم أعظم ، ومن أهداف التبشير التي يمكن استنباطها من أقوالهم ما يلي :

١- بث روح الخلاف والفرقة بين الشعوب الإسلامية :

قال لورنس براون : ((إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . ص ٥٠ . مرجع سابق .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والإستعمار . ص ٣٤ ز مرجع سابق .

بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)) [1] ، ويقول القس سيمون : ((إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركة)) [2] .

٢- الطعن في الإسلام :

وافتراءات المبشرين على الإسلام كثيرة فمن ذلك قول المبشر نلسن ((إن الإسلام مقلد وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية أو شيء من التبديل)) [3] ، ومن ذلك قول المبشر جون تاكلي عن المسلمين : ((يجب أن نستخدم كتابهم ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً ، يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً)) [4] ، وقال المبشر الأمريكي جب : ((إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن ، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يتبق من الإسلام شيء)) [5] وفي أقوالهم من ذلك شيء كثير ، ولو تتبعنا افتراءاتهم على الإسلام لاحتمل ذلك مجلدات كثيرة .

٣- التمهيد للاستعمار :

ولاريب أن الباعث الحقيقي للتبشير هو التمهيد للاستعمار ، إن المعركة

---

(١) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار . ص ٣٧ . مرجع سابق

(٢) المرجع السابق . ص٣٧ .

(٣) المرجع السابق .ص ٤٠

(٤) المرجع السابق . ص ٤٠ .

(٥) المرجع السابق . ص ٤٠.

بين المبشرين ، وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والعسكرية [1] ، يقول المبشر زويمر في خطابه الذي ألقاه في مؤتمر القدس التبشيري : ((وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا – يقصد المبشرين – طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية)) [2] ، ويقول المبشر لورنس براون : ((ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوروبي)) [3] .

لهذا آزر المستعمر المبشرين لاستخدامهم كأداة لزعزعة عقائد المسلمين ، ومن ثم تقبلهم للاستعمار الغربي .

((والمبشرون يعترفون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين في صفوف النصرانية قد خاب ، ومن أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل)) [4] .

٤- إفساد أخلاق المسلمين :

لقد علم دعاة التنصير أن قوة الأمة الإسلامية كامن في تمسكها بأخلاقها لهذا حاولوا جاهدين أن يفسدوا هذه الأخلاق ، يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التنصير في مؤتمر القدس عام (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥م) : ((إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له با لله ، وبالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك

(١) المرجع السابق . ص ٤٥ .

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . ص ١١٢ . مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق . ص ١١٣ .

(٤) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار . ص ٤٦ . مرجع سابق .

تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ؛ ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ، إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة با لله ولا يريد أن يعرفها ، أخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار ، لايهتم بعظائم الأمور ، ويحب الكسل ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب)) [1] .

وسائل المبشرين :

استخدم المبشرون طرقاً كثيرة لتحقيق مآربهم الخبيثة ومن أبرز تلك الوسائل ما يلي :

١- التعليم :

وبذل المبشرون جهوداً عظيمة في بناء المدارس والمعاهد والكليات ، في البلاد الإسلامية وكان هدفهم من إنشاء تلك المدارس كما يقول المبشر هنري هريس : ((إن التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية)) [2] ، ويرى بعض هؤلاء المبشرين ((إن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم)) [3] ، وانتشرت مدارسهم الخبيثة في كثير من أقطار

(١) محمد عبد القادر هنادي . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها . ص ١٤٢ . مرجع سابق .

(٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار . ص ٦٦ . مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق .ص ٦٧ .

العالم الإسلامي ، ومن أشهر المؤسسات التعليمية التنصيرية في الشرق الإسلامي : جامعة القديس يوسف في لبنان ، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية والجامعة الأمريكية التي كانت تسمى من قبل بالكلية السورية الأنجليكية ، والكلية الأمريكية بالقاهرة التي أصبحت فيما بعد تسمى الجامعة الأمريكية [1] .

٢- الخدمات الصحية والاجتماعية :

استخدم المبشرون الخدمات الصحية مثل : إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية ، وعيادات الأطباء لتنصير المسلمين ، فقد أدركوا حاجة المرضى إلى العلاج فاستغلوا تلك الحاجة في سبيل تبليغ دعوتهم ، مستترين بلباس الأطباء والممرضات .

قال بعض المبشرين : ((إن بإمكان الطبيب المبشر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم ثم إنهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر نسخة حية من الإنجيل)) [2] .

وقد انتشرت مستشفياتهم ، وعياداتهم في كثير من بلدان العالم الإسلامي ولاسيما أفريقيا لحاجتها الماسة إلى الخدمات الصحية .

٣- وسائل الإعلام :

استخدم المبشرون وسائل الإعلام المتنوعة في تبليغ ونشر دعوتهم الفاسدة عن طريق الكتب والرسائل والمنشورات ، وعن طريق إذاعات أنشأت لهذه الشأن موجهة إلى البلاد الإسلامية ، منها : (إذاعة مونت كارلو ، وإذاعة

---

(١) محمد عبد القادر هنادي . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها . ص ١٤١ . مرجع سابق .

(٢) مصطفى خالدي . عمر فروخ . التبشير والإستعمار ، ص ٥٩ .

صوت الغفران ، وإذاعة قبرص وغيرها)[1] ، واستخدموا نشر" الأفلام " التي تدعو إلى النصرانية ، أما الكتب فهي كثيرة منها : (كتاب ميزان الحق ، وتنوير الأفهام في مصادر الإسلام ، والهداية ، ومقالة في الإسلام ، والصليب في الإنجيل والقرآن)[2] .

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني . أجنحة المكر الثلاثة . ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٠٨ .

المبحث الثالث : آثار التبعية الفكرية :

أولاً : آثار التبعية الفكرية الداخلية :

١- التفلت من أحكام الشرع :

إذا اقتنع الفرد بفكرة ما مستنداً في اقتناعه على برهان صادق سيكون متحمساً لهذه الفكرة عاملاً بها ، دافعه في ذلك إيمانه بصدقها .

أما إذا اقتنع الفرد بفكرة ما ومستنده في اقتناعه على تقليد غيره دون معرفته لبرهان تلك الفكرة ، وسيكون حماسه بارداً ، وانفعاله مع الفكرة بارداً مما سينعكس على عمله ، فلا هناك حافز قوي يدفعه للعمل ، لأن منبع الحافز هو الاقتناع المبني على برهان وحجة .

ولهذا اعتنى السلف الصالح بمعرفة الدليل في كل أمر يتعلق بدينهم خاصة ، فلا يحرمون شيئاً ولا يحللون شيئاً دون دليل من القرآن والسنة أو الإجماع ، ولا يتقربون لله بعبادة إلا أن يكون لها أصل من القرآن والسنة وإلا اعتبرت تلك العبادة بدعة لم يأذن الله بها .

ولهذا اهتموا اهتماماً شديداً بمحاربة البدع وأهلها لأنها الطريق لتحريف شرع الله ، والمتبصر في سيرهم يجد حرصهم الشديد على طلب الدليل ، وعلى حفظ السنة ، ومحاربتهم للبدعة ، قال سفيان الثوري : ((لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)) [1] ، وقال سفيان الثوري أيضاً : ((من سمع من مبتدع لم

(١) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . ص ١٦ .

ينفعه الله بما سمع ، ومن صافحه فقد نقض من الإسلام عروة)) [1] .

وقال الفضيل بن عياض : ((من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه)) [2]

وقال أيضاً : ((من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه)) [3] .

وقال الليث بن سعد : ((لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته فقال الشافعي : إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته)) [4] .

وقال أبو سليمان الداراني : ((ربما يقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة)) [5] .

وأيضاً اهتم السلف الصالح رحمهم الله بالإتباع ونهوا وحذروا من التقليد ((وروي عن حذيفة ﷺ وغيره في قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [6] قال : لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم [7] ، وقال أبو عبد الله بن خويز البصري

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٤) المرجع السابق . ص ٢٣ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٩٠ .

(٦) سورة التوبة . آية (٣١) .

(٧) ابن عبد البر القرطبي . جامع بيان العلم وفضله . ج٢، ص١٠٩ - بيروت : دار الكتب العلمية ، بدون تأريخ .وأخرج الترمذي عن عدي بن حاتم أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) الآية قال : ((أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه . وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)) . وقال الترمذي هذا حديث غريب . انظر الترمذي ج ٤ . ص ٣٤١ . حديث رقم (٥٠٩٣) . أبواب التفسير .

المالكي : ((التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه في الشريعة والإتباع ما ثبت عليه حجة)) [1] ، وعندما جاء من بعد السلف الصالح خلف اتبعوا الرجال يقلدونهم وأهملوا معرفة الدليل بدأ الناس يفقدون الحماس للالتزام بشرائع الدين ، لأن معرفة الحق بالدليل أشد أثراً في النفس من التقليد دون معرفة الدليل ، وعندما شاع التقليد في الناس بدءوا يتفلتون من أحكام الشرع رويداً رويداً حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه في عصرنا الراهن)) [2] .

٢- ركود وجمود العلوم الشرعية :

ومن أبرز آثار التبعية الفكرية ركود وجمود حركة العلوم الشرعية ، فعندما كان العلماء والفقهاء يستقون أدلة شرائع دينهم من القرآن والسنة كان الناس مهتمين بها بحفظها وتعلم أحكامها ، ولكن عندما شاع التقليد وأصبحت حجج الفقهاء أقوال الرجال انصرفت همتهم عن التفقه في الكتاب والسنة ، فأغلق باب الاجتهاد ، وضعفت الحركة العلمية باختفاء أهم عامل محرك لها ، وأصبح جهد المتأخرين منصباً على شرح أقوال العلماء الأوائل أو اختصارها واختفى الإبداع واستمر الضعف إلى عصرنا الحاضر وهذا ما يميز عصور الركود والجمود عن عصور الازدهار في حركة العلوم الشرعية ((ففي القرون الهجرية الأربعة الأولى حيث تمثل عصر الازدهار الحضاري نجد ذلك في كثير من المؤلفات المبتكرة في شتى الحقول من لغة وأدب وتاريخ وفقه

(١) ابن عبد البر القرطبي . جامع بيان العلم وفضله . ج٢، ص ١١٧ - مرجع سابق .

(٢) انظر : محمد قطب . رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر . ص١٨٣ ، ط١ - دار الوطن للنشر ، ١٤١١هـ .

وأصول فقه وتفسير ... الخ ، وفي العصور التالية يضعف الابتكار ويكثر التقليد والتكرار حتى إننا لا نكاد نلمس بوضوح مبدأ الإضافة العلمية من قبل اللاحق إلى السابق إلا في أعمال نادرة تظهر كوميض البرق في دياجير الظلام)) [1] .

٣- جمود العلوم الطبيعية والاجتماعية :

الإبداع العامل الرئيس لتقدم العلوم الطبيعية والاجتماعية فاكتشاف السنن الكونية يعتمد على الإبداع الذي هو غاية عطاء العقل الإنساني في هذا المجال وا لله عز وجل وهب الإنسان السمع والبصر والفؤاد ، وتلك هي الوسائل لمعرفة السنن الكونية ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] .

والظواهر الكونية والإنسانية تمر أمام أعين البشر وأسماعهم ، وإذا استطاع الإنسان أن يتتبع تلك الظواهر ، ويستكشف مؤثراتها ، ثم يحاول أن يصيغ قوانين لتلك الظاهرة ، ثم يتحقق من صدق تلك القوانين بتطبيقها على حالات مماثلة ؛ عندئذ يكون قد استنبط القوانين التي تتحكم في تلك الظاهرة ولا يمكن للإنسان أن يبلغ تلك المرحلة إلا إذا تحرر من سلطان الوهم والظن والأساطير التي تحجب على الإنسان معرفة الحقيقة .

وعادة الشعوب الجاهلة أن تفسر الظواهر الكونية بتفسيرات خاطئة ، نابعة

---

(١) أكرم ضياء العمري . التراث والمعاصرة . ص١٢٤ ، مرجع سابق .

(٢) سورة النحل . آية (٧٨) .

من عقائدها الفاسدة كأن تجعل تلك الظواهر من فعل الشياطين ، أو تصيغ أساطير حول تلك الظواهر سواء أساطير وثنية كما هو شائع في التراث اليوناني ، أو تحاول أن تصيغ افتراضات بعيدة عن الحقيقة ، لا يمكن التحقق من صدقها ، ويأتي عمل " التبعية الفكرية " لتجعل تلك الأساطير والظنون حقائق تتوقف عندها ؛ وتنقلها إلى الأجيال ، لأن التبعية الفكرية من أصولها اقتناع التابع بصدق مقولة المتبوع ؛ دون التحقق من برهان المتبوع فهي تورث الخضوع والاستسلام الفكري الذي ينعكس بدوره على عنصر الإبداع في العقل الإنساني فيقضي عليه مما يورث البلادة في الفكر ، ولهذا يتميز المصابون بالتبعية الفكرية بالبلادة الفكرية ، بينما يتميز المبدعون بالإحساس بالثقة في النفس والقدرة على التفكير السليم ، وفحص الأدلة والبراهين وعدم قبول أي رأي دون حجة تكون صادقة ومقنعة .

وعندما كان المسلمون في قمة عطائهم الفكري في عصور الازدهار ، نشطت الحركة العلمية في كافة الميادين [1] .

والسبب الرئيس هو التحرر من سلطان التبعية الفكرية والمتمثل في الخضوع للأقوال دون حجة وبرهان ، وهذا السلطان الوهمي الذي يجعل التابع يخضع لقول المتبوع ، أصيب به المسلمون في عصور الركود والجمود .

وذكر ابن القيم رحمه الله أن علماء " الهيئة " من المسلمين في عهد المأمون امتحنوا حساب الكواكب الذي أخذوه عن علماء اليونان ، فوجدوا أن اليونان أخطأوا الحساب فقال : ((فقد كان أوائلهم " علماء اليونان " من الأقدمين وكبار رصادهم من عهد بطليموس ، وطيموخارس ، ومانالاوس قد

(١) انظر أكرم ضياء العمري . التراث والمعاصرة . ص ١٢٣ . مرجع سابق .

حكموا في الكواكب الثابتة بمقدار ؛ واتفقوا أنه صحيح الاعتبار ؛ وأقام الأمر على ذلك فوق سبعمائة عام ، والناس ليس بأيديهم سوى تقليدهم ، حتى كان في عهد المأمون فاتفق كل من خالد المروزي ، وحسن صاحب الزيج المأموني ، ومحمد بن الجهم ، ويحيى بن أبي منصور ، على أنهم امتحنوا رصد الأوائل فوجدوهم غالطين فيما رصدوه ، فرصدوا هم رصداً لأنفسهم وحرروه وسموه الرصد الممتحن [1] .

وهذا الرصد الأخير لم يسلم من الخطأ أيضاً ، لكن الأجيال اللاحقة لم تستطع أن تراجع نتائج أولئك السابقين وتتحقق منها حتى جاء " أبو سعيد ابن شاذان المنجم " فبحث فيها واتضح له أن المتأخرين لم يسلموا من الخطأ أيضاً ، وأن من تابعهم بعد ذلك فهو مقلد لهم فقال فيما ينقله عنه ابن القيم ((ولما رأيت هؤلاء القوم " علماء الهيئة في عصره " مع ذكرهم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة ، واقتداء الناس بهم واشتغالهم بمؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه ؛ من غير تأمل لخطئه وصوابه بالعيان والنظر ، وأوهموا الناس بالرصد ؛ حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم أن ذلك عن معرفة بالكواكب بأعيانها ؛ وإنما عولوا على ما وجدوه في الكتب من أطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غيرمعرفة خطئها وصوابها ، ثم شرع في بيان خطئها)) [2] .

---

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . تحقيق سيد إبراهيم ، علي محمد .ج ٢ . ص ٤٩٦ . ط ١ . القاهرة : دار زمزم . ١٤١٤ هـ .

(٢) المرجع السابق . ج ٢ . ص ٤٩٦ .

ومنذ شاع التقليد في الحركة العلمية ، ضعف الإبداع في العلوم الطبيعية والإنسانية بشكل عام إلا من حوادث متفرقة يبرز فيها مبدع ، ولكن الحركة بشكل عام أصيبت بالجمود منذ القرن الخامس الهجري [1] .

لقد شاب كثير من النظريات العلمية الأساطيرَ والظنونَ تناقلتها الأجيال دون أن تنقد أدلتها وتبحث في حججها ، مما ساهم في تردي حركة العلوم الطبيعية ، وقد تختلط الأساطير الوثنية بالعلوم الطبيعية وتنقل ما فيها من فساد دون فحص ونقد كما حصل من جراء ترجمة التراث اليوناني مما جعل كثيراً من الناس ينظرون بعين الريب والشك لتلك العلوم وللمشتغلين بها خاصة علم الكيمياء ، وعلم الهيئة " الفلك " لارتباطه بالتنجيم .

٤-انتشار البدع :

والبدع من أخطر نتائج التبعية الفكرية الداخلية ، وحجة المبتدعة دائماً تقليد آبائهم ، أو مشايخهم ولا يلتفتون إلى الدليل ، وإن نظروا إلى الدليل فهم لا يتحررون من الهوى بل يحكمون الهوى على الدليل ، وأول من يبتدع يكون متبعاً لهواه ، ثم تنتقل البدعة عن طريق التبعية الفكرية للآخرين .

ولهذا كان السلف الصالح يسمون المبتدعة تارة بأهل الأهواء وتارة بالمبتدعة [2] ، وهم أعداء للسنن لأنها البراهين الواجب إتباعها ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ

(١) انظر أنور الجندي . أسلمة المناهج والعلوم . ص ٧٣ . مرجع سابق .

(٢) انظر جلال الدين السيوطي . الأمر بالإتباع والنهي عن الأبتداع . ص ٧٤ . مرجع سابق .

(٣) سورة القصص . آية ٥٠ .

الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [1] ، وعندما يتقبل الإنسان رأياً دون برهان فإنه بلا شك سيقع في البدع ويعمل بها ، وقد لا يعلم أنها بدع ويظن أنها من الدين ، وفي هذا ضرر عظيم على دين الإنسان وليس حجة عند الله تقليد الناس ، بل الحجة اتباع أمر الله ، وأمر الرسول ﷺ ، قال ابن الجوزي ((الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، وأعلم أن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الألوهية ، ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه)) [2] ، وقد شاعت البدع في العالم الإسلامي وقد تصل إلى درجة الشرك والكفر كما هو حاصل في عبادة القبور ، والتقرب إلى الأموات بالنذور التي وقع فيها بعض المسلمين في بعض البلاد الإسلامية [3] .

٥- التهيئة للتبعية الفكرية الخارجية :

تراكمت آثار التبعية الفكرية الداخلية في المجتمع الإسلامي على مر السنين من تفلت من أحكام الدين ، وفرقة وخلاف بين المسلمين وركود العلوم الشرعية ، والعلوم الطبيعية ، وكذلك الحركة الصناعية والزراعية ، كل ذلك ساهم في تخلف المسلمين العلمي والصناعي وانقسام الدولة الإسلامية إلى عشرات الدويلات الصغيرة التي انتشر فيها الفقر والجهل ، وقد أصبح ذلك

---

(١) سورة ص .آية ٢٦ .

(٢) ابن الجوزي . تلبيس أبليس . ص ١٩١ . مرجع سابق .

(٣) انظر عن البدع وأنواعها وأصنافها في كتاب أحمد بن حجر آل بو طامي . تحذير المسلمين من الإبتداع والبدع في الدين مرجع سابق . كذلك السيوطي . الأمر بالإتباع والنهي عن الإبتداع . مرجع سابق . وكذلك الأعتصام للشاطبي . وغير ذلك كثير .

بمثابة الأرضية المناسبة لاستقبال الغزو الفكري الخارجي ، ومن ثم التبعية الفكرية الخارجية .

عندما جاءت جيوش المستعمر ، وبث ثقافته بين المسلمين قابلت أناساً قد فقدوا الحماس لدينهم ، وقد ضمرت عقولهم ، واستحكم الجهل فيها ، فبث المستعمر سمومه الفكرية ، وتقبلتها تلك الشعوب بخضوع واستسلام ، مع النظر بعين الانبهار والإجلال للفكر الوافد فسارع الناس جماعات في اللهاث خلف حضارة المستعمر .

ولم يكن العقل المسلم قادراً عل مواجهة ذلك الغزو والتصدي له ، ومعالجة أوجه القصور في الحياة الإسلامية إنما كان ذلك العقل قد استحكم فيه التبعية الفكرية فانهار مع أول صدمة ، وفقد مقوماته وشخصيته حتى ظهر جيل من المفكرين المفتونين ، يقولون لقومهم أن لا طريق للحضارة إلا بالسير في خطى المستعمر ، وتقليده تقليداً تاماً ، إن هذا الانهزام الفكري والنفسي من آثار التبعية الفكرية المذمومة ، وعندما وفدت الكتب المترجمة في القرن الثالث الهجري تصدى لها كثيراً من العلماء ، ولم تلق القبول لدى الناس كما لقيته الحضارة الغربية اليوم ، لقد أصبحت التبعية الفكرية الخارجية من أشد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر .

ثانياً – آثار التبعية الفكرية الخارجية :

١- الردة والخروج عن الدين :

في خضم الانهزام النفسي للمسلمين أمام حضارة المستعمر ، ومع ضغط الغزو الفكري على عقول المسلمين ، برزت ظاهرة تقليد المستعمر شيئاً فشيئاً .

وتباين المسلمون في ذلك التقليد فطائفة منهم قلدتهم في أزيائهم ، وبعض مظاهر حياتهم وطائفة أخرى زادت عن ذلك لتقلدهم في أعيادهم ولغتهم وبعض قيمهم ، مثل الاختلاط ، ومزاحمة المرأة للرجال في أعمالهم . وطائفة أخرى قلدت بعض أراء المستعمر المتعارضة مع عقائد الإسلام مثل المعاملات الربوية ، وبعض القوانين الجزائية ، وكذلك أتباعهم في بعض النظريات الفاسدة ، مثل نظرية دارون ، وسيجمند فرويد ، ونحوهما ، وطائفة أخرى اتبعت المستعمر إتباعاً تاماً وكفروا بالدين ، وحاربوه ، وهم اشد الطوائف ضرراً ، وكفراً ، وامثال هؤلاء أتباع الشيوعية ، وكذلك الذين تنصروا ، وتلك الطائفة أقل الطوائف عدداً .

وهناك طائفة بقيت على إيمانها لم تضرها فتنة الغزو الفكري ، وهي الطائفة المنصورة التي ستبقى إلى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم [1] .

٢- ترسيخ التخلف الصناعي والعلمي والاقتصادي :

ظن رواد التغريب أن الطريق إلى نهضة المسلمين هو الاحتذاء بالحضارة الغربية ، وتقليدها تقليداً تاماً ، وظن أولئك المهووسون أنه إذا تم ذلك التقليد فإن المسلمين سيحطمون قيود التخلف الصناعي والعلمي والاقتصادي ، وسيأخذون مكانتهم العالية بين الأمم .

وسارعت كثير من الحكومات في البلاد الإسلامية على السير في خطى الغرب في برامجها التعليمية والتربوية ، وفي خططها التنموية ، ومضى عقود

---

(١) أخرج مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ : ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)) . ج ٣ . ص ١٥٢٤ . حديث رقم (١٩٢٣) كتاب الإمارة .

وللبخاري عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ : ((لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون . ج ٨ . ص ١٨٩ . حديث رقم (٧٣١١) . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

من الزمن على تطبيق تلك المناهج ، والمتبصر في أحوال الدول الإسلامية يجد أنها لم تظفر بتنمية حقيقية ، إذ مازالت في مؤخرة الركب ومازال الجهل والفقر معششا في ربوعها ، ومازالت عالة على الأمم الأخرى في الصناعات وفي الأدوية ، وفي الطعام وفي كل شئ ، ((لقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الأرضية الغربية التي سادت بلادنا تحت شعار الحداثة لم تأت لتحقق تقدماً وتطوراً ، لا على المستوى المادي ولا على المستوى الثقافي - الفكري ، بل دمرت عوامل التقدم والرقي حين حطمت مصادر الاستقلالية في النسق المجتمعي الحضاري التاريخي)) [1] .

وبالرغم من أن هناك جوانب من الإيجابيات تتمثل في عدد المتعلمين ، والأطباء والمهندسين ، وعدد المستشفيات والمدارس والفنادق ، والطرق ، والمصانع ، ونحوها فتلك مكتسبات جزئية داخل نظام خاطئ في قاعدته وتشكيله وأساس تكوينه [2] .

إن الاغتراب الثقافي الذي يتجلى لدى الأقليات المسيطرة في البلاد الإسلامية هو المسئول عن ديمومة التخلف وترسيخه ونشر التبعية ، وفشل التنمية وعن نزيف الثروات لصالح مراكز العالم المُصَنِعْ [3] وسبب الفشل هذا يعود إلى أن النموذج الغربي غير صالح أو مرغوب فضلاً عن أنه غير قابل للتكرار ، ذلك أن نجاحه في أوروبا كان مشروطاً بظروف تاريخية مجتمعية داخلية ، ورهن ظروف خارجية تمثلت في الإستعمار أن هذه الشروط

(١) فادي إسماعيل . الخطاب العربي المعاصر . ص١٥١ . مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق بتصرف . ص ١٥٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٥٩ .

التكوينية للنموذج الغربي لا يمكن أن تتكرر [1] ، والشعوب الإسلامية تتميز بظروف ثقافية ، واجتماعية وجغرافية ، فلا بد أن تتميز خططها التنموية بما يتوافق مع ظروفها حتى يمكن أن تثمر تلك الخطط ، وهذا يعني أن تحرر من سلطان التبعية ، والانطلاق من أصالتنا الحضارية ، حتى يمكننا أن نعود إلى مجدنا السابق .

٣- تسلط الأمم الأخرى على المسلمين :

عندما اجتاحت جيوش المستعمر بلاد المسلمين كان المتوقع أن يكون ذلك حافزاً للمسلمين ليراجعوا أنفسهم ويستكشفوا أسباب الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [2] ، وكان المتوقع أن يراجعوا أنفسهم على الكتاب والسنة لمعرفة ما سبب الخلل ، واكتشاف الدواء لكنهم مع وقع الهزيمة العسكرية المؤلم وما تلاها من هزيمة فكرية ونفسية ، وجدوا أنفسهم منهارين ، مضطربين ، تائهين ، فروج لهم المستعمر أن لا طريق إلا بإتباع الغرب فيمموا وجههم قبله وكان ذلك أكبر شاهد على انهزامهم الروحي والمعنوي ، فما كان من الغرب إلا أن قاد جموع الناس حيث أراد .

لقد حفز الانهيار النفسي للمسلمين الأمم الأخرى لتتسلط عليهم ، وفرض هيمنتهم وسلطانهم عليهم وكان من الممكن أن تظهر موجة عارمة من الجهاد وعودة قوية إلى الدين ، كما كان يحدث عادة عند كل نازلة تصيب المسلمين إلا أن هذا لم يحدث إلا على نطاق محدود لا يمثل التيار العام

(١) المرجع السابق . ص ١٦١ .

(٢) سورة الرعد . آية ١١ .

في الأمة وهذا ما شجع المستعمر على ترسيخ سلطانه على تلك الأمم المهزومة

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :((**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال : قلنا : يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع الله المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت**)) [1] وما أصاب المسلمين خاصة في القرنين الأخيرين من تجرأ الأمم الأخرى عليها ، ومحاربتها لها ، وسومها سوء العذاب من تقتيل وتشريد ، وسلب ونهب ، كل ذلك تصديق لما أخبر به الرسول ﷺ فهذه روسيا اجتاحت دولاً إسلامية كثيرة ، وفعلت ما فعلت في أفغانستان ، طوال عشرة سنوات من القتل والهدم والخراب وهاهي الآن تسفك دماء المسلمين في الشيشان ، وهاهم الصرب يفعلون بمسلمي البوسنة ما فعله التتار في أهل بغداد من قتل وهدم ، واغتصاب للنساء ، وهاهي الهند اليوم تفعل مع مسلمي كشمير نفس ما فعله الصرب ، وكذلك فعل عباد الصليب في الحبشة وعباد الصليب في الفلبين ، وكذلك قتلة الأنبياء اليهود في فلسطين ، وكل ذلك مما يشيب له الوليد ، فارخص دم اليوم على وجه الأرض دم المسلمين ، فلا حام لهم ، ولا مغيث لهم ، وهاهم يبكون دموع الذل والهوان على أبواب هيئة الأمم المتحدة ،إن كل ذلك الذل والهوان هو بفعل الغثاء ، الذي أصبح

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند . ج ٥ ص ٢٧٨ . وللحديث شاهد عند أبي داود . ج ٤ ص ١١١ , رقم ٤٢٩٧ . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة . ج ٢ ص ٦٨٤ .حديث رقم ٩٥٩ .

سمة المسلمين اليوم إلا من عصم ربك ، وهذا الغثاء ثمرة التبعية الفكرية للغرب .

٤- ضياع الهوية الإسلامية :

عندما تشتد الخطوب بالأمم فإنها تهرع إلى تاريخها تستلهم منه مقومات وجودها على الأرض ، كأمة لها ذاتها وشخصيتها وتستمد من ذلك أكبر حافز لها للصمود في وجه الخطوب ، وتبذل الأمم قصارى جهدها في إبراز سمات هويتها الحضارية ، وتحافظ عليها ، فتنقلها إلى أجيالها مفعمة بالبطولات التاريخية ، وتغرس شعارات حضارتها في عقول أبنائها ، حتى يستمر عطاء الأمة ووجودها بين الأمم .

وتزدري الأمم من تنازل عن هويته وانصهر في هوية أمة أخرى فذلك عنوان الهزيمة ، ولهذا تبذل الأمم جهدها في المحافظة على لغتها وآدابها ، وعاداتها ، ودينها ، بل تحاول أن تصدر ذلك للشعوب الأخرى ، فهي تعلم أن من تقبل تلك الثقافة وارتدى شعاراتها فإنه أصبح بمثابة تابعاً لها ، بل يكون جندياً من جنودها .

ولكن عندما تزدري الأمة هويتها وتخجل أن تظهر بها بين الأمم الأخرى ، فإن تلك الأمة أصبحت مهزومة فهي في الطريق إلى الهلاك والاندثار ، فإن هي خلعت ثقافتها وارتدت ثقافة الأمم الأخرى ، وانصهرت في بوتقتها الحضارية والثقافية ، فإنها عندئذ تكون في طور الانقراض التام والاختفاء من مسرح الحياة .

وعندما ظهر المتغربون بين المسلمين ، يروجون لأفكارهم الخبيثة بطرح هوية الأمة الإسلامية ، وارتداء هوية الغرب العلمانية ، ولقي هؤلاء الدعاة آذاناً صاغية ، وقلوباً تمكن فيها الهوى والشهوات ، ونفوساً ضعيفة ذليلة ،

واستمعوا لأولئك المتغربين ثم أخذوا في خلع شعارات الأمة ، الشعار تلو الشعار من ملابس ، ومن ثم لغة ، ومن ثم فكر ، ومن ثم آداب وعادات ، وهكذا كلما خلعوا شعاراً أتبعوه شعاراً آخر ، واستشرت تلك الظاهرة في أبناء المسلمين ، كان ذلك عنواناً بارزاً لما يعانيه المسلمون من هزيمة نفسية حادة ، وضياع وحيرة تهدد مستقبلهم كافة على الأرض ، ليبقوا عمالاً في مصانع الغرب ، أو متسولين على موائدهم ، ليدخلوا في عالم الغثاء ، الذي لا ينفع الناس ولا يمكث في الأرض ، وتلك من ثمرات التبعية الفكرية ، وهانحن نعيش في هذا العصر لحظة احتضار الهوية الإسلامية .

ومع إشراقة شمس الصحوة الإسلامية ، ظهر في الأفق أمل أن تعود الهوية الإسلامية إلى ديارها وأصحابها ، وعسى أن يأتي النصر قريباً .

٥- الاختلاف والبغضاء :

ظهر بين المسلمين من ينادي بالشيوعية ، ومن ينادي بالقومية ، ومن ينادي بالعلمانية ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وأخذ أتباع كل حزب يطعنون في أتباع الحزب الآخر ، يصمونهم تارة بالعمالة ، وتارة بضحالة الفكر ، ويقولون أن الصواب عند الطاعنين ، والحكمة لديه ، فظهرت البغضاء ، وتناكرت القلوب بين المسلمين .

((إن عالمنا الإسلامي اليوم ، تتقاسم عقول أبنائه المذاهب الفكرية الغربية كالعقلانية الوضعية ، والوضعية ، والمادية الجدلية ، ونحوها كما تتوزع نظم دياره المذاهب والنظم السياسية والقومية والاشتركية ، والديموقراطية ، وتشترك في الهيمنة على ثقافة بنيه ومناهجهم الثقافةُ الغربية بمدارسها المختلفة وجوانبها المتنوعة ، وحالة التمزق والصراع الدائم والتفكك الاجتماعي التي تعيشها ديار الإسلام - حالة لا يمكن أن تتوقف وتنتهي إلا بعد أن يتم تقديم

البديل الفكري والثقافي الإسلامي)) [1] .

٦- شيوع الفساد :

منذ إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم في كثير من البلاد الإسلامية ، دب الفساد الخُلُقي في أبناء تلك البلاد فانتشرت الرشوة ، والزنى ، والدعارة والمخدرات ، بالإضافة إلى إهمال العبادات من صلاة وزكاة وغيرها .

وكذلك تحللت المرأة المسلمة من حجابها ، الذي يصون شرفها عن أعين الذئاب ، ولتخرج سافرة ، مرتدية أزياء الكافرات ، في مشهد يقزز النفس ، ولقد دب الفساد الخُلُقي بشكل هائل يدعمه ويروج له الإعلام مستخدماً كافة ما أتاح له العلم الحديث من إمكانات ، من تلفزيون وصحف ، وإذاعة وسينما ، وغيرها .

وهكذا ما زالت التبعية الفكرية تصب إفرازاتها السامة في المجتمع الإسلامي.

(١) طه جابر العلواني . الأزمة الفكرية المعاصرة . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٤ . ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م . ص ٢٤، ٢٥ .

الفصل الثاني

العلوم التربوية

بين الاقتباس المحمود والتبعية الفكرية

المبحث الأول : الموقف من العلوم التربوية الغربية

ويتضمن اتجاهات فرعية ثلاثة وهي :

أولاً : اتجاه الرفض التام

ثانياً : اتجاه القبول التام

ثالثاً : اتجاه الوسـط

المبحث الثاني : مشروعية الإقتباس

ضوابط الإقتباس في التربية والتعليم

الضابط الأول : الرسوخ في العلـم الشرعي

الضابط الثاني : سبر غور الفكر التربوي الغربي

المبحث الثالث : معايير التبعية الفكرية في التربية والتعليم

أولاً : معيـار العقيـدة

ثانياً : معيار هـوية الأمـة

ثالثاً : معيار الحجة والبرهان

رابعاً : معيـار المصلحـة

تمهيد :

تحدث الباحث في الفصل السابق عن أنواع التبعية الفكرية المحمود منها والمذموم ، وعن أسباب نشأتها في البلاد الإسلامية ، وعن آثارها .

كان الحديث بشكل عام عن التبعية في كافة ميادين الحياة ، وبقي أن يركز الباحث على التبعية الفكرية في ميدان التربية ، وهذا يتطلب الحديث عن ثلاث قضايا مهمة .

الأولى : موقف المفكرين في البلاد الإسلامية من الفكر التربوي الغربي .

عن اتجاهاتهم وحجج أصحاب كل اتجاه .

الثانية : هل الاقتباس من العلوم التربوية الغربية مشروع ؟ وما هي ضوابطه ؟

الثالثة : ماهي المعايير التي يمكن على ضوئها أن نفرق بين الاقتباس المحمود وبين الاقتباس المذموم أو التبعية الفكرية .

إن الرؤية للفكر التربوي الغربي ، مازالت عند كثير من الناس مشوشة وغير واضحة ، وما زال الحديث والجدل قائماً في مسألة التفاعل الحضاري أو الانفتاح الحضاري ، فكل يدلو بدلوه في هذه المسألة من رؤيته الخاصة ، وفهمه الخاص ، ولهذا فإن حسم تلك المسألة لا يكون إلا بالتفريق بين الاقتباس المحمود وبين الاقتباس المذموم ، ويستلزم ذلك استنباط معايير من القرآن والسنة ؛ لفحص الاقتباس عليها .

ويبدأ في الحديث عن الموقف من الفكر التربوي الغربي .

المبحث الأول : الموقف من العلوم التربوية الغربية :

في الموقف من العلوم التربوية الغربية نجد ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : الرفض التام للعلوم التربوية الغربية

ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن العلوم التربوية الغربية هي وليد شرعي للحضارة الغربية اليهودية والمسيحية والعلمانية والإلحادية ، وأن العالم الإسلامي لو تمسك بدينه وتراثه لن يكون بحاجة إلى هذا " المسخ " الأكاديمي العلماني [1] ، ويرى طائفة من أصحاب هذا الإتجاه رفض أسلمة العلوم التربوية الغربية باعتبار أنها علوم تكونت بفعل اتجاهات " الإلحاد والكفر " التي هيمنت على الفكر الغربي في العصر الحديث وما دام أن أساسها " كفر" فلا يمكن عندئذ أسلمتها ، وأبرز من يمثل ذلك الاتجاه الشيخ عثمان الصافي الذي ألف كتاباً بعنوان ((أسلمة العلوم الإنسانية عنوان وهمي لاواقع موضوعي له)) [2] وقد ضمن الكتاب آراءه نحو العلوم التربوية الغربية فقال فيه : ((ليس للمسلمين حاجة إلى هذه العلوم الإنسانية وعندهم غناء عنها ؛ بما منّ الله به على أمة الإسلام والبشرية جمعاء من حلول لمشكلات الإنسان ويؤيد هذا الرأي كتب تصدر عن أصحاب هذا الإتجاه يكشفون فيها عن وجود بدائل لتلك العلوم في نصوص الوحي ، وما خلفه لنا السلف من تفسيرات وشروح لها ، وإن هذه البدائل هي خير مما تتطلع إليه نفوس من تطلعت نفوسهم إلى ما أُسمي ((أسلمة)) هذه العلوم ، ولعل أصحاب هذا

(١) مالك بدري . علم النفس الحديث من منظور اسلامي ، ص٦، بحث مقدم في مؤتمر قضايا المنهجية والعلوم السلوكية ، الخرطوم ١٥ - ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

(٢) نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

الرأي يمثلون الكثرة ، لِوفرة ما اطلعنا عليه من أسماء لمؤلفاتٍ بهذا المعنى أو ما يقاربه ، وتعتبر الغالبية لأصحاب هذا الرأي رافضة لهذه العلوم طالما قصروا الصواب والخير والحق على ما جاء به الإسلام حتى رأى من رأى منهم وجوب إغفالها وإسقاطها من الإعتبار وهذا الرأي ينم عن تحسسٍ مخاطر لهذه العلوم ومحاذير من تعلمها والإنسياق وراء اعتمادها كمرجع لتقرير السلوك)) [1] .

وهو يؤيد هذا الاتجاه فيقول : ((وهذا الرأي هو الذي أصاب كبد الصواب يستطيع القارئ أن يدرك الحقيقة هذه من مجمل ما في الدراسة))[2]

ويرد في كتابه على دعاة أسلمة العلوم الإنسانية فيقول : ((أما فيما يتعلق بظاهر " الأسلمة " فهو شاذٌّ لغوياً ، لم يعرَّف بلسان العرب ولا على لسان المسلمين في مشتقات (الإسلام) ، إلا لمن لم يكن مسلماً ثم أسلم ... على أنه مهما يكن من أمر فإنه يعنينا مدلول العبارة دون لفظها ، والذي يقصد به أن تحول هذه العلوم من " المنطق الغربي " الذي تنتمي إليه إلى انتماء إسلامي وهي تحمل اعترافاً بأن هذه المسماة " علوماً " لها انتماء وهوية غير إسلامية . فما ليس بإسلام لا سبيل إلى أن يصبح إسلاماً بحال من الأحوال ، كما أن الإسلام ليس فيه منطقة فراغ تُملأ من خارج عقيدته وأحكامه فليس ثمَّ أي مجال أو قابلية لتمازج أو تحويل " كفر " ليكون " إسلاماً " كما لا سبيل لإسلام أن يكون كفراً)) [3] .

---

(١) عثمان صافي . أسلمة العلوم الإنسانية عنوان وهمي لاواقع له . ص ٣٨-٣٩ . ط١. بيروت : نشر دار الكتاب العربي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م . .

(٢) المرجع السابق . ص ١١٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٢٦ - ١٢٧ باختصار .

ويقصد في كلامه الرد على (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) الذي أُنشأ في عام (١٤٠١) هـ في الولايات المتحدة الأمريكية وقد قام بنشاط كبير في " مجال تأصيل العلوم الإنسانية " ومن ضمنها العلوم التربوية ، فأقام مؤتمرات وندوات وطبع ونشر كتباً كثيرة في هذا الميدان ، وللمعهد فضل كبير في الدعوة إلى إحياء التر بية الإسلامية ، ونقد الفكر التربوي الغربي ، وبيان جذوره ومنطلقاته ، وقد شارك في تنفيذ مشروع المعهد علماء ومفكرون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي [١] .

العوامل التي ساهمت في تشكيل إتجاه الرفض :

١ - إن (أصول) العلوم التربوية الغربية فاسدة من حيث بنائها على الإلحاد والكفر بالأديان وخاصة أن العلماء المشهورين في العلوم التربوية الغربية مثل سيجمند فرويد وهو يهودي ملحد ، وله نظرية في تفسير سلوك الإنسان حيث أرجع سلوك الإنسان إلى غريزة الجنس ، كذلك أساطين علماء الإجتماع الغربيين مثل دوركهايم ، وأوجست كونت ، ونحوهم فسروا ظاهرة الدين أنها من صنع الإنسان ، وليست من عند الله فهم يكفرون بالله كذلك نظرية تشارلز دارون في أصل الإنسان وأنه متطور من الكائنات الحية وليس من صنع الله مباشرة ، وغير هؤلآء من المفكرين الغربيين الذين ساهموا في تشكيل الفكرالغربي كانت نظرياتهم فيها من الفساد ومعارضة الأديان ما هو معلوم [٢] .

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا المعهد وأهدافه ونشاطاته ينظر كتاب المعهد (إسلامية المعرفة) للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ط١. من منشورات المعهد . ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

(٢) لمزيد من التوسع عن هؤلآء المفكرين وأثرهم في التفكير التربوي الغربي أنظر على سبيل المثال :

ورأى أصحاب اتجاه الرفض أن العلوم التربوية الغربية بنيت على تلك الجذور الفاسدة ، فهي إذن فاسدة ، فلا مجال لنظرٍ فيها ولا نفع للمسلمين منها بل فيها الشرُّ كله والضررُّ كله لما تبثه من شكوك وإلحاد فمن باب سد الذرائع يجب إغلاق هذا الباب جملة وتفصيلاً .

٢ - رأوا أن بعضاً من أبناء المسلمين الذين ذهبوا إلى الغرب وتخصصوا في تلك العلوم رجعوا إلى ديارهم وقد تغيرت قلوبهم وأفهامهم وتبنوا النظريات الفاسدة ، وأخذوا يروجون لها بين المسلمين فإذا هم قد أصبحوا أدوات للغزو الفكري والثقافي يرددون أقوال الغرب ، ويثيرون الشبهات والشكوك حول الدين ، فزادت مخاوفهم من تلك العلوم وأيقنوا أنها سبيل لنشر الكفر والإلحاد بين المسلمين .

٣ - تفحصوا في نتائج المدارس والمعاهد والجامعات التي تبنت تلك العلوم فرأوا أن ثمراتها خروج جيل يجهل أحكام شرعه ، كسول ، تائه ، ضعيف الشخصية ، لاهم له إلا البحث عن وظيفة .

٤ - إن كثيراً من هؤلآء لم يطلع مباشرة على العلوم التربوية الغربية ، وإنما سمع النقد الموجه إليها ، ولم يفهم معنى النقد ، ولا لأي مستوى أو ميدان

ا - محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٣٩ وما بعدها عن نظرية ((تشارلز دارون)) ، وَ ص ١٠٧ وما بعدها عن نظرية ((سيجمند فرويد)) ، و ص ١١٤ ومابعدها عن نظرية ((اميل دوركهايم)) ط ٧ - القاهرة : دار الشرق ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

ب - كذلك : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص ٢٨٩ وما بعدها عن نظرية ((سيجمند فرويد)) وأثره في علم النفس ، ص ٣١٧ وما بعدها عن نظرية (دارون ومذهب التطور) ، ص ٣٢٥ وما بعدها عن نظرية (دوركهايم وأثره في علم الإجتماع) ، ص ٤٠٥ وما بعدها عن نظرية (أوجست كونت) وعن نظريته في نشأة الأديان ، ط ٢ - دمشق -بيروت : دار القلم ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

يقصد به النقد ، بل ظن أن النقد يشمل جميع فروع العلوم التربوية الغربية وعناصرها وأجزائها وأساليبها ووسائلها ، فكلها عنده فاسدة دون استثناء .

٥ - تعظيم التراث الإسلامي الذي خلفه المحدِّثون والفقهاء والوعاظ ، وغيرهم واعتبار أن ماقاله العلماء المسلمون في كافة فروع المعرفة هو الصواب وأن آرائهم في ميدان التربية والتعليم يجب الإقتصار عليها والعض عليها بالنواجذ ، فالخير كل الخير فيما قاله الأسلاف ، فعلماء الأمة السابقون هم أكمل عقولاً من المتأخرين وأدرى بما ينفع الناس ، فعلى المسلمين الإلتجاء إلى كتبهم والعكوف عليها ، وهذا الداء ليس بجديد وإنما تضخم في عصور الركود والجمود ، والذي يستند على التقليد وإحاطة أقوال الأئمة والعلماء بهالة من القداسة ، يقول القرضاوي عن تلك الطائفة التي أسماهم (الموغلون في الماضوية) : (ماضويون تراثيون موغلون في الماضوية . لايكادون يرنون إلى الأمام أو المستقبل ، أو يتعمقون في الحاضر . فهم مشدودون أبداً إلى الخلف سجنوا أنفسهم داخل قضبان التراث ، ولايتصورون العيش في الحاضر أو المستقبل إلا باجترار التراث كله ، بجزئياته وتفاصيله . ومن سمات هؤلاء : أنهم يُضفون لوناً من القداسة على التراث ، فهو حق كله ، خير كله ، صواب كله .. مع أن الدراسة المنصفة للتراث تؤكد أنه لا يخلو من الباطل .

ومن سماتهم أيضاً : يسرفون في رد كل جديد إلى القديم من التراث وإن لم يقم على ذلك برهان .. فنظرية ((التطور)) ، توجد عند علماء المسلمين مع الإختلاف البين بين ما ذهب إليه المسلمون ، وما ذهب إليه ((دارون)) ومن تبعه . والطب الحديث يوجد عند الرازي ، وابن سينا ، وعلم الاجتماع المعاصر لايخرج عن ابن خلدون ، إلى غير ذلك من المبالغات . ومن سماتهم

أيضاً : التعلق بالصورة ، والشكل من السلف لا بالروح والجوهر ، والأخذ بالأقوال الجزئية للسلف لامنهج الإجتهاد والتفكير عندهم) [1] .

ويرى الباحث أن المهم هو منطلق التفكير ، فإما منطلق إيماني ، وإما منطلق علماني .

هذه أهم العوامل التي ساهمت في تشكيل هذا الاتجاه .

مناقشة أصحاب هذا الاتجاه :

غابت عن تلك الطائفة حقيقتان :

الحقيقة الأولى : أن العلوم التربوية الغربية فيها حقٌ وباطلٌ ، وفيها أصول وفيها تطبيقات .

فأصول الفكر التربوي الغربي فاسدة من حيث مقاصدها وفلسفتها ، لكن هناك ميدان آخر في العلوم التربوية الغربية وهو ميدان الوسائل ، والتي منها ما هو مادي مثل ما استحدثوه من وسائل تعليمية : كالتلفزيون التعليمي ، والحاسب الآلي ، والمختبرات ، والنماذج ، والفانوس السحري ، والمجسمات والخرائط ، ونحوها من وسائل التعليم ، فهذه الوسائل كاستخدامنا الطائرة والسيارة وغيرها من الآلات ، فيها منافع للناس كثيرة ويمكن أن لا تحمل إلحاد الغرب وكفره ، فتستعمل في الخير ، كما يمكن أن تستعمل في الشر .

كذلك هناك وسائل غير مادية ، مثل : أساليبهم في ضبط الإدارة المدرسية أو في تنظيم محتوى المنهاج ، أو في تقويم البرامج التعليمية ، أو في حساب كلفة البرامج التعليمية ، ونحو ذلك من الأساليب والتنظيمات المدرسية ، التي

(١) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ص١٢٩ ، ط١ - القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

يمكن الإستفادة منها بعد فحصها ، وتهذيبها ، وصهرها في بوتقة هويتنا الحضارية ، فهي أشبه ماتكون بالديوان الذي اقتبسه عمر بن الخطاب ﷺ من الفرس كأداة لتنظيم شؤون الجند المالية ، وضبطها ، فهو رأى أن الفرس ابتدعوها ، وأن نفعها عظيم بعد كثرة أعداد الجند ، وحتى يمكن تسجيل العطاء ومتابعة أحوالهم عن طريق تلك السجلات ، فلم يرَ فيها المسلمون بأساً و لم يستنكروها بل أقروها وطوروها وأصبحت من عناصر النظام الإداري الإسلامي [1] ، ففي العلوم التربوية الغربية (دواوين) كثيرة ، من أساليب التنظيم والضبط ، والتقويم ، والإشراف ، والمتابعة ومن تجول في منشآتهم التعليمية يرى كيف يتم الضبط والتدوين والملاحظة ، والمتابعة لأنشطة الطلاب والمدرسين وكل ذلك من الأشياء النافعة التي يمكن للمسلمين الإستفادة منها ، والتي يفتقدها المسلمون في عصرنا الراهن ، كذلك لهم آراء في طرق التعليم وأساليب إثارة انتباه الطلاب ، وأساليب التعليم المختلفة ، والتي مكثوا في تهذيبها وتطويرها عشرات السنين في مراكز البحث العلمي ، وفي المدارس التجريبية ، وأجروا عليها دراسات واسعة للتأكد من نفعها وصلاحيتها ، وفعلاً استطاعوا أن يبدعوا في هذا المجال وأن يتوسعوا فيه ، فأصبحت العملية التعليمية لا تعتمد على طريقة الإلقاء أو المناقشة أوالسؤال فقط بل هناك المعامل ، والورش ، والتلفزيون التعليمي ، فما يمكن تعليمه وشرحه للطلاب في أسبوع يمكن تعليمهم إياه في ساعة واحدة بطرق أدق ، وأوضح وأوجز في تسهيل تعلم العلوم وترسيخها في عقولهم فكيف تهمل

(١) عن نشأة الدواوين وأقسامها وتطورها أنظر على سبيل المثال : أنور الرفاعي . النظم الإسلامية . ص ٨٢ ومابعدها . ط١. دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٩م . وذكر المؤلف أن لغة الدواوين حتى زمن عبد الملك بن مروان فارسية في العراق ، ورومية في الشام ، ثم عربت ، أنظر ص ٨٧ .

هذه التجارب التي أمضى الغرب فيها عقوداً طويلة ونسقطها من حساباتنا ، ولو تبصر فيها طائفة من هؤلآء لتغيرت آرائهم وأفكارهم ولعلموا أن هناك ميداناً واسعاً يمكن الإنتفاع به ((وهذا يقتضي أن ننظر إلى العلوم الإنسانية والإجتماعية نظرة جديدة ، لا نقلد الغرب فيها تقليداً أصم أعمى ، ولانرفض كل شئ عنده ، بل ننقده بأن نعيد قراءتها بعقلية واثقة من دينها متفتحة على العالم غير مبهورة بالجديد لأنه جديد ، بل من خلال منظورها الخاص ومسلماتها الدينية والفكرية ، فتأخذ منها وتدع ، وترجع وتصنف ، بمنطق علمي موضوعي ، بعيد عن التعصب للقديم ، أو التعبد للحديث))[1]

فالعلوم التربوية الغربية عموماً فيها حق وباطل ، وإذا استطعنا أن نستغني عن الحق الذي فيها ونبني نظمنا التعليمية دون الإستعانة بها [2] فهذا هو الأفضل ، لكن الواقع أننا مازلنا في حاجة ماسة لمثل تلك العلوم النافعة " لعدم توفر البديل " أو " لعدم القدرة على بناء البديل " في وقت ملائم إذ قد نحتاج إلى عقود كثيرة حتى نصل إلى ما وصلوا إليه ، ونحن في حاجة ماسة لبناء قوتنا واسترداد أرضنا ، وإعادتنا إلى حيث الريادة والصدارة .

وفي إسقاطنا لتجارب الغرب ، ومن ثم إعادة بناء التجارب بأنفسنا ضياع للوقت والمال والجهد ، فتلك وسائل وأساليب يمكن تطهيرها مما علق بها من ثقافتهم ، والإستفادة منها ، وليس في ذلك مايخالف هدى الإسلام ،

---

(١) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مرجع سابق ،ص ١٦٨ .

(٢) والحقيقة أن الغرب نفسه لم يستحدث هذه العلوم والأنظمة من تلقاء نفسه دون الإستعانة بتجارب الأمم الأخرى ، بل إنه استفاد كثيراً من الحضارة الإسلامية في تطوير مناهجه ، وفي اقتباس أسس العلوم الطبيعية ، انظر ((زيغريد هونكه - شمس العرب تسطع على الغرب)) ترجمة فاروق بيضون وآخرون . بيروت : دار الآفاق الجديدة . ط٨ . ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥ م . وغيرها من المصادر .

فالرسول ﷺ إقتبس الأساليب والآلات ، فاقتبس من الفرس فكرة حفر الخندق ، واستفاد من الآلات التي خلفها المجتمع الجاهلي [1] ، وإن اقتباس " الأساليب " لا يضير المسلمين بل هو توفير لجهدهم ووقتهم ومالهم .

وميدان التربية والتعليم فيه آراء ونظريات " إلحادية " واضحة وفيه آراء وأساليب يمكن لكل أمة في الأرض أن تستخدمها لتحقيق غاياتها ، إنها مثل الأسلحة الحديثة ، فهي كالآلات يمكن لكل أمة استخدامها لتحقق مقاصدها كذلك هناك أساليب ونظريات في القتال يمكن للمسلمين أن يفحصوها فإذا كانت لا تخالف هدي الإسلام وهي مجرد وسائل للخير أم للشر فيمكن للمسلمين استخدامها للخير بدلاً من استعمالها للشر .

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى : ((كان على علماء الأمة أن يتفهموا " مبادئ " الحضارة الغربية وينفروا إلى أقطار الغرب ليتفقهوا في العلوم التي نهضت على أساسها هذه الحضارة كما كان عليهم أن يستعملوا قوة فكرهم واجتهادهم فيأخذوا من الغرب تلك الإكتشافات العلمية والمناهج العملية التي تقدمت بفضلها الأمم الغربية في سبيل الرقي ، ويركبوا تلك الأجزاء الحديثة في مكان النظام التعليمي والحياة المدنية عند المسلمين ضمن مبادئ الإسلام)) [2] .

الحقيقة الثانية : أن ميدان التربية والتعليم فيه ثوابت ومتغيرات .

فالثوابت لايجوز تغييرها ، والمتغيرات لا يجوز تثبيتها .

---

(١) سنفصل ذلك في المبحث الثاني وعنوانه ((مشروعية الاقتباس)) .

(٢) أبو الأعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية ، ط١. جدة : الدار السعودية ، ص ٥٠ . ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

فالثوابت : مثل المقاصد ، والأصول ، والمبادئ ، يقول القرضاوي : ((إن موقف الإسلام الصحيح الذي يجمع بين الثبات والمرونة في أحكامه وتعاليمه الثبات على الأهداف والغايات ، والمرونة في الوسائل والآلات ، الثبات على الأصول والكليات ، والمرونة في الفروع والجزئيات ، الثبات على الأخلاقيات والدينيات ، والمرونة في الماديات والدنيويات ، نجد هذا الثبات في العقائد الرئيسية ، والفرائض الأساسية ، وأمهات الفضائل ، وأصول المحرمات ، وكليات الشريعة ونحو ذلك مما لا يختلف باختلاف الأزمان والبيئات والأحوال .

كما نجد المرونة في الأحكام الفرعية والجزئية التي تتسع لأكثر من نظرة ، وأكثر من اجتهاد ، ولم يضيق الله فيها على عباده ، ونجد مرونة أكثر وأكثر في أمور الدنيا ، الأمور الفنية التي تتعلق بالوسائل والأساليب ، فهذه هي التي قال فيها الرسولﷺ : ((**أنتم أعلم بأمور دنياكم**)) [1] وهذه الأمور يجب أن يتقنها المسلمون ، ويتفوقوا فيها ، ولا حرج عليهم أن يقتبسوها من غيرهم إن لم تكن عندهم)) [2] ، بعد إعادة بنائها على الأصول الإسلامية ، وذلك ما يسمى بالأسلمة .

مقصد التربية الإسلامية تحقيق عبودية الله في حياة الفرد ومن المقاصد المتفرعة عن هذا المقصد ، إتباع شرع الله عزوجل فيما أمر به ، وفيما نهى عنه ، فيتعبد الله بمعرفته ، ومعرفة صفاته وأسمائه ، ومعرفة الفروض التي

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا ، على سبيل الرأي . ج ٤ . ص ١٨٣٦ . حديث رقم (٢٣٦٣) .

(٢) يوسف القرضاوي . من أجل صحوة راشدة ، ص ٦١. بيروت :المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

فرضها على الناس ؛ كالصلاة والزكاة والحج والصيام ، ومعرفة مانهى عنه كالسرقة والزنى وشرب الخمر والظلم ، وأمر المسلمين بالتخلق بالأخلاق المحمودة التي شرعها للناس كالصبر ، والحياء ، والكرم ، والشجاعة والوفاء ، والإحسان إلىالناس ونحو ذلك ، ونهى عن أخلاق مذمومة بينها للناس كالكذب ، والحسد ، والغش ، والغيبة والنميمة ونحوها ، فتلك ثوابت شرعها الله لعباده ، وهي مجمل الأحكام الشرعية والآداب ، والعقائد التي تضمنها القرآن والسنة .

والمتغيرات : وهي تمثل الجهد البشري في تنزيل تلك الثوابت إلى ميدان الحياة ، وإظهارها من القرآن والسنة إلى واقع الحياة ، ومن تلك المتغيرات طرق التعليم والتأديب ، والتوجيه والإرشاد، والنصح فهذا ميدان واسع جداً للإجتهاد والإبداع من جانب المعلمين .

فكما أن سيرة الرسول ﷺ فيها مبادئ وقواعد عامة في التعليم [1] ، إلا أن هناك ميداناً واسعاً لإبداع أساليب في تطبيق تلك المبادئ ، فالمسلمون ابتدعوا أساليب كثيرة منها التدوين والتصنيف ، وتأليف الكتب والمختصرات وسيلة من وسائل التعلم ، وابتدعوا أسلوب الإملاء ، والرحلة في طلب العلم والملازمة ، وبناء المدارس ، وتنظيم محتوى المنهاج الدراسي ، واستحداث علوم كثيرة كلها بهدف تحقيق الغاية من هذا الدين وهو تحقيق عبودية الله

(١) ومن المبادئ التي تضمنها هدي الرسول ﷺ في التعليم ، الرفق بالمتعلم والتدرج في التعليم ، ومراعاة الفروق الفردية ، واستخدام الوسائل المعينة ، انظر لمزيد من التوسع على سبيل المثال : يوسف القرضاوي . الرسول المعلم . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م . ص ١٠٩ وما بعدها .
وكذلك محمد رأفت سعيد . الرسول المعلم ومنهجه في التعليم . ط١ . الرياض : دار الهدى ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م. ص ٩٣ وما بعدها .

وفق ما شرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، قال الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه (الموافقات) :

((المقدمة السابعة : كل علم شرعي فطلب الشارع له ، إنما يكون حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى لا من جهة أخرى)) [1] .

فتلك المتغيرات : وهي في مجال الوسائل والأساليب تختلف عن الثوابت من حيث أن الثوابت لايجوز الإبداع فيها ؛ لأنه بدعة وخروج عن الدين ، بينما المتغيرات يجوز الإبداع فيها ؛ فهي وسائل لتعليم الدين ، والمعلمون متاح لهم استخدام مايرونه ملائماً لأحوال التلاميذ من علوم ، ومايحتاجه المجتمع ، فإذا شاعت في المجتمع بدع جديدة أو انحراف فيكون في برنامج التعليم مرونة لمواجهة هذا الإنحراف ، وإذا اختفى وانحسر فيمكن أن يقلص مواجهته من المنهاج التعليمي ، وإذا صادف الأمة تحدٍ كأن يكون عدواً اجتاح بعض بلادهم فيلبي المنهاج هذا التغير الطارئ ؛ فيحول اهتماماته نحو مواجهة العدو وحث الناس على الجهاد ، وهكذا يكون فيه مرونة وتغيير حسب أحوال الناس ، وحسب أحوال التلاميذ أنفسهم ، بحيث أن يكون هدف التغير هو تحقيق مقاصد الشريعة .

كذلك تطوير وسائل التعليم ، فاستخدام وسائل ملائمة لكل فن من فنون العلم ، هو من التغير المباح ومن المصالح المرسلة ، فهذا السلف الصالح رضوان الله عليهم ابتدعوا أساليب في التعليم كثيرة ، وبدلوا وطوروا وغيروا في تلك الأساليب بما يلبي حاجات المجتمع وبما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية [2] ،

(١) أبو إسحاق الشاطبي . الموافقات ، ج ١ ، ص ٦٠ بيروت : دار المعرفة ، دون تاريخ .

(٢) انظر عن تطور وسائل التربية والتعليم ، على سبيل المثال :

وتلك المتغيرات إذا ثبتت فإنها تضعف من كفاءة نظام التعليم وعندئذ لا يلبي حاجات الفرد والمجتمع ، مما يضعف نشاط الحركة الحضارية في المجتمع ، وقد يزداد الضعف كلما ضعفت مرونة الحركة داخل ميدان الوسائل حتى يهرم النظام وتتسرب إليه الآفات التي تعيق من قدرته على تحقيق مقاصد التربية فينحسر المد الحضاري للأمة ، وهكذا يستمر الضعف شيئاً فشيئاً .

وهذا ما حدث في تاريخ حركة التربية والتعليم في العالم الإسلامي فإن السلف الصالح وخاصة في القرون الثلاثة الفاضلة الأولى اجتهدوا في ابتداع وسائل وميادين للتربية بما يلبي التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي ، ومن تلك الوسائل تصنيف كتب الفقه ، فطائفة من علماء السلف صنفت بعض كتب الفقه باعتبارها مقررات دراسية للطلاب [1] يستطيع الطالب من خلالها الإلمام بالأحكام الشرعية العملية مستوى يؤهله إلى مستويات أخرى أكثر عمقاً وشمولاً ، ثم اضطروا إلى إختصارها ليسهل حفظها ، ويسهل على المدرس تحديد المواضيع التي يقوم بتدريسها للطلاب ، لكن الأجيال اللاحقة

١- سعيد الديوه حي . التربية والتعليم في الإسلام ، ط ١ - العراق ، الموصل : مكتب التراث العربي ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

٢ - حسن عبد العال . التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط ١ - دار الفكر العربي ، بدون تاريخ.

٣- إبراهيم علي العكش . التربية والتعليم في الأندلس ، ط ١ - الأردن ، عمان : دار الفيحا ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

(١) انظر عن المختصرات ، والشروح والحواشي ، والتقريرات ، تاريخها وآثارها على الحركة العلمية ، على سبيل المثال :

علي بخيت الزهراني . الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الهجريين ، وآثارها في حياة الأمة ، ص ٦٤٩ وما بعدها ، ط١ - مكة المكرمة : دارالرسالة للنشر، (دون تاريخ) وأصل الكتاب رسالة ماجستير قدمت إلى قسم الدراسات العليا الشرعية -فرع العقيدة- جامعة أم القرى في ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

توقفت عن تعديل وتطوير تلك الوسائل فبقيت على ماهي عليه مع أن ظروف المجتمع تبدلت وتغيرت ، وكان المفترض أن يعاد النظر في تنظيم ذلك المحتوى بما يلائم التغيرات المستجدة في المجتمع الإسلامي .

ولقد تنبه إلى هذا الإنحراف في الوسائل التعليمية علماء كثيرون من علماء السلف ، ونقدوا تلك الوسائل والجمود عليها وتحريف معناها ، من هؤلاء ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ = ١٢٠٠م) رحمه الله في كتابه تلبيس إبليس[١] ، وقبله الغزالي (ت ٥٠٥هـ = ١١١١م) في إحياء علوم الدين [٢] ، وغير هؤلاء كثير ، ومن المعاصرين أبو الأعلى المودودي قال رحمه الله : (إن الزعيم الحقيقي ، والمصلح الصحيح هو الذي يتولى الإجتهاد الفكري ، ويتخذ من التدابير ما هو أكثر ملاءمة للوقت والمناسبة ، والذين يتبعونه بعد ذلك يكونون مقلدين بلا تفكر ، فهم يظلون يسيرون على الطريقة التي كان اختارها مراعاة للظروف ، بدون اجتهاد أو فكر حتى بعد إنقضاء تلك الظروف ، ولايفطنون أن الذي كان الأمثل في الماضي هو في الحال الحاضرة غير الأمثل) [٣] ، ومن المعاصرين " عمر عبيد حسنة " يقول : (ولا شك أن تقدم المجتمعات وتقدم المعرفة وتيسر وسائلها أدى إلى تشعب العلوم والمعارف واتساعها ، وبالتالي فقد تعددت المناهج الموصلة إلى تلك المعارف في الوقت الذي مازال المسلمون متوقفين عند الحدود الأولى التي وصل إليها أسلافهم . وعندما استشعروا التحدي والغزو وبدأوا يفكرون في استئناف السير توهموا أن مناهج وأساليب أو طرق المعرفة الأولى يمكن أن تعتمد اليوم

(١) انظر : ابن الجوزي . تلبيس ابليس . ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢) انظر : أبو حامد الغزالي / إحياء علوم الدين ، ج١ ص١٣ ومابعدها . مرجع سابق .

(٣) أبو الأعلى المودودي / نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ص١٩٥ .

فيما وضعت له ، وفي شعب المعرفة المتعددة . جاء ذلك نتيجة عجزهم وعدم قدرتهم على إبداع وسائل مناسبة لمعارف اليوم) [1] . إن المتغيرات في التربية ليست متغيرة على الإطلاق بل هي تحت مظلة الثوابت ، لها خطوط إرشادية تبين لها مجال حركتها ، وتضبط لها تلك الحركة بحيث لاتخرج عن مجالها ، ولاتتوقف عن الحركة أيضاً ، كذلك المحتوى في منهاج التربية والتعليم فيه جانبان :

جانب يمثله علوم الآخرة ، وجانب آخر يمثله علوم الدنيا ، وكلا الجانبين تحت مظلة العلوم الشرعية ، فعلوم الدين مثل علوم الآخرة وعلوم الشريعة مصدرها الوحي ، وعلوم الدنيا مصدرها التجربة والعقل ، والمنهاج يحتوي على كلا النوعين ، فكما أن الطالب يتعلم القرآن والسنة والأحكام الشرعية واللغة ، فهو يتعلم أيضاً الحياكة ، والحدادة ، والخياطة ، والزراعة وغيرها من المهن التي تهيء الفرد للحياة الدنيا .

أما حركة التعليم في الصدر الأول فلم تكن تتم في داخل المدرسة فقط وإنما كان المجتمع كله بمثابة مدرسة ، فيتعلم الطالب العلوم الشرعية في المسجد ، وفي الكتاتيب ، وفي بيوت العلماء وغير ذلك ، والعلوم الدنيوية يتم تعلمها من خلال توارث المهن في الأسرة الواحدة ، أو في دكاكين النجارين أو الحدادين أو غيرهم [2] ، فكان المجتمع بمثابة مدرسة [3] ، وعندما ظهرت

---

(١) عمر عبيد حسنة / حتى يتحقق الشهود الحضاري .ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م . ص٣١ .

(٢) عن التعليم المهني عند المسلمين أنظر : ابن خلدون . المقدمة . الفصل الرابع والعشرون عن (صناعة الفلاحة) ، والفصل الخامس والعشرون عن (صناعة التجارة) ، والفصل السابع والعشرون عن (صناعة الحياكة والخياطة) ، ونحوها من المهن ، وتحدث ابن خلدون رحمه الله عن مبادئ التعليم المهني وعن =

المدرسة في القرن الخامس الهجري [1] ، وبدأت تستقطب العملية التعليمية حتى تحولت مع مرور الزمن إلى المدرسة وضعفت في المساجد والمصادر الأخرى للتربية ، وتحول المنهاج المدرسي مقتصراً على العلوم الشرعية ، وأهملت العلوم الدنيوية واستمر هذا الانقسام وهذا الاهمال فترة طويلة ، وذكر حاجي خليفة : (أن علماء ما وراء النهر لما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به ، فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم ،

(التدريب المهني) وخاصة في الفصل السادس عشر ص (٥٠١) وعنوانه (في أن الصنائع لا بد لها من معلم) .

(٣) انظر عن تاريخ المدارس والمدرسين :

ا- عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي / الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، ط١ دون تاريخ .

ب- ابن جماعة الكناني / تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي ، نشر رمادي ، الدمام – السعودية ط٢ ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، الفصل الخامس وبه تعليقات مهمة من المحقق حول أخبار المدارس ص٢٢٩ وما بعدها .

(١) أشهر من بنى المدارس نظام الملك (ت ٤٨٥هـ) وذلك في بغداد سنة (٤٥٩هـ) وابتدأ التدريس فيها في يوم السبت عاشر ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ ، وبناها نظام الملك للشافعية ، وكلف أبي إسحاق الشيرازي للتدريس فيها ، أنظر ابن الجوزي المنتظم ج ٦ . ص ١٠٢ ، أحداث سنة ٤٥٩ هـ .

وقال المقريزي : " والمدارس مما حدث في الإسلام ؛ ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الاربعمائة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور بنى فيها المدرسة البيهقية ، وأشهر ما بني في القديم المدرسة (النظامية) ببغداد بناها نظام الملك " المقريزي . تقي الدين أبو العباس . الخطط المقريزية . ج٢ . ص ٣٦٣ . القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية . (د . ت) .

وحول تاريخ المدارس ونشاتها ، انظر سعيد الديوه جي . التربية والتعليم في الإسلام ص ٧٤ . وحسن عبد العال . التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري .ص ٢٠٩ . وذلك على سبيل المثال .

وإذا صار عليه أُجرة تدانى إليه الأخساء ، وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه) [1].

وتوارث الأجيال تلك الوسائل مع ما فيها من قصور وما اعتراها مع مرور الزمن من ضعف وآفات استفحلت فيها ، حتى أصبحت المتغيرات ثوابت في ظن كثير من الناس ، كما يظن الطفل الذي يدرس في المرحلة الإبتدائية أن الحياة منذ نشأتها كان فيها هذا النمط من التعليم ، ولم يملك القدرة على الإدراك أن هذا تنظيم مرحلي يتغير ويتبدل كما تتبدل أساليب الناس .

لقد حملت آراء الفقهاء والعلماء في ميدان التعليم والتربية قداسة النصوص وظن كثير من المتأخرين أن هؤلاء العلماء أعلم بما يلائم طالب العلم ، ولم تستطع عقولهم إدراك أن هذه وسيلة وليست غاية ، وأن الوسيلة يمكن تبديلها وتعديلها ، وأنه لم يكن هناك نص شرعي على تلك الوسائل المتوارثة في ميدان التعليم ، ويقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله : ((ولكن الأسف إن كان العلماء – اللهم إلا من عُصم – قد خلوا من روح الإسلام الحقيقية ، فلم تكن فيهم قوة الإجتهاد ولاالتفقه في الدين ولا الحكمة النظرية والعملية ولا القوة للعمل . فلم يكونوا أهلاً لأن يستمدوا من كتاب الله والإرشاد النبوي في ناحيتي العلم والعمل مبادئ الإسلام المرنة الدائمة ، فيستخدموها في الأوضاع العصرية المتبدلة . وإنما كان قد سرى فيهم داء التقليد الجامد الأعمى للسلف ، مما كان يجعلهم يبحثون عن كل شيء في تلك الكتب الفقهية التي لم تكن منزلة من عند الله حتى تكون أرفع من قيود الزمن المتطور

(١) مصطفى عبدالله الشهير بحاجي خليفة . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : (د. ت) ط١ . ج ١ .ص٢٢ .

ويرجعون في كل شأن من شؤونهم إلى الأفراد الإنسانيين الذين لم يكونوا أنبياء الله حتى تكون بصيرتهم بالأمور متحررة من قيود الظروف والأوقات)) [1] .

ويضيف : ((وذلك أن الحركة لا تحارب بالجمود ، ولا يدفع السلاح الجديد بسلاح صدئ قديم وإن المناهج البالية التي أراد العلماء أن يتخذوها لقيادة الأمة لم تكن تنجح وتفيد شيئاً في هذا الزمان ، فإن الأمة التي أحاط بها طوفان الحضارة الغربية من جميع الأطراف كيف كان لها أن تغمض عينها وتعطل حواسها وتنكر وجود الطوفان وتسلم من آثاره . وكان من نتائج ذلك أن انهزم المسلمون في حلبة العلم والحضارة والتمدن)) [2] .

إن التمييز بين الثوابت والمتغيرات ، والمقاصد والوسائل في التربية والتعليم مهم جداً فهو يضع الحد الفاصل بين ما يجب أو ما يمكن اقتباسه من الغرب والاستفادة منه وما لا يجوز اقتباسه ، كذلك ما يجوز لنا فيه مخالفة السلف وما لا يجوز .

فبناء منهاج تربوي متكامل يهدف إلى تحقيق مقاصد الشرع في حياة الفرد وحياة المجتمع ، نابع في أصوله من القرآن والسنة آخذ بالمبادئ التي قررها الإسلام ، يحتاج فيه إلى التفريق بين الثوابت والمتغيرات ، وما يجوز لنا الاجتهاد فيه وما لايجوز ، ثم نطبق ذلك على أقوال السلف في التربية والتعليم لنفرق بين الرأي الذي يستند على نص من القرآن والسنة ، وبين الرأي الذي يستند على اجتهاد عقلي ، فأقوال السلف في التربية والتعليم ما يبنى منها

(١) أبو الأعلى المودودي / نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ص٥١ .

(٢) المرجع السابق ص٥١ باختصار طفيف .

على نص من القرآن والسنة فهذا لايجوز مخالفته من حيث أنه مخالفة للدليل ، أما ما يبنى منه على اجتهاد عقلي فهذا ينظر فيه : فإن كان رأيهم ملائماً وصائباً في عصرنا هذا فيؤخذ به ، وما كان لايناسب حالنا وظروفنا فلا نتمسك به بل نجتهد كما اجتهدوا ، يقول القرضاوي : ((إننا لسنا مع الذين يضفون القدسية أو العصمة على كل ما مضى ، ولا مع خصومهم الذين ينأون بجانبهم عن كل موروث ، لالشيء إلا لأنه قديم ، ولكن لابد لنا من التخير والإنتقاء . وخصوصاً في مجال التربية والتثقيف ، أو مجال الدعوة والتوجيه ، أو مجال الحكم والتشريع ، ولهذا أشرنا من أول الأمر أن المطلوب هو الانتفاع الواعي بالتراث ، لأن الوعي هو الذي يميز بين ما يصلح وما لا يصلح)) [1] .

والإنكفاء على أقوال السلف فقط في مجال المتغيرات لا يساهم في حل مشكلة التعليم في عصرنا الراهن ، وذلك كما سبق أن أشرنا أن آراء السلف واجتهاداتهم في مجال المتغيرات في التربية والتعليم هو استجابة لحاجات عصرهم ، وعصرنا الراهن يختلف كثيراً عن أحوالهم .

ومن تلك التحديات التي تواجهنا و لم تكن تواجههم ما يلي :

١- التفلت الشديد من أحكام الشرع الذي ساد معظم بلاد العالم الإسلامي وعودة الدين غريباً بين الناس .

٢- الإنهزام العسكري والحضاري الذي واجه المسلمين ، واستيلاء الأعداء على أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي .

---

(١) يوسف القرضاوي / الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مكتبة وهبة - القاهرة ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م . ص٦٣ . مرجع سابق .

٣- التقدم الهائل والتفوق العظيم للغرب على المسلمين في الصناعات المختلفة وخاصة الصناعة العسكرية ، وفي التقنية ، وفي الإقتصاد ، ويقابل ذلك التخلف الشديد الذي يعاني منه المسلمون وشيوع الجهل ، والضعف ، والفقر .

٤- الغزو الفكري الذي يواجه العالم الإسلامي ، والمتمثل في الهجمة الإعلامية الشرسة التي تهز عقائد المسلمين وتبث الإلحاد ، والكفر ، والشك في نفوسهم ، وكذلك موجات التنصير ، التي تجتاح كثيراً من بلاد العالم الإسلامي .

٥- الفرقة والإختلاف التي تعاني منه الشعوب الإسلامية .

٦- شيوع الأخلاق والخصال المذمومة بين الناس .

فهذه لم تكن تواجه السلف كما تواجهنا في عصرنا الراهن ، ولو أن تلك التحديات واجهت السلف لأصبح منهاجهم التعليمي يختلف كثيراً عن المنهاج الذي بنوه وورثناه عنهم .

وليست تلك دعوة لطرح أقوال وآراء السلف في ميدان التربية والتعليم بل هي دعوة لإعادة قراءة آرائهم التربوية ، وفق معيار الكتاب والسنة فما كان مستنداً على دليل شرعي فهذا جزء من الثوابت التي لايجوز لأحد أن يغيرها فهي من شرع الله ، أما ما كان يستند على حجة عقلية فهذا ينظر فيه ، وفي حجته على واقعنا المعاصر ، وحاجاتنا المعاصرة وما يواجهنا من تحديات ، فإن كان نافعاً لنا فيؤخذ به ، وإن كان هناك طريقة أخرى أكثر نفعاً من هذه الطريقة عملنا بها ، فهذا هو منهاج السلف أصلاً ، وهو كراهية التقليد بل الإعتماد على الحجة والبرهان وليس الإعتماد على الأشخاص .

وتلك الطائفة الرافضة لكل العلوم التربوية الغربية بفروعها المختلفة دون تمييز والتي يصل مدى رفضها إلى رفض عملية " أسلمة " العلوم التربوية الغربية ، هي في الحقيقة ليست دعوة لإسقاط تجربة الغرب في فروع التربية المختلفة فقط ؛ وإنما هي دعوة للحجر على العقل المسلم في التبصر والإنتفاع بما عند الأمم الأخرى في مجال المتغيرات من ميدان التربية والتعليم .

إن عملية " التعميم " في حد ذاتها خاطئة وليست من منهج الإسلام بل يجب التفريق بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب ، وإن كان هؤلاء لا يمكنهم التفريق بين الحق والباطل فإن هناك طائفة يمكنها ذلك من علماء الأمة المعاصرين ، وليس الإنفتاح على أساليب الأمم الأخرى جائز لكل الناس بل يخصص لمن هم مؤهلون لذلك ولديهم القدرة على التفريق بين الحق والباطل في هذا المضمار .

إن الدعوة للإنكفاء على أقوال السلف ورفض العلوم التربوية الغربية دون تمييز هي في الحقيقة دعوة للهروب من مواجهة الواقع ، لعدم القدرة على مواجهته ، لأن تلك العلوم الغربية قد بسطت سلطانها على الشعوب الإسلامية ، وكان فيها ما يبرر وجودها من حيث غياب العلوم الإسلامية المكافئة لها عن الساحة ، ومن حيث احتوائها على أساليب وطرق فيها حق يمر من تحته الباطل ، فإذا ما فرقنا بين الحق والباطل فيها فإن ذلك من أقوى أساليب المواجهة لها ، لإن الإنصاف والعدل من عوامل إقناع الآخرين ، فإن قلنا لمن درسها وتعلمها وتبوأ مركزاً بها : كل ما تعلمته باطل ، مع معرفته أن فيها صواب كان ذلك مدعاة ليصم أذنيه عن كلامنا ، وينظر إلينا بسخرية ويظننا جهالاً نهرف بما لا نعرف ، أما إذا ميزنا لهم الحق من الباطل بالحجة الشرعية أو بالحجة العقلية ثم أخذنا ما ينفعنا مما فيها من صواب ،

كان ذلك أعظم طريق لتجاوز محنتنا المعاصرة ، ولمواجهة تلك العلوم مواجهة قوية .

وفروع العلوم التربوية الغربية المختلفة يمكن تقسيمها إلى ما يقابل الثوابت والمتغيرات عندنا ، فهناك علوم تتحدث عن نظرتهم إلى الإنسان وإلى الحياة وإلى الكون ، وإلى طبيعة النفس الإنسانية ، وإلى الأخلاق والقيم ، ونحو ذلك فهذا يمس الثوابت ، ولايجوز لنا إقتباسه ، ومن تلك العلوم " فلسفة التربية " وبعض فروع علم النفس ، وبعض فروع علم الإجتماع ، كذلك أصول التربية .

وهناك علوم تتحدث عن طريق تنظيم المنهاج الدراسي وعن تخطيط المدارس ، وعن بناء المعامل والمختبرات ، وعن وسائل وطرق التدريس ، وعن خصائص النمو الإنساني ، وعن الإدارة المدرسية ، ونحو ذلك فهذه يمكن (الإنتفاع بما عندهم) أو بتطويره بموجب ضوابط معينة حتى نتقي شرها ونستفيد من نفعها على أتم وجه .

الإتجاه الثاني : اتجاه القبول التام للعلوم التربوية الغربية

وهذا الإتجاه اعتبر أن الطريق الوحيد لنهضة الأمة هو تقبل النظام الغربي برمته والإستسلام والخضوع التام لفلسفته ونظرياته ، وتطوير المجتمع الإسلامي ليتلائم مع الفكر العالمي مع الإنسلاخ من التراث ، وهذا الإتجاه بدأ منذ أن حدثت الصدمة الأولى للعالم الإسلامي في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، عندما جاءت جيوش المستعمر الأوروبي تزحف على الممالك الإسلامية بأسلحة فتاكة لا قبل للمسلمين بها ، وبأساليب جديدة لم يعهدها المسلمون ومع غزو فكري هائل ، فميدان الحرب لم يكن في ساحة القتال

فقط ، إنما في ساحات القتال وفي ساحات العقول والأنفس .

ومن السنن التي استنبطها ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تاريخه : ((أن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه)) [1] ، أي أن المهزوم يقلد المنتصر .

وظهرت بداية ذلك الإتجاه بعد الهزيمة ، ولكن المستعمر غذى هذا الإتجاه باعتباره من أقوى الأساليب في ترسيخ الإستعمار في البلاد الإسلامية . فكما أنه يحارب في ميدان العقول والأنفس فإن من انهزم في هذا الميدان تلقته جنود المستعمر من مبشرين ومستشرقين بالتربية والتوجيه والإرشاد حتى أصبح من جنود الإستعمار من حيث دعوته أبناء أمته لتقبل الحضارة الغربية ، والإنصهار في بوتقة أفكارها ومن ثم مسخ الشخصية الإسلامية ، والهوية الحضارية ، لتصبح ممالك العالم الإسلامي ممالك مقلدة للممالك الأوروبية ، وإن حكمها زعماء من بني جلدتهم ويتكلمون بلغتهم ، لكن قلوبهم قلوب الأعاجم .

وأثناء المصادمة بين معسكر المستعمر والممالك الإسلامية لم تكن الشعوب الإسلامية مهيئة لتلك المعركة فقد كانت الشعوب الإسلامية آنذاك غائبة عن الوعي ، ممزقة ، مهملة دينها ودنياها في أسوء مراحل تاريخها ، وكانت المرحلة الأولى من الإستعمار ((هي المرحلة التي زلزل فيها المسلمون زلزالاً شديداً من مواقعهم الفكرية والثقافية وفقدوا ثقتهم بفكرهم الإسلامي

(١) مقدمة تاريخ ابن خلدون ، تحقيق خليل شحاده ، ص١٨٤ ،ط١ - بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

وثقافتهم الموروثة وخيل لهم أن الفكر والثقافة الإسلامية لا يمكن أن يبنيا حضارة أو يحققا نفعاً أو إنماءً ، ووضع الإسلام كله في قفص الإتهام ، وأصبح الإنسان المسلم منهزماً من الداخل نفسياً ومهيئاً تماماً لاستقبال البديل الغربي في الفكر والثقافة والعلم والمعرفة والفنون والآداب دون تحفظ)) [1] .

فظهرت عند تلك الطائفة التي تنادي المسلمين بالسير في خطى الغرب حذو القذة بالقذة ، وتقبل الحضارة الغربية بخيرها وشرها ، فالخير كل الخير فيما عند الغرب ((لقد تشربت نفوس تلك الطائفة الثقافة الأوروبية وأشربت نفوسهم حبها وتولد في وجدانهم وفي فكرهم أن تجربة الغرب هي ((الأنموذج)) الإنساني المتحضر الذي يقاس عليه ، وأنها هي ((المثل الكامل)) الذي يعرف كمال أي فكرة أو نقصها ، وسلامتها أو فسادها ، وصحتها أو سقمها ، بمدى قربها من ذلك " المثل الكامل ")) [2] ، وتولى كبر هذه الدعوة الباطلة طائفة زُينت في أعين الناس وأُسبغ عليها الألقاب وحازت الأوسمة والجوائز ، ونشرت كتبها ، وقرر تدريسها على التلاميذ ، وتبؤوا أعلى المناصب في بلادهم [3] .

---

(١) طه جابر العلواني .الأزمة الفكرية المعاصرة . ص ١٩ . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط ٤ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي .١٤١٤ هـ = ١٩٩٤م .

(٢) جمال سلطان . جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي الحديث . ص١٠٦. ط١ - بريطانيا ، برمنجهام : مركز الدراسات الإسلامية ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

(٣) انظر لمزيد من التوسع عن تلك الطائفة على سبيل المثال :

١ - محمد البهي . الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر . ط ٣ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

٢ - أنور الجندي . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي . ط ١ . القاهرة : دار الإعتصام . بدون تاريخ .

يقول " سلامة موسى " أحد رواد هذا الإتجاه : ((إن علة الأقطار العربية ورأس بلواها أننا ما زلنا نعتقد أن هناك مدنية غير المدنية الأوروبية ، فلا نتقبل مبادئ البرلمانية والديموقراطية والإشتراكية ، وهذه مبادئ لم تعرفها آسيا أم الإستبداد الأوتوقراطي في الحكومة والدين والآداب والعلم ، مع أنها لب النجاح القومي . ليس هناك حد يجب أن نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الأوروبية ، والحقيقة كما قلت أن في العالم العربي صراعاً بين المبادئ الآسيوية التي ينصرها ويذود عنها رجال الدين ، والمبادئ الأوروبية التي تدين لها وتعمل على نشرها طبقة صغيرة عدداً ، ولكنها كبيرة حرمة وجاهاً باعتبار أن في يدها مقاليد الحكم فهذه الطبقة تستطيع أن تحضر العالم العربي بسن قوانين كأن تعاقب مثلاً المرأة المتحجبة !!)) [1] .

وكان لعامل الإنهيار أثر كبير في تقبل الناس لأفكار تلك الطائفة ((ولقد استجاب كثيرون لحالة الإنهيار هذه وتعالت أصواتهم في المجتمع الإسلامي أن لا سبيل إلى اللحاق بركب الحضارة المعاصرة الإ بالإنسلاخ الكامل من

---

٣ – عبد الحليم عويس . العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري .ط ١ – الكويت : دار الفلاح ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

٤ – يوسف القرضاوي .الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . ط ٥ . – القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

٥ – جمال سلطان . جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي الحديث . ط ١ – بريطانيا ، برمنجهام : مركز الدراسات الإسلامية ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

٦ – محمد محمد حسين . الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر .ط ٧ – بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤م .

(١) فادي اسماعيل . الخطاب العربي المعاصر . ص ٦٢ – ٦٣ – مرجع سابق .

الغربية ومحاكاة الإنسان الأوروبي في كل شئ حتى في لباسه وعاداته)) [1] .

والمتقبلون للفكر الغربي التربوي طائفتان :

طائفة : تقبلوا ذلك الفكر مع تقبلهم التام للفكر الغربي في فروع الحياة كلها، ومع نبذهم للتراث وانسلاخهم من الدين ونظرتهم إلى أن الدين حجر عثرة في طريق تقدم الأمة وهؤلاء خارجون عن ملة الإسلام ومثال هؤلاء الذين تبنوا المذهب الماركسي الشيوعي وحاربوا الدين والتراث باعتباره رجعية وأن التقدمي الذي يعتنق المذهب الشيوعي ، وبعضهم اعتنق مذاهب أخرى مثل الوجودية وغيرها من المذاهب الفكرية مع الردة عن الدين .

وطائفة أخرى : تقبلت الفكر التربوي الغربي مع بقائها على دينها ، فهم يصلون ويصومون ويقيمون شعائر الدين ولكنهم درسوا الفكر التربوي الغربي وحفظوا نظرياته وآرائه ، باعتبار أنه علم كباقي العلوم ، ودرسوا تلك النظريات والأفكار ونشروها بين المسلمين ، وكثيرٌ من تلك الطائفة لايفقه معاني أقوال الغرب ولايفقه مخالفتها للدين الإسلامي وفي نفس الوقت تراه يقيم شعائر دينه فغالب هؤلآء ليسوا على أساس متين من الثقافة الإسلامية .

أما الطائفة التي انسلخت من دينها وتقبلت العلوم التربوية الغربية مع رفضها للدين باعتباره حجر عثرة في طريق التقدم والتنمية فهي طائفة مرتدة أصلاً عن الدين ، وهؤلاء يحتاجون أولاً : إلى إعادتهم إلى حظيرة الدين ومن ثم إذا عادوا فإنه حينئذ يسهل توجيههم وتصحيح أفهامهم وعقولهم .

---

(١) عمر عبيد حسنة . مقدمته لكتاب التراث والمعاصرة تأليف أكرم ضياء العمري . ص ٩ - ط ١ - قطر : كتاب الأمة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

وأما الطائفة الثانية التي تقيم شعائر الدين ولاتسخر منه ولاترى أنه حجر عثرة في طريق الأمة ، ولكنهم يجهلون حقيقة الدين وليسوا على ثقافة راسخة بدينهم وقد تلبسوا بتلك العلوم ونشؤا عليها و لم يتعلموا غيرها وظنوا أنه لا يوجد غيرها ، وأنه لا ضير من الأخذ بها ، فهي علوم محايدة في نظرهم قد كانت السبب في تقدم الغرب فعلى المسلمين الإقتداء بهم والتمسك بمنهجهم في التربية والتعليم فهو الأداة إلى الحضارة والتقدم والتطور ، فهؤلاء أيسر كثيراً في ردهم إلى الصواب ، وسنعرض لعلاج تلك الطائفة عند الحديث عن طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية في الفصل الرابع إن شاء الله

ويلخص " عيسى فهيم " المسلمات التي ارتكز عليها هؤلاء :

١- الإفتراض بوجود علاقة خطية وسببية بين التعليم الغربي والتنمية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية ، والإعتقاد بأن التعليم ((الغربي)) نافع ومفيد بالضرورة لكل الناس والأمم على اختلاف مشاربهم وتاريخهم وخصوصياتهم .

٢ - الإفتراض بأن مكونات المعرفة وطرق البحث في الغرب غير " ايدولوجية " ، وغير سياسية ، ومبنية على تعميمات " امبيريقية " علمية وأن نتائج هذه المعرفة عالمية قابلة للنقل المباشر لكل بيئات العالم .

٣ - الإفتراض بأن التحديث والرقي يأخذ اتجاهاً وخطاً واحداً وهو الذي سارت عليه دول الغرب وأمريكا وأن كل الدول النامية لابد وأن تسير آجلاً أو عاجلاً في ذات الخط والإتجاه .

٤- الإفتراض بأن دول العالم كلها تتمتع باستقلال ذاتي تام وبأنها حرة في

اختيار وتحديد مسيرتها نحو التطور [1] .

وتلك الطائفة هم أكثر الطوائف عدداً من العاملين في ميدان التربية والتعليم يقول مالك بدري : ((والرافضون لأسلمة " العلوم التربوية " بشكل عام هم في حقيقتهم طائفتان :

أولهما : الرافضون للأسلمة من المؤمنين الملتزمين بالإسلام وهم الكثرة الغالبة

والطائفة الثانية : هم القلة النادرة الرافضة للتأصيل الإسلامي لعلم النفس بسبب رفضهم للإسلام نفسه)) [2] .

وسبب كثرة هؤلاء أن سلطان الفكر التربوي الغربي فرض نفسه على ساحة التربية في دول العالم الإسلامي عقوداً طويلة أثناء فترة الإستعمار ، وبعد رحيله ، فتعلم أبناء العالم الإ سلامي تلك العلوم ونشأوا عليها ، وكانت علوم التربية الإسلامية غائبة عن الساحة بسبب أن المستعمر أقصاها من ناحية ، وبسبب جمودها وركودها من ناحية أخرى ، فشب ذلك الجيل وهو مقطوع الصلة بثقافته الإسلامية فلم يعد يعرف من الإسلام إلا أحكام العبادات والشعائر الظاهرة ، وتربى في المدارس الحديثة التي تبنت نظام التربية الغربية ، ومن تخصص منهم في العلوم التربوية فإنه لا يقرأ ولا يدرس إلا علوم الغرب ، فتشربوا بها وانغمسوا في تيارها وترسبت معايير الغرب في عقولهم ونفوسهم ، وحفظوا أقوال مفكريه من جان جاك روسو [3] ، ويستالوتزي [4]

---

(١) عيسى فهيم . إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب . ص ١٤ مرجع سابق .

(٢) مالك بدري .علم النفس الحديث من منظور إسلامي . ص ٩-١٠ - مرجع سابق .

(٣)جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨ م) = (١١٢٤هـ - ١١٩٢هـ)

" فيلسوف فرنسي ، له آراء في التربية أودعها كتابه ((اميل)) من أبرزها : الإيمان ببراءة الطفل وخيرية طبيعته الأصلية ونادى بالتربية الطبيعية وهي نوع من أنواع التربية السلبية تراعى ميول الطفل وغرائزه ورغباته =

وفردريك هربارت[1] ، وفروبل[2] ، وجون ديوي[3] ، ونحوهم وفي كل فرع من فروع التربية حفظوا أقوال علماء الغرب فيه ، ولم يقرع سمعهم آراء

دون التدخل من المربي أي أن الطبيعة هي التي تربي الطفل . وكان لآرائه أثر كبير في مجرى الفكر التربوي الغربي ومازالت آثارها باقية " .

(عمر الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربوية . ص ١٦٦ .ط ٢ - ليبيا : الدار العربية ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م) .

(٤)جون هنري يستالوزي (١٧٤٦- ١٨٢٧ م) = (١١٥٩- ١٢٤٣هـ)

" ولد في زيورخ بسويسرا وتأثر بأفكار جان جاك روسو ، و جون لوك و أسس مدرسة للأيتام في عام ١٧٩٩ م = ١٢١٤هـ ، ومعهد لتدريب المعلمين في عام ١٨٠٠ م = ١٢١٥هـ ، من أبرز أفكاره عن التربية . (البحث عن مبادئ التربية وأسسها داخل الطفل ، وللتربية ناحيتان : ناحية ايجابية ، وسلبية ، الوظفية السلبية تتلخص في إزالة العقبات التي تتعرض نمو الطفل ، والإيجابية تظهر في إثارة المتعلم لتدريب قواه) " .

(سعد مرسي أحمد .تطور الفكر التربوي .ط٥ - القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٣ م = ١٤٠٤هـ .ص ٤٢٤ وما بعدها) .

(١) جون فرديريك هربارت (١٧٧٦ - ١٨٤١ م) = (١١٩٠- ١٢٥٧هـ)

" فيلسوف تربوي ألماني شهير تأثر بأفكار يستالوزي وأسس الحركة النفسية التربوية التي تنسب إليه وهي (الحركة الهربارتية) وكثير من أفكاره لايزال تأثيرها باقياً إلى يومنا هذا في علم النفس التربوي وطرق التدريس ومنها أن " التربية " هي " عملية بناء الأخلاق وتكوين الشخصية المتكاملة النمو " ، وعلمية " التعلم " لا تعدو أن تكون عملية ربط بين الأفكار القديمة والأفكار الجديدة في عقل التلميذ ولا بد من وجود ميل واهتمام من التلميذ ، وتحدث عن مبدأ الترابط ، ومبدأ الميل والإهتمام " . انظر (عمر الشيباني - تطور النظريات والأفكار التربوية ص ٢٢٩ وما بعدها) .

(٢) فردريك فروبل (١٧٨٢ - ١٨٥٢ م) = (١١٩٧- ١٢٦٩هـ)

" فيلسوف ألماني ، تأثر بأفكار يستالوتزي ، أسس مدرسة رياض أطفال عام ١٨٣٧ م ، من أبرز آرائه التربوية أنه يرى أن التربية عملية نمو وتطور ورقي نحو السمو والكمال الروحي أو الوحدة المقدسة - وهو من المؤمنين بوحدة الوجود ، وبالتطور العضوي ، وتعميم ذلك على النواحي العقلية والإنفعالية ، واهتم بألعاب الأطفال كوسيلة تعليمية " . (عمر الشيباني - تطور النظريات والأفكار الغربية ص ٢٥٧ وما بعدها)

(٣) جون ديوي (١٨٥٩ - ١٩٥٢ م) = (١٢٦٧- ١٣٧٢هـ)

" فيلسوف تربوي أمريكي شهير أنشأ مدرسة ابتدائية نموذجية عام ١٨٩٦ م في شيكاغو جعلها حقلاً لتجربة نظرياته وآرائه التربوية ، له كتب كثيرة من أبرزها : المدرسة والمجتمع ، الطفل والمنهج ، الديموقراطية

=

المفكرين المسلمين في العصور الماضية . وكثير من آراء المفكرين التربويين المسلمين كانت مخطوطات محفوظة في الخزائن ، كما أن فروع العلوم التربوية الغربية الكثيرة المستحدثة لم يكن لعلماء المسلمين أقوال فيها ، وإن كانت تحكم نظرياتها ومقاصدها القرآن والسنة ، إلا أنه لم يكن في الساحة طرح لآراء الإسلام في تلك العلوم إلا القليل النادر قياساً على ما يطرح من كتب الغرب المترجمة في مكتبات العالم الإسلامي .

وكان " للصحوة الإسلامية " أثر كبير في لفت الأنظار إلى تلك العلوم وبيان خطورتها على الأمة ، والكشف عن فساد نظرياتها وتهافت آرائها [1] ومن ثم برزت ظاهرة " النقد " لتلك العلوم والتي أخذت تتبلور حتى أصبحت تياراً ملموساً ومؤثراً في مواجهة تلك العلوم الوافدة .

والتربية ، الخبرة والتربية ، تأثر بأفكار دارون ، وتشارلز بيرسي ، وليام جيمس ، وكذلك بأفكار روسو ، ويستالوتزي ، وهربارت ، وفرويل) وهو من أبرز ممثلي المدرسة البراجماتية في التربية ، له آراء حول الخبرة طريقة للتعليم وأن على المدرسة أن تهيأ التفاعل بين الطالب والطبيعة ، ويعتبر أن المقياس الصحيح للمعرفة هو قيمتها النفعية . وله طريقة مشهورة في التعلم عن طريق إثارة المشكلة وفرض الفروض واختبارها " .

(انظر سعيد اسماعيل علي وآخرون ، دراسات في فلسفة التربية – عالم الكتب – القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨١م = ١٤٠٢هـ ، ص٢٦٤ وما بعدها . وأيضاً : عمر الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربوية ، ص٣٣٣ وما بعدها) .

(١) من هؤلاء الذين ساهموا في لفت الأنظار إلى خطورة العلوم التربوية الغربية على سبيل المثال :

(أ) محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة – دار الشروق ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

(ب) عبد الرحمن الميداني . كواشف زيوف – دار القلم ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

عبد الرحمن الميداني . أجنحة المكر الثلاثة – دار القلم ، دمشق ، ط ٥ ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

(ج) أنور الجندي . أسلمة المناهج والعلوم – دار الإعتصام ، القاهرة ، دون تاريخ .

(د) سفر الحوالي . العلمانية – دون تاريخ .

ولكن " النقد " وحده لايكفي بل لابد من الشروع في استحداث البديل لتلك العلوم وهو أفضل الطرق لمواجهتها . ولأن كثيراً من الذين سمعوا بالنقد الموجه إلى العلوم التربوية الغربية وقفوا تائهين بين الإستمرار في تبني تلك العلوم مع اقتناعهم بفسادها وضحالة أفكارها ومخالفتها لهوية الأمة الإسلامية وبين عدم قدرتهم على بناء علم يمثل الفكر الإسلامي في تخصصهم ، لأنهم لم يكونوا على أساس متين من الثقافة الشرعية ، فبقوا ناكسي رؤوسهم ، محتارين مضطربين من كثرة النقد وانعدام البديل ، بل إن شعور بعضهم أن تخصصاتهم تثير الريبة والشكوك حولهم من كثرة ما سمعت العامة من نقد تلك العلوم ، وبعضهم دفعه الحماس وتسرع وألف كتاباً في مجال تخصصه يعبر في ظنه عن نظرة الإسلام في هذا المجال ، وهو لايعدو أن يكون في مجمله أفكاراً غربية قد بحث لها عن شواهد في القرآن والسنة وقال : هذه نظرية الإسلام ، وقد لا تكون وجهة الدلالة في الآية أو الحديث ما قصده من استشهاده [1] ، وقد يستشهد بعضهم بأحاديث ضعيفة وهناك أحاديث أخرى صحيحة تعارض هذا الرأي ، وبعضهم قد يستشهد بآراء ابن مسكويه وابن سينا ، وأخوان الصفا ، والفارابي ونحوهم ظناً منه أن هؤلاء يمثلون الفكر التربوي الإسلامي [2] ، وبعضهم استطاع أن ينمي ثقافته الشرعية وأن يبحث في مصادر الشريعة وأن يبدع في مجال تخصصه ، ويصنف كتاباً يعرض

(١) مثال هؤلاء الدكتور عزت الطويل في كتابه : دراسات نفسية وتأملات قرآنية ، نشر دار الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ م = ١٣٩٨هـ . والذي حاول أن يوفق بين نظرية سيجمند فرويد ، ومفهوم النفس في القرآن الكريم ، انظر نقد مالك بدري لهذا الكتاب ، في : علم النفس الحديث من منظور اسلامي ، ص٣٢ وما بعدها .

(٢) من هؤلاء : عرفات عبد العزيز سليمان . في كتابه : نظم التعليم في العالم الإسلامي ، ص ١٨٠ وما بعدها ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

وجهة النظر الإسلامية مع أنه في الأصل لم يكن متخصصاً في الدراسات الشرعية وهؤلاء خرجوا من تلك الطائفة إلى طائفة الوسط والتي سنعرض لهم بعد تلك الطائفة ، يقول القرضاوي : ((ولايزال تيار الأصالة يكسب يوماً بعد يوم من أنصار ((التغريب)) الخلصاء أو المهجنين ، من مختلف المدارس المادية أو العلمانية ، الماركسية أو الليبرالية ، ويضيف إلى رصيده جديداً ، مسلحاً بأسلحة الغرب ذاته قادراً على الدفاع والهجوم بفكر العصر ، ومناهج العصر)) [1] .

الإتجاه الثالث : اتجاه الوسط

ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن العلوم التربوية الغربية نمت في مجتمع نصراني ويهودي وتشكلت بفعل حركات ومذاهب قبل عصر النهضة وبعده وأبرز تلك الحركات : " العلمانية " والمتمثلة في إقصاء الكنيسة عن العلوم وعن الحياة كافة وتأليه العقل ، والمادة ، وكذلك ساهمت في تشكيل تلك العلوم التربوية ما اعترى المجتمع الغربي من تطورات سياسية وصناعية وعلمية واجتماعية ، وانعكست تلك العوامل على تلك العلوم ، فصاغت لها هوية مميزة من سماتها : النظرة المادية للحياة ، والنظرة الحيوانية للإنسان ، والنظرة الإلحادية للدين [2] .

---

(١) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ص٤٧ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م .

(٢) انظر عن العلمانية ، وأثرها في الفكر الغربي على سبيل المثال :

(أ) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . كواشف وزيوف ، دار القلم ، دمشق – ط ٥ ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

(ب) محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القاهرة – ط ٧ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

وتلك الحركات في جذورها وأصولها ومقاصدها تخالف أصول ومقاصد التربية الإسلامية ، وأن الأخذ بهذه العلوم جملة مسخ للهوية الإسلامية ، وتحطيم للعقيدة الإسلامية . ومع ما في تلك العلوم من باطل واضح للعيان إلا أن فيها حقاً وصواباً ، وهذا الحق والصواب فيه نفع للمسلمين من حيث أن قوة الحضارة الغربية وتقدمها الهائل في العلوم الطبيعية وفي الصناعات المتنوعة وفي الإقتصاد والزراعة ، ومجال النظم والإدارة ونحو ذلك أثر من آثار جوانب الصواب في علومهم التربوية ، يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله : ((إن العلوم والفنون الغربية نافعة كلها بذاتها ولا تعادي الإسلام أياً منها . بل أقول قولاً إيجابياً : إن الحقائق العلمية من تلك العلوم والفنون يصادقها الإسلام وهي تصادقه ، والعداء في الحقيقة ليس بين العلم والإسلام بل بين الطريقة الغربية والإسلام)) [1] ، ويضيف أيضاً : ((إنه ليس من أسباب الضلالة من وجهة نظر الإسلام أنكم تأخذون الحقائق من العلوم والفنون الغربية ، بل هو أنكم تأخذون القالب الوجداني أيضاً مع ذلك من الغرب نفسه)) [2] .

فهم يبحثون عن أسرار قوة الغرب في مناهجهم التربوية من أجل الإنتفاع بها ، وتتميز نظرتهم بالعناصر التالية :

١- يرون أن طريق عودة الأمة إلى مكان الصدارة والريادة في الأرض ، واستعادة قوتها واسترداد أراضيها ومقدساتها وسعادتها في الدنيا والآخرة هو

(ج) عماد الدين خليل . تهافت العلمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ١ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

(١) أبو الأعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله . يقول يوسف القرضاوي : ((ولكن الإجماع منعقد على أن المسلمين بعيدون عن الإسلام الحق بعداً شديداً كما أن شهادة التاريخ أن المسلمين يوم كانوا مسلمين حقاً ، سادوا الدنيا ، وفتحوا الممالك ، ودوخوا الجبابرة ، وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وتفتحت عليهم بركات السماء والأرض ، والمتتبع للمد والجزر في تاريخ الإسلام يجد المد والإنتصار والقوة منوطة بالرجوع إلى هدي الإسلام ، وهذا ينتهي بنا إلى أن العلاج الفذ لما عليه المسلمون من ضعف وتمزق وانحطاط هو العودة إلى الإسلام الصحيح)) [1] .

٢- واعتبار أن إعادة التربية الإسلامية إلى حياة الأمة واجب من أعظم القربات إلى الله ، وأن في بذل الجهد إلى إبراز أصول التربية الإسلامية وتبيين شرع الله في التربية والتعليم من الأعمال الواجبة على الأمة وأن في ذلك من الأجر والثواب العظيم ،كما تضافرت بذلك الأدلة .

٣- وكذلك يعتبرون أن التصدي للأفكار الإلحادية والمذاهب المنحرفة وتنقية مناهج التعليم منها ، وتحصين النشء عنها من أعظم الأعمال والقربات إلى الله .

٤- ويبحثون في " جذور الإنحراف " في مناهج التعليم عبر التاريخ ، ويرى كثير منهم أن العلوم التربوية لم تأخذ نصيبها الكافي من البحث والتنظير ، والتطوير منذ القرن الخامس الهجري ويحللون الآفات والعلل التي قللت من كفاءة التربية والتعليم على مر العصور منذ بداية الإنحراف باعتبار أن القرن

(١) يوسف القرضاوي . من أجل صحوة راشدة . ص ١٢٠- ١٢١ .

الخامس هو بداية عصر الركود ، والجمود [1] ، يقول عمر عبيد حسنة : ((ولا بد من الاعتراف أن كثيراً من شُعَب المعرفة قد توقفت في حياة المسلمين منذ زمن بعيد ، ونخص بالذكر شعب المعرفة في العلوم الاجتماعية والإنسانية الأمر الذي لم نلق له بالاً بعد)) [2].

٥- ينظرون إلى تراث الأسلاف نظرة " نقد " وفحص فيفرقون بين آراء السلف وبين نصوص الوحي ، ويفرقون بين الآراء المعتمدة على نصوص شرعية وبين الآراء المعتمدة على حجج عقلية ، ويفرقون بين أئمة السلف وبين الفلاسفة ، والمتصوفة والمعتزلة وغيرهم ، يقول القرضاوي : ((نقرأ لابن سينا ونقتبس منه فيلسوفاً وعالماً وطبيباً ولكننا ننقد ما حاد عن منهج القرآن والسنة في " إشاراته وتنبيهاته " أو في " شفائه " أو في رسائله ، بل نقرأ حجة الإسلام الغزالي وننهل من تراثه الرحب ونحذر من بعض ماتضمنت كتبه من غلو الصوفية ، أو معارف أثبت علم العصر بطلانها أو ما أستند إليه من الأحاديث الواهية والموضوعة والتي لا سند لها .

نقرأ " التفسير " ونحذر من الإسرائيليات ، ونقرأ " الحديث " ونحذر من الموضوعات والواهيات ، ونقرأ " التصوف " ونحذر من الشطحات والتطرفات ، ونقرأ " علم الكلام " ونحذر من من الجدليات والسفسطات ، ونقرأ علم الفقه ونحذر من الشكليات والتعصبات)) [3] ، فلا يجعلون التراث

---

(١) أنظر ماجد عرسان الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . مرجع سابق . ص ١٣٣. ومابعدها .

(٢) عمر عبيد حسنة . الشاكلة الثقافية . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م . ص ٨٦ .

(٣) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة . ص ٦٨ .باختصار . مرجع سابق .

بمرتبة واحدة فقد استبان عندهم علماء كل مذهب ، وكل طائفة ، ولايأخذون رأياً إلا وقد علموا " أصول " مذهب صاحبه وتحروا ألا يكون رأيه مبنياً على عقيدته أو متأثراً بها أو وسيلة لترويج مذهبه إن كان مذهبه فاسداً ، فهم ينقدون ويفحصون آراء العلماء السابقين في كل مجال ، على معيار الكتاب والسنة مع محبتهم لعلماء الأمة ، ومعرفتهم بفضلهم وعلمهم ومكانتهم ، فلا ينقصون من مرتبتهم ، ولايعلون منها أيضاً ، فهم يرونهم أن هؤلآء العلماء مع فضلهم وإيمانهم وجهادهم وعلمهم ، وزهدهم وفضائلهم التي شهد لهم بها أقرانهم المعاصرين لهم ، إلا أنهم بشر غير معصومين ، يجوز عليهم الخطأ والنسيان ، فهم ينظرون إليهم نظرة عدلٍ وانصاف .

ولا يرون إسقاط تراث السلف وتجربتهم وآرائهم وأساليبهم في التربية والتعليم ، ولايرون أيضاً الإقتصار عليها والعكوف عليها ، بل يرون أن لهم " الإجتهاد " فيما أبيح لهم الإجتهاد فيه كما اجتهد أسلافهم ، ويستحضرون آراء السلف ويراجعونها ، وينظرون إلى الواقع وما حدث فيه من تغير وتبدل ودليلهم في ذلك الكتاب والسنة ، يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى ((يجب أن لا تُؤخذ العلوم الإسلامية من الكتب القديمة كما هي بدون تعديل بل يجب أن تفرز منها ماهو دخيل فيها من آثار المتأخرين ، ونأخذ مايبقى بعد ذلك من مبادئ الإسلام الأبدية ومعتقداته الحقيقية وقوانينه الثابتة غير المتبدلة))[1] .

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى : ((مَنْ مِنَ المسلمين يستطيع أن يجحد بفضل الأئمة الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين رحمهم الله ومن ينكر

(١) أبو الأعلى المودودي . الإسلام والحضارة الغربية . ص ٢٠١ .

رجاحة علمهم وعلو منزلتهم ؟ ، ولكنهم على كل حال كانوا بشراً ، وكانوا يملكون من وسائل اكتساب العلم ما هو حاصل لعامة بني آدم ، ولم يكن يأتيهم الوحي ، وإنما كانوا يستعملون عقلهم وبصيرتهم ليسبروا غور كلام الله وسنة رسوله ﷺ ، فكل ما تحقق عندهم من الميادين كانوا يستنبطون منه الفروع للقوانين والمعتقدات . فاجتهادهم هذا يجوز أن يكون عوناً لنا ونوراً هدىً يسعى بين أيدينا ، ولكن لم يكن ليتخذ بذاته أصلاً ومصدراً)) [1] .

٦- ويؤكدون على أن للأمة الإسلامية هوية مميزة لها بين الأمم ، ومنهاجاً تربوياً مميزاً لها بين المناهج التربوية الأخرى ولايجوز مسخ هوية منهاجها التربوي بل إن المحافظة عليه من فروض هذا الدين ، ويرون أنه لايجوز التشبه بالكفار في هديهم الظاهر والباطن .

كما أنه يباح للمسلمين الإنتفاع بما يخلفه الكفار من آلات وعلوم ، ونحوها .

٧- ويرون أن منهاج التربية الإسلامية أكمل وأتم وأفضل من أي منهاج تربوي آخر ، ولايجوز العدول عنه ، وأن ما أصاب منهاج المسلمين في التعليم من ضعف وفتور في عصور الركود ليس هو بسبب المنهاج ، وإنما بسبب الإنحرافات التي علقت به ، فالعودة إلى الكتاب والسنة لتقويم مناهجنا المعاصرة هو الطريق إلى القوة والعزة .

٨- ومع اعتقادهم أن البراء والولاء من عقيدة الإسلام ، فالبراء من الكفار وبغضهم وعدم موالاتهم ونصرتهم أو الركون إليهم ، من أصول العقيدة ،

---

(١) المرجع السابق . ص ٢٠٩ .

ولايمنع ذلك من الإنتفاع بما عندهم من علوم ، أو نظم ، أوآلات تفوقوا فيها

وطائفة الرفض التام للعلوم التربوية الغربية تتفق مع تلك الطائفة في غالب العناصر التي سبق الإشارة إليها ماعدا رأيين يفرق بينهما وهما :

النظرة إلى تراث الأسلاف ، والنظرة إلى العلوم التربوية الغربية .

حيث أن طائفة الرفض التام تميل إلى العكوف على تراث الأسلاف من حيث أن فيه الكفاية التامة لما حدث من تغير وتطور في أحوال عصرنا .

وطائفة الوسط لاتميل إلى هذا الإتجاه بل تعتقد أن في التراث جوانب نافعة وجوانب يمكن استبدالها والإجتهاد والإبداع فيها .

كما أن طائفة الرفض التام للعلوم التربوية الغربية تستند في رفضها إلى أن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع ، وكما هو معلوم فإن الفساد هو الطابع الغالب على الفكر التربوي الغربي ، بينما طائفة الوسط ترى التفريق بين الحق والباطل في تلك العلوم ، وترى أن الحق والصواب الذي عندهم يمكن الإستفادة منه ، بل إن بعض جوانبه مهمة وضرورية للمسلمين في عصرنا الراهن .

والفرق الجوهري بين الفئتين أن طائفة الرفض لم تكن تستطيع الجمع بين كراهية الكفار والتبرء منهم ، وبين الإقتباس من أفكارهم الصائبة ، لأن عاطفة البغض والكراهة سيطرت علي عقولهم .

بينما طائفة الوسط اتسعت صدورهم لكراهية الكفار والتبرء منهم ، مع النظر إلى أفكارهم واقتباس الصائب منها .

كذلك لم تكن الفئة التي تميل إلى تعظيم آراء الأسلاف تستطيع الجمع بين محبة الأسلاف وبين مخالفتهم .

بينما طائفة الوسط جمعت بين محبة الأسلاف وبين مخالفتهم فيما يجوز فيه الخلاف .

وإن لم يكن القصد من هذا التصنيف أن يكون تصنيف عقائد الأمة ، وإنما هو تصنيف من ناحية موقفهم من العلوم التربوية الغربية ، إذ أن طائفة الوسط قد يكون فيها طوائف لم تكن على مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم وكذلك طائفة الرفض التام منهم من يكون على عقيدة السلف الصالح ومنهم من لا يكون ، فهذا التصنيف لا يمس ميدان العقيدة ، وإنما ميدان الموقف من العلوم التربوية .

والباحث لم يعثر على قول لأحد من العلماء المسلمين يرى رفض منتجات الحضارة الغربية من الوسائل المادية كالسيارات أو الطائرات أو الأجهزة الكهربائية أو الأدوية أو المقاعد الدراسية أو الوسائل المادية التعليمية كالسبورات والخرائط أو العينات .

المبحث الثاني : مشروعية الإقتباس من الأمم الأخرى

قامت الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ واستغلت ما خلفه المجتمع الجاهلي من أدوات ووسائل مدنية مثل أساليب الزراعة والبناء والحرب والقتال والملابس والأدوات المنزلية والحرفية المتنوعة ، وتلك المدنية ثمرة لتجارب الإنسان في الأرض ، تتناقلها الشعوب وليست من إنتاج أمة واحدة ، بل كل أمة ساهمت بنصيبها فيها ، وتتفاعل الشعوب بعضها مع بعض في الإستفادة من تلك الخبرات ، وتلك الصناعات .

وكان أول مراحل التفاعل مع المجتمع الجاهلي ، إذ أن من يدخل في الإسلام يَنْصبُّ التغيير التام على عقيدته وشريعته وفكره وأخلاقه وقيمه ، ويعلن انسلاخه التام عن عقائده السابقة ، ويتقبل عقائد الدين الجديد ليصبح في زمرة المؤمنين ، ويبقى جانب آخر لا يمسه التغيير ، وهو خبرات الإنسان في جانب الحياة الدنيوية من تجارب في شؤون الحياة ، فإن كان صانعاً أو تاجراً أو مزارعاً ، فيبقى على مهنته إن شاء ، ويتعلم الآداب المرتبطة بمهنته ، فإن كان تاجراً تعلم آداب التجارة وأحكام البيع والشراء ونحو ذلك ، وإن كان مزارعاً ، تعلم ما يمس نشاطه من أحكام مثل الزكاة ونحوها . وبعد أن احتك المسلمون مع الحضارات الأخرى من أهل البلاد المفتوحة ((أدى ذلك إلى اختلاط العناصر المختلفة ، وتلاقي الأفكار وتبادل الثقافات ، وقد دفع الإسلام أبناءه دفعاً قوياً إلى نشر الثقافة الإسلامية والتعرف على الثقافات الأخرى ، ودراستها ومقارنتها بما عندهم ، والاستفادة بكل ما فيها من خير ، والتقدم الحضاري ميراث للإنسانية كلها

لا يمكن احتكاره لشعب دون شعب)) [1] . يقول جوستاف لوبون ((ومن العوامل الفعالة في أصول المدنية التي وضع العرب أساسها ، شدة ما كانوا عليه من الذكاء فإنهم ما كادوا يخرجون من صحارى بلادهم حتى اتصلوا بالمدنية اليونانية واللاتينية ، فاستغربوا شأنها ، ثم ما لبثوا أن راضوها على أسلوبهم وطريقتهم . وتحمس العرب لدراسة العلم الجديد الذي خرجوا إليه بنفس الحماسة التي اندفعوا بها فاتحين ، ولم تعقهم أثقال عادات وأوضاع قديمة ، فإن الحرية في البحث كانت أحد العوامل التي أسرعت بانطلاقهم في طريق الرقي ، ولم يمض زمن قصير حتى طبعوا الهندسة والفنون والعلوم بطابعهم الشخصي الذي تعرف به آثارهم لأول وهلة)) [2] .

((ولا عجب أن يقتبس المسلمون من أساليب الفرس أو الروم أو غيرهم مما يمتنعون به من عدوهم ، وما يمكنهم من النصر عليه ، وكل ما يعود عليهم بالخير في حياتهم فالوسائل لا حكم لها في ذاتها وإنما لها حكم مقاصدها)) [3]

ففي غزوة الأحزاب أشار سلمان الفارسي على رسول الله ﷺ بحفر الخندق حول المدينة ، فقبل النبي ﷺ مشورته وبادر بتنفيذها ، ولهذا لما أقبل فرسان المشركين تسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها [4] .

---

(١) محمود الشرقاوي . الإسلام وأثره على الثقافة العالمية . ص ٣٨ الكتاب الشهري. عدد ١٦٠ ، ربيع الآخر ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي .

(٢) المرجع السابق . ص ٣٩ . نقلاً عن جوستاف لويون . حضارة العرب ، ص ٣٥٨ .

(٣) يوسف القرضاوي . الرسول والعلم . مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٤) ابن كثير . البداية والنهاية . ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠٧ .

والرسول ﷺ يحث على اقتباس كل علم ينفع الإسلام وأهله ، ولو كان من عند غير المسلمين ، كما استفاد من أسرى المشركين في بدر في تعليم أولاد المسلمين الكتابة [1] ، وكما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه قال رسول الله ﷺ : ((**الكلِمةُ الحِكمةُ ضالَّةُ المؤمِنِ فحيث وجدها فهُو أحقُّ بِها**)) [2] ، وقال علي ﷺ : ((العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين)) [3] ، ((وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على نتائج العلوم المادية المحضة التي لا تصطبغ بعقائد أصحابها ولا بأفكارهم لأنها قوانين كونية عامة يدين بها المؤمن والكافر ، ويخضع لسنتها البر والفاجر)) [4] ، ويقول ابن رشد : ((إنْ ألفينا لِمَن تقدمَنَا من الأمم السالفة نظراً في الموجودات ، واعتباراً لها ، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك ، وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه وعذرناهم)) [5] .

وسيرة الرسول ﷺ تضع المعلم البارز في حدود التفاعل الحضاري مع الحضارات الأخرى ، وما يمكن اقتباسه والاستفادة منه وما لا يمكن اقتباسه ، فقد روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد . تحقيق أحمد شاكر . ج ٣ ، ص ٢٢١٨ ، حديث رقم ٢٢١٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم.حديث رقم ٢٨٢٨. ج٤، ص١٥٥ ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وابن ماجه في كتاب الزهد باب (١٥) ح ٤١٦٩ ، واللفظ للترمذي .

(٣) ابن عبد البر . جامع بيان العلم ، ج١ ، ص ١٢١ .

(٤) يوسف القرضاوي . الرسول والعلم ، مرجع سابق ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٥) أحمد السايح . في الغزو الفكري . مرجع سابق ، ص ١٢١ ، نقلاً عن ابن رشد – فلسفة ابن رشد . فصل المقال . ص ١٧ .

النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فرآه النبي ﷺ فغضب فقال : ((**أمتهوكون فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**)) [1] ، ((وإنما غضب النبي ﷺ وتغير وجهه واشتد إنكاره لأن الأمر هنا أمر " دين " لا يؤخذ إلا من الصادق المصدوق ، أما علوم الحياة وفنونها وما يهتدي إليه الناس بعقولهم وتجاربهم فهو ملك عامة البشر ، نأخذه من أي وعاء خرج ونلتمسه من الشرق أو الغرب ، ونقتبسه من المسلم والمشرك كما رأيناه ﷺ يستفيد من أسرى المشركين في محو الأمية [2] ، ويأخذ بفكرة حفر الخندق حول المدينة [3] وهي من أساليب الفرس ويستخدم المنجنيق في حصار الطائف [4] ، ويخطب على المنبر وهو صنعة نجار رومي [5])) [6]

---

(١) رواه أحمد ، ج١ ، ص ٣٨٧ .

(٢) الاستفادة من أسرى المشركين في محو الأمية :

أخرج أحمد عن ابن عباس قال : كان ناس من الاسرى يوم بدر لم يكن لهم فِداء . فجعل رسول الله ﷺ فداءهم ان يعلموا أولاد الأنصار الكتابة . وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح . المسند . شرح أحمد شاكر . ج ٣ ، ص ٢٢١٨ . حديث رقم ٢٢١٦ .

(٣) فكرة حفر الخندق أخذها الرسول ﷺ من سلمان الفارسي . أنظر ابن كثير . البداية والنهاية .ج٤ ، ص ٩٤ وما بعدها .

(٤) استخدام المنجنيق في حصار الطائف :

انظر ابن كثير . البداية والنهاية . ج ٤ ، ص ٣٣٩ ، وذكر ابن كثير رواية الواقدي أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل قدم به وبدبابتين)) .

(٥) أخرج ابن خزيمه في صحيحيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب فجاء رومي فقال : ألا نصنع لك شيئاً تقعد وكأنك قائم ؟ فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبي الله ﷺ على المنبر خار الجذع ...)) ج٣ ، ص ١٤٠ ، حديث رقم =

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في مشروعية الإقتباس من الكفار كلام نفيس ننقل بعضه ، قال : ((فإن ذكر " من المشركين والصابئين ونحوهم " ما لا يتعلق بالدين ، مثل مسائل " الطب " وَ " الحساب " المحض [1] التي يذكرون فيها ذلك ، وكتب من أخذ عنهم مثل محمد بن زكريا الرازي ، وابن سينا ونحوهم من الزنادقة الأطباء ما غايته : إنتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز كما يجوز السكنى في ديارهم ، ولبس ثيابهم ، وسلاحهم وكما تجوز معاملتهم على الأرض ، كما عامل النبي ﷺ يهود خيبر [2] ، وكما استأجر النبي ﷺ هو وأبو بكر رضي الله عنه لما خرجا من مكة مهاجرين ((ابن أريقط)) رجلاً من بني الديل [3] هادياً خريتاً - والخريت الماهر بالهداية - وائتمناه على أنفسهما ودوابهما وواعداه غار ثور صبح ثالثة والمشركون وأهل الكتاب منهم المؤتمن كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن

---

١٧٧ . وقال محقق الكتاب محمد الأعظمي : إسناده حسن . والكتاب نشر المكتب الإسلامي ، بيروت : ط١ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٦) يوسف القرضاوي . الرسول والعلم ، ص ٥٣ .

(١) وفي إشارة شيخ الإسلام إلى المحض يعني أنها صافية غير مشوبة بعقائدهم .

(٢) معاملة النبي ﷺ لأهل خيبر :

أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر قال : أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود ان يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها . كتاب المغازي ، باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر ، ج٥ ،ص ٩٩ ، حديث رقم ٤٢٤٨ ، وكذلك مسلم ، كتاب المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع . ج٣ ، ص١١٨٦ ، حديث رقم (١٥٥١) .

(٣) استئجار النبي ﷺ وأبو بكر لابن أريقط :

خرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب استئجار المشركين عند الضرورة . ج٣ ، ص٦٦ . حديث رقم (٢٢٦٣) ، وانظر : ابن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار طيبة ، الرياض . ط١ ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م . ج ٢ ، ص ٩٧ وما بعدها .

تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ [1] ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال ، وجاز أن يستطب المسلم الكافر إذا كان ثقة ، نص على ذلك الأئمة كأحمد وغيره ، إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمور الدنيا ، وائتمان على ذلك وهو جائز إذا لم يكن مفسدة راجحة ، مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك ، فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الإستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه ، بل هذا أحسن ، لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة ، وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة ، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن ، والمزارع والسلاح ونحو ذلك)) [2] .

((ولذلك كان لا بد لهذه الأمة ، أن تعود إلى التفاعل الحضاري وتستفيد من حضارات الإنسانية ولابد من خروج الأمة من الاغتراب الزماني وذلك بالربط بين الواقع وثوابت الحضارة الإسلامية)) [3] .

((فليس للمسلمين بدينهم وقيمهم وحضارتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الحضارة الإنسانية في مرحلتها الراهنة انتظاراً لانهيارها وسقوطها .. . وهم يحسبون أنهم يستطيعون وقتها القفز في الفراغ لإقامة الحضارة الإسلامية المجددة فهي لا تقوم على هذا النحو ، فكل حضارة هي طور حضاري في الحضارة الإنسانية العامة ، لا تقوم إلا في ظل حضارة سابقة أو طور سابق فتستفيد من مناخه وتشتمل كل خير فيه ثم تحتويه وتتجاوزه بما تقدمه من

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

(٢) ابن تيمية . الفتاوى . ج ٤ ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣) أحمد السايح . في الغزو الفكري . ص ١٣٠ .

قيم ومنجزات ولا يعني ذلك ان يقبل المسلمون كل جزئيات الحضارة القائمة بل لابد أن يحكموا في كل عصر " معايير قيمهم " في تحديد الإيجابيات والسلبيات وتقرير ما يأخذون وما يدعون)) [1] .

ويقول القرضاوي : ((لاحرج علينا إذن أن نتقبس من الغرب ماينفعنا ، وما يليق بنا ، ويتلائم مع قيمنا وثقافتنا ، وما يؤكد المبادئ التي دعا إليها ديننا ، وقد توجب علينا عملية الملائمة هذه أن نعدل ونحور - بالحذف والإضافة - فيما نقتبسه حتى يغدو صالحاً لنا ، متوافقاً مع أصول شريعتنا ونظام حياتنا ، وظروف بيئتنا ، وقد يصح بهذا التعديل والتحوير جزء من وجودنا المعنوي ، وكياننا الثقافي ، ويفقد جنسيته الأولى)) [2] .

(١) محمد فتحي عثمان . القيم الحضارية في رسالة الإسلام . ص ١٤٣- ١٤٤ . ط ١ جدة ، الدار السعودية. ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م ، بتصرف .

(٢) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة . ص ٩١ .

ضوابط الإقتباس :

ضوابط الإقتباس لمن تصدى لوظيفة الإقتباس في ميدان التربية والتعليم :

١- العلم الشرعي :

ويلزم لمن أراد أن يتصدى لوظيفة الإقتباس من العلوم التربوية الغربية أن يكون في الأصل على إطلاع على مصادر الشريعة من كتاب وسنة ، راسخاً في العلم الشرعي ، قد امتزج نور الوحي بعقله وسمعه وبصره ، حتى أصبح عنده معيار وميزان شرعي ، ما يسمع قولاً ، ولا يرى عملاً ، ولايجول في قلبه فكرة ، إلا وقد وزنها على ميزان الإسلام ووجد عنده جواباً .

والرسوخ في العلم لا يأتي إلا بالممارسة الطويلة مع مصادر الشريعة وفق المناهج التي بناها على مر القرون علماء الأمة من الراسخين في العلم ، ولا تأتي عن طريق حضور بعض المحاضرات أو قراءة بعض الكتيبات ، أو قراءة بعض مصادر الشريعة ، أو كتب الفقه ونحوها ، بل أن لكل فن منهج وقواعد يسير وفقها طالب ذلك الفن ، مع نصائح وإرشادات من سبقوه فيه من " المشايخ " وإلا تاه الطريقَ وأصبح من أنصاف المتعلمين ، والذي سماه شكيب أرسلان " العلم الناقص " فقال عنه : ((ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشداً عالماً أطاعه و لم يتفلسف عليه ، وأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقنع بأنه لا يدري ، وكما قيل : ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم)) [1] .

---

(١) شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون . ص ٤١ . القاهرة : المركز السلفي للكتاب ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠ م .

وكم ابتليت الأمة في هذا الزمان من أشباه العلماء وأنصاف المتعلمين ، والذين أسماهم بكر أبو زيد " المتعالمين " وألف كتاباً أسماه ((التعالم وأثره على الفكر والكتاب)) [1] تقصى فيه أسباب ذلك وضرب له أمثلة ، وذكر شكوى أهل العلم من المتعالمين على مر القرون ، من ذلك قول ابن حزم رحمه الله : ((لا آفة على العلوم وأهلها ، أضر من الدخلاء فيها ، وهم من غير أهلها ، فأنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ، ويفسدون ويُقدِّرون أنهم يُصلحون)) [2] .

وإن كان أنصاف المتعلمين يخوضون في علوم التربية في بلاد المسلمين ، فإن ضررهم أشد من ضرر القاضي الجاهل الذي يفتي في الدماء والأموال والفروج إذ أن ضرر القاضي الجاهل لا يمس إلا طائفة من الناس ، فقد يضيع حقوقاً مالية ، أو يوقع عقوبة على أحد ظناً وخطأً ، وأما من تعرض لأمور التربية والتعليم وأفتى فيها وهو من أنصاف المتعلمين فإن ضرره يمس الأمة كلها ، إذ أن آرائه الخاطئة قد يتأثر بها منهاج التعليم للأمة ، فيجر من الآثار والمصائب ما لا يوصف .

وقد رأينا أناساً من هؤلاء يكتبون في أمور التربية والتعليم ، ويخوضون فيها ويرددون أقوالاً للغرب فاسدة مع الثناء عليها وتزيينها في أعين الناس .

ومن هؤلاء من يكتب كلاماً ينسبه إلى الإسلام ، فيظن من ليس عنده دراية أن ما قاله صحيح ، فينفق رأيه على الناس ، وكثيراً من هؤلاء الذين تصدوا لميدان التربية والتعليم من أقل الناس بضاعة في العلم الشرعي ، يقول

---

(١) طبع دار الراية ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

(٢) المرجع السابق . ص ٧ .

القرضاوي عن هذه الفئة : ((لقد رأينا من يرفض رواية صحيحي البخاري ومسلم ويأخذ برواية كتاب (الإمامة والسياسة) المعزو لابن قتيبة وهو كتاب لقيط ، منحول لابن قتيبة ، وقد رأينا من كان يطعن في أسانيد المحدثين ويعتمد أسانيد كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني . رأينا من يستند إلى روايات عصر الفتنة الكبرى ، ذكرها الطبري مثلاً بأسانيد واهية مردودة ، فاعتبر هؤلاء مجرد ذكرها من عالم كبير توثيقاً لها . رأينا من يحكم على تاريخ الأمة – خصوصاً في أفضل عصورها – معتمدين على ما تذكر كتب الأدب والنوادر والأقاصيص التي تروي الغث والسمين ، والصدق والكذب . رأينا من يعتبر المستشرقين حجة في كل ما يكتبون ، ولا يحاول أن يمتحن آرائهم ، ويناقش استدلالاتهم)) [1] ، لأن كثيراً من هؤلاء تخرج من كليات أدبية وإنسانية ، ولم يتعلم من علوم الشريعة إلا قليلاً وقد لا يفقه كثيراً من الأمور التي هي فرض عين عليه .

إن العلم الشرعي نور يبصر من خلاله الإنسان طريقه في هذه الحياة ، قال تعالى :﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2]

قال ابن القيم رحمه الله : ((العلم حياة ونور ، والجهل موت وظلمة ، والشر كله سببه عدم الحياة والنور ، والخير كله سببه النور والحياة هي المصححة لصفات الكمال الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال ، فكلما تصرف من الحياة فهو خير كله ، كالحياء الذي سببه كمال حياة القلب وتصوره

(١) يوسف القرضاوي . الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . ص ٤١ – ٤٢ ، مرجع سابق .

(٢) سورة الأنعام . آية (١٢٢) .

حقيقة القبح ونفرته منه ، وضده الوقاحة والفحش ، وسببه موت القلب وعدم نفرته من القبيح ، وكالحياء الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء)) [1] .

وقال ابن كثير رحمه الله : ((هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً ، أي كان في الضلالة هالكاً حائراً ، فأحياه الله أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه ووفقه لإتباع رسله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ أي يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به . والنور هو القرآن كما رُويَ عن ابن عباس وقال السدي : الإسلام ، والكل صحيح . ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ أي الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة . ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ أي لايهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه ، وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان . والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر)) [2] .

والقصد من ذلك أن العلم الشرعي هو نور يرى به الإنسان طريقه في هذه الحياة ، وهذا النور درجات ، فبقدر رسوخ الإنسان في العلم بقدر ما يكون معه هذا النور ، وكلما زادت إضاءة هذا النور كلما زادت قوة الإبصار في الإنسان وكلما استبانت له مراتب الأشياء وحقيقتها . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . تحقيق سيد إبراهيم وعلي محمد . ط١ ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م . ص ٦٨ ، القاهرة : دار الحديث .

(٢) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ج٢ ، ص ١٧٢ .

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَآمِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (٤) قال شيخ الإسلام : ((﴿ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ نور الإيمان مع نور القرآن)) (٥) .

فإذا ما استصحب الباحث معه " نور الوحي " ودخل في المدنية الغربية المعاصرة وتجول في أرجائها ، وفي قصورها وأسواقها ومصانعها ، ومدارسها فإنه يرى كل شيء على حقيقته ، قد زالت عنه أصباغ التجميل وأغطية الزور والتدليس ، لا ينخدع بالمظاهر الزائفة . ويميز بين الحق والضلال ، وبين الداء والدواء ، فينقل ما يراه على حقيقته نافعاً لقومه ، ويترك ما يراه ضاراً لقومه ، ومن لم يرسخ في العلم الشرعي فإنه أشبه ما يكون كالأعمى

(١) سورة الزمر . آية (٩) .

(٢) سورة الحديد . آية (٢٨) .

(٣) سورة إبراهيم . آية (١) .

(٤) سورة النور . آية (٣٥) .

(٥) ابن تيمية . الفتاوى . ج٦ ، ص ٣٩٢ .

الذي يدخل داراً فيلتمس ما يعثر عليه ثم يحمله لقومه ولا يعلم ما في الدار من النفائس والدرر والمجوهرات ، وما فيها من الأحجار والثعابين والعقارب والهوام الأخرى . فقد يحمل النفائس والثعابين لقومه لأنه لا يبصر شيئاً ، بينما من رسخ في العلم الشرعي واستضاء بنوره فإنه يدخل القصر وهو يبصر كل شيء يتجول في أركانه وسرادقه ، ويحمل ما يراه نافعاً وثميناً لقومه ويترك ما يراه مضراً ومهلكاً وحقيراً .

والرسوخ في العلم الشرعي لا يحصل للطالب إلا بانتهاج المناهج التي نظمها الراسخون في العلم على مر العصور ، وذلك بالتدرج في علوم الشريعة شيئاً فشيئاً ، وفي كل فن من علوم الشريعة منهجاً لدراسته [1] لابد أن يستوعبه الطالب ، ويتعلم على ضوئه ، فيسير تعلمه وفق منهاج يضبط له جزئيات العلم ويبين له قواعده ، ومصطلحاته ، وعلماءه ، ومصادره ، وكيفية البحث فيه ، ولابد لطالب العلم أن يلم إلماماً عاماً بعلوم الشريعة قبل أن يتجه نحو تخصصه الفرعي فيها ، من أجل بناء قاعدة تتسم بالشمول ، وإدراك المنهجية الشاملة لكل العلوم ، قال عبد الله الحسن : ((التدرج يقتضي الترتيب بين أجزاء الفن الواحد من العلم أو بين الفنون المختلفة من العلم ، والقفز دون مراعاة الترتيب يضيع العلم ويبعثر الجهد ، وهنا موازنة لابد من ذكرها وهي ألا يعكف المتعلم على إتقان فن من فنون العلم بحيث يحيط بكل جوانبه ومسائله وفروعه ، فإن العمر لا يتسع لذلك . ولكن المقصود أخذ قواعد كل فن وأحسن ما فيه ، ومناهجه العامة)) [2] .

---

(١) مثل مصطلح الحديث في علوم الحديث ، وأصول الفقه في الفقه ، ونحو ذلك .

(٢) عبد الله يوسف الحسن . ربانية التعليم . ص ٣٢- ٣٣ . سلسلة رسائل العين . مصر : دار البشير ، دار المجتمع ، جدة ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م .

ويقول أيضاً : ((الأصول قبل الفروع . فتعلم أصول الشريعة لا بد منه قبل فروعها ، وأرفع الأصول : أصل العقيدة ، كمعرفة البارئ تعالى وأسمائه وصفاته ، والإيمان به وبأنبيائه ورسله ، بينما الفقه وفروع الشريعة تبع لذلك وكذلك في الفن الواحد ففي الفقه مثلاً : معرفة ما تصح به العبادة أولى بالمعرفة من سنن العبادات وزوائدها وهكذا)) [1] .

هذا وإن تعلم الشريعة لابد أن يكون عن طريق شيخ لا أن يجعل الكتاب شيخه ، قال بكر أبو زيد : ((الأصل في الطلب أن يكون بطريقة التلقين والتلقي عن الأساتيذ ، والمثافنة [2] للأشياخ والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب . وقد قيل من دخل في العلم وحده خرج وحده . أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم ، إذ العلم صنعة وكل صنعة تحتاج إلى صانع فلابد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق . وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم إلا من شذ منهم)) [3] .

ثم إن هناك مراحل لطلب العلم ، ذكرها بكر أبو زيد وقال : إن الطالب يمر بثلاث مراحل ، للمبتدئين ثم المتوسطين ثم المتحنكين .

ففي التوحيد : الأصول الثلاثة وأدلتها ، والقواعد الأربع ثم كشف الشبهات ثم كتاب التوحيد أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى . هذا في توحيد العبادة ، وفي توحيد الأسماء والصفات العقيدة

---

(١) المرجع السابق . ص ٢٣ .

(٢) المثافنة : المصاحبة . قال ابن منظور في لسان العرب : ثافنت الرجل مثافنة أي صاحبته لا يخفى عليَّ شيء من أمره . ج١ ، ص ٤٩٠ .

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد . حلية طالب العلم . ص ٢٢ . ط ١- الرياض : دار الراية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

الواسطية ، ثم الحموية ، والتدمرية ، ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فالطحاوية مع شرحها .

وفي النحو : الآجرومية ، ثم ملحة الإعراب للحريري ، ثم قطر الندى لابن هشام ، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل .

وفي الحديث : في الأربعين للنووي رحمه الله تعالى ، ثم عمدة الأحكام ، ثم بلوغ المرام لابن حجر رحمه الله تعالى ، والمنتقى للمجد بن تيمية رحمه الله تعالى ، فالدخول في قراءة الأمهات الست وغيرها .

وفي المصطلح : نخبة الفكر لابن حجر ، ثم ألفية العراقي رحمه الله تعالى .

وفي الفقه : زاد المستقنع للحجاوي رحمه الله تعالى ، أو عمدة الفقه ، ثم المقنع للخلاف المذهبي ، فالمغني للخلاف العالي ، ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى .

وفي أصول الفقه : الورقات للجويني رحمه الله تعالى ، ثم روضة الناظر لابن قدامة رحمه الله تعالى .

وفي التفسير : تفسير ابن كثير .

وفي أصول التفسير : المقدمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وفي السيرة النبوية : مختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأصلها لابن هشام ، وزاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى .

وفي المعاجم : القاموس للفيروز آبادي رحمه الله تعالى)) [1] .

والعلماء لهم اقتراحات مختلفة لطالب العلم وقد اقترح الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى برنامجاً موسعاً لطالب العلم ضمنه في كتابه القيم : ((أدب

(١) بكر بن عبد الله أبو زيد . حلية طالب العلم . مرجع سابق ، ص ٢٠ - ٢١ ، باختصار يسير .

الطلب ومنتهى الأرب)) [1] ، ذكر قائمة بالمصادر التي تساهم في تأهيل طالب العلم على بلوغ مقصده في طلب العلم ، وقال : ((إنها لما كانت تتفاوت المطالب في هذا الشأن ، وتتباين المقاصد ، بتفاوت همم الطالبين وأغراض القاصدين . فقد ترتفع همة البعض منهم فيقصد البلوغ إلى مرتبة في الطلب لعلم الشرع مقدماً لها يكون عند تحصيلها إماماً مرجوعاً إليه مستفاداً منه ، وقد تقصر همته عن هذه الغاية ، فتكون غاية مقصده أن يعرف ما طلبه منه الشارع من أحكام التكليف والوضع على وجه يستقل فيه بنفسه ، ولا يحتاج إلى غيره ، وقد يكون نهاية ما يريده أمراً دون أهل الطبقة الثانية وذلك كما يكون من جماعة يرغبون إلى إصلاح ألسنتهم وتقويم أفهامهم بما يقتدرون به على فهم معاني ما يحتاجون إليه من الشرع)) [2] ، ثم شرع في بيان المراجع الملائمة ، وإرشادات لكل طبقة .

وبعد أن يستوعب طالب العلم من كل فن من فنون العلوم الشرعية مستوى ملائماً لتخصصه في التربية والتعليم . ليشرع في التعمق فيما يساهم في تأهيله لهذا الأمر ، وهو جانب التربية والتعليم ، فيطلع على الرؤية الإسلامية للقضايا والمواضيع المرتبطة بميدان التربية والتعليم مثل نظرة الإسلام إلى الإنسان وإلى الحياة ، وإلى الكون ، وإلى العلم .

ثم دراسة مقاصد الشريعة ، ومقاصد التربية الإسلامية ، وأساليب التربية الإسلامية ، ومبادئها المبثوثة في القرآن والحديث ، وخصائص المنهج الإسلامي والأخلاق والقيم ، وتاريخ التعليم الإسلامي .

---

(١) الشوكاني . أدب الطلب ومنتى الأدب . تحقيق محمد صبحي حلاق . نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ودار المعراج الدولية الرياض . ط١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

(٢) المرجع السابق . ص ١١٣ .

ثم يتعمق أيضاً في علوم الاجتهاد ، فيدرس بتوسع في أصول الفقه ، ومصطلح الحديث ، وأصول التفسير ، وأصول التربية الإسلامية ، ثم تلاوة القرآن وتدبر معانيه مصاحباً معه مصادر التفسير ، من أجل أن يرسخ في عقله الرؤية القرآنية ، وكذلك يراجع ويقرأ في مصادر الحديث كالصحيحين والسنن ومسند أحمد والموطأ ونحوها . وإن احتاج لفهم حديث راجع شروح الحديث المتنوعة ، وأيضاً يراجع الكتب التي ألفها علماء السلف في الرد على أهل البدع كالمعتزلة ، والجهمية ، والقدرية ، والمتصوفة ، والفلاسفة ونحوهم ومن أنفع الكتب في ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله ، فإن قراءة كتبهما تورث نوعاً من الحس الشرعي ، وتغرس الميزان الشرعي الذي توزن به الأمور ، حيث أن طريقتهما بيان الأدلة ، ونقد أدلة الخصم ، تدرب الطالب على المناقشة ، والوزن بالميزان الشرعي ، وكذلك ابن الجوزي رحمه الله في كتابه " تلبيس إبليس " والغزالي رحمه الله في مقدمة كتابه " إحياء علوم الدين " ، فإن تلك المراجع ونحوها من التي ألفها السلف في الرد على أهل البدع من أنفع الكتب في تدريب الطالب على النقد وترسيخ الرؤية الشرعية للأفكار والمفاهيم المتنوعة ، وهي مهمة للطالب في ميدان التربية والتعليم .

كذلك كتب العلماء والمفكرون المعاصرون والذين اشتهر عنهم نقد الحضارة الغربية المعاصرة مثل : أبو الأعلى المودودي في أغلب كتبه وخاصة كتابه " نحن والحضارة الغربية " ، وأبو الحسن الندوي وخاصة كتابه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " وكذلك " الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في البلاد الإسلامية " ، وكذلك كتب سيد قطب ، وخاصة كتابه " في ظلال القرآن " ، وكذلك كتب أخيه محمد قطب وخاصة

"مذاهب فكرية معاصرة " وَ " واقعنا المعاصر " ، وكذلك أنور الجندي في جميع كتبه ، وكذلك يوسف القرضاوي ... ونحو هؤلاء .

وكذلك كتب المفكرين الذين تصدوا للغزو الفكري وللاستعمار والتنصير مثل كتاب " العلمانية " لسفر الحوالي ، وَ " الولاء والبراء " لمحمد سعيد القحطاني ونحوها من الكتب النافعة في هذا الباب .

المهم أن تتكون عند الطالب ثقافة شرعية مناسبة لتأهله لوظيفة الاقتباس في ميدان التربية والتعليم .

٢- دراسة جذور الفكر الغربي :

ويلزم من تصدى لوظيفة الاقتباس من العلوم التربوية الغربية أن يكون مدركاً لحقيقة تلك العلوم محيطاً بأصولها ، وأسسها التي بنيت عليها ، قد سبر غورها وعلم منشأها ، وتطورها على مر العصور ، والمراحل التي ساهمت في تشكيل وبلورة تلك العلوم على ما هي عليه الآن ، حتى يفهم أقوالهم ويعلم مقاصدهم ، وما يعنونه من كلامهم ، ولأن لكل نظرية أو رأي جذور عقائدية بنيت عليها ، فلا يمكن فهم الرأي أو النظرية دون فهم أصولها العقائدية التي بنيت عليها ، لأن كل رأي أو نظرية أو مفهوم تربوي متأثر بعقائد صاحبه ، فلا يمكن استيعاب مقالته دون فهم عقيدته ، ودون ربطها بأصولها العقائدية ، وذكر الشاهد ثلاثة شروط للتفاعل الحضاري ، وهي :

١- معرفة لغة الحضارة الأخرى .

٢- فهم روح الثقافة الأخرى ، وأساليب تعبيرها عن الأفكار .

٣- فهم المنهج الفكري الذي تُعرض من خلاله أفكار الحضارة الأخرى)) [١] .

والهدف من ذلك هو أن يعرف المُقْتَبِس معنى كلام من أراد اقتباس كلامه وأثر عقيدته الفاسدة في فكره ، لأن الآراء هي ثمار العقائد التي آمنوا بها .

وقد أشار إلى ذلك الضابط شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبين أن من لم يسبر غور مقالات المتفلسفة والمتكلمين خيف عليه من غائلتها، فقال : ((فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم مالا يخاف على من لم يدخل فيه ، وعلى من قد أنهاه نهايته ، فإن من لم يدخل فيه - يقصد كلام المتفلسفين والمتكلمين - فهو في عافية ، ومن أنهاه فقد عرف الغاية ، فما يبقى يخاف من شيء آخر ، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظم هؤلاء ، وقد قال بعض الناس : أكثر ما يفسد الدنيا : نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب، ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان)) [٢] .

ولا يمكن فهم مقالات الغرب في التربية إلا بفهم جذورها وأصولها العقائدية ، وفهم مصطلحاتهم ، وأبعادها فهماً دقيقاً ، وإلا فإنه سوف يردد أقوالاً ظاهرها الصلاح وباطنها الفساد والشر ، فهذه آراء (سيجمند فرويد) في التحليل النفسي ، وتفسيره للسلوك الإنساني ، روجت في العالم الإسلامي وظاهرها العلمية ، والبحث المنهجي ، ولكن من اطلع على كتاب صبري

---

(١) السيد محمد الشاهد . رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم . ص ٤٠ .ط١ - بيروت : دار المنتخب العربي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

(٢) الفتاوى .ج ٥ ، ص ١١٨ .

جرجس الذي بعنوان (التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي) [1] ، والذي حلل من خلالها جذور نظرية سيجمند فرويد ، وبين أن لها أصولاً في التراث الديني اليهودي وخاصة في التلمود ، واستخرج شواهد كثيرة للنظرية من أقوال اليهود ، وبين أن تلك النظرية هي فكرة اليهود عن الجنس ، فمن قرأها ودرس شخصية قائلها ، ودينه ، وثقافته ، علم أن هذا اليهودي المشبوه له مقاصد خسيسة في نظريته ، أما من قدمت له النظرية مبتورة عن شخصية قائلها ، وعن أصولها الفلسفية فإنه قد لا يدرك معناها تماماً ولا يفهم ما تؤول إليه ، ولا حتى مصطلحاتها .

وللأسف أن آراء المفكرين الغربيين مثل آراء جان جاك روسو ، وبستالوزي ، وهاربرت سبنسر ، وجون ديوي ، ونحوهم تعرض على المسلمين ولا يعرض تاريخ فكرهم ، ولا معنى كلامهم الحقيقي ، فيفتتن بها من لم يفهم حقيقتها ، وقد يكون فيها من الفساد والشر العظيم على دين المسلمين ولهذا يحتاج الباحث في مقالات الغرب دراسة تاريخهم ، ومدارسهم الفكرية وأصول كل مدرسة ، ولطائفة من المفكرين المسلمين المعاصرين كتب نافعة في هذا الباب مثل :

محمد قطب في كتابه (مذاهب فكرية معاصرة) .

وأبو الأعلى المودودي في كتابه (نحن والحضارة الغربية) .

وأبو الحسن الندوي في كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في البلاد الإسلامية).

---

(١) صبري جرجس .التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي . ط١ . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٠ م = ١٣٩٠هـ .

وأنور الجندي في كتابه (أسلمة المناهج والعلوم) .

ونحو هؤلاء من الذين بحثوا في العلمانية ، وفي تاريخ الفكر التربوي الغربي.

المبحث الثالث : معايير التبعية الفكرية :

سبق أن استعرض الباحث ضوابط الاقتباس والمتمثلة في الرسوخ في العلم الشرعي ، والإحاطة بجذور الفكر التربوي الغربي ، ويهتم هذا المبحث بجانب آخر مهم ، ويتمثل في " ضوابط المادة المقتبسة " ، سواء من نظام أو نظرية ، أو إرشادات وقواعد تربوية ونحوها ، نحتاج إلى معايير لمعرفة ما يمكن اقتباسه وتلك المعايير يمكن أن تضع خطوطاً إرشادية أخرى لمن تصدى لوظيفة الاقتباس ، وكذلك تساعد العاملين في ميدان التربية من مراجعة ما بأيديهم من نظريات ومفاهيم على تلك المعايير ، لتوجيههم توجيهاً إسلامياً .

وقد قسمها الباحث إلى أربعة معايير ، وهي مستنبطة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وعن طريقها يمكن التفريق بين التبعية الفكرية المذمومة وبين الاقتباس (المحمود) وهي :

١- العقيدة .

٢- هوية الأمة .

٣- البرهان .

٤- المصلحة .

أولاً : معيار العقيدة :

وهو المعيار الأول الذي يفرق به بين التبعية الفكرية المذمومة ، وبين الاقتباس المحمود . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٢)

فأول ميزان تُوزن به الأفكار والنظم والمفاهيم التربوية هو الكتاب والسنة ، فتعرض عليهما وينظر فيهما ، فإن كانت تلك المقالة أو الفكرة تخالف ما أمرنا الله به ، أو ما نهانا الله عنه ، أو ما أخبرنا الله به ، فلا ينظر فيها ، ومهما زينت بالحجج والبراهين فإن حججها كاذبة خاطئة ، فلا يقدم على قول الله وقول رسوله ﷺ قول كائن من كان . والمقصود من هذا المعيار هو فحص مقالات الغرب فحصاً دقيقاً ، فحص معناها ، وما تؤول إليه ، وتحري آثار عقائدهم الفاسدة في تلك المقالات لئلا تكون متلوثة بعقائدهم ، ويخشى أن تنتقل إلى المسلمين عن طريقها ، وقد يكون الكفر والزندقة واضحة في بعض مقالاتهم يعلمها عوام المسلمين ، وقد يكون الكفر والزندقة خفية فيها لا تظهر إلا لمن عرف مقالاتهم ورسخ في العلم الشرعي ، فإن النظم والآراء التربوية تتأثر دائماً بعقائد أصحابها . يقول أبو الحسن الندوي : ((إن لنظام التعليم روحاً وضميراً كالكائن الحي ، له روح وضمير ، إن روح نظام

(١) سورة الأنعام . آية (١٥٣) .

(٢) سورة النساء . آية (٥٩) .

التعليم وضميره إنما هو ظلٌ لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغايتهم من العلم ودراسة الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ، ومظهرٌ لأخلاقهم وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة روحاً وضميراً بذاتهما ، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً ، إنها تسري في جميع العلوم ، في الأدب والفلسفة ، والتاريخ ، والفنون ، والعلوم العمرانية ، حتى في علم الإقتصاد والسياسة بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح ، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها ، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي قوة الإجتهاد وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز بين النافع والضار ، وهذا العمل سهل في العلوم الطبيعية والتطبيقية بينما هو صعب ودقيق في نفس الوقت في الأدب والفلسفة والعلوم العمرانية ، ولاسيما إذا كانت أمة تتميز بعقائد معينة وتتبنى فلسفة مستقلة ، وأسلوباً خاصاً للحياة وتاريخاً مستقلاً)) [1] .

ومن تبصر في زخم الفكر التربوي الغربي الوافد لديار المسلمين وجد أن كثيراً من مقالاتهم تخالف القرآن والسنة وللأسف نجد أن بعض المؤلفين في ميدان التربية من المسلمين يرددون أقوال الغرب دون فهم معناها ولا وزنها على معيار القرآن والسنة ، ورد الفاسد منها ، وإنما يرددون تلك المقالات ، حتى أن بعضهم يؤلف كتاباً في التربية الإسلامية ويذكر أقوالاً لفلاسفة الغرب تكذب ما أخبرنا الله به ، ومن الأمثلة على ذلك قول أحدهم : ((نعم إن الإنسان قد يترقى في عقائده على النحو الذي ترقى به في سائر شؤون حياته ، وأن عقائده الأولى كانت مساوية لحياته آنذاك وكذلك

(١) أبو الحسن الندوي . الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . ص ١٧٣ - ١٧٤ . ط ٤ - الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

كانت علومه وصناعته ، فأدواته الأولى كانت بدائية بالقدر الذي كانت عليه بدائية عقائده ، ثم كان الترقي في العقائد ، كما كان الترقي في العلوم والصناعات ، حتى انتهى الإنسان إلى معرفة الله الواحد من خلال صنعته كخالق سبحانه وتعالى ، ولم يكن ذلك إلا لأن الحقيقة الكبرى أسمى من أن تتجلى للناس كاملة شاملة في عصر واحد ، بل إن الناس كانوا يستعدون لمعرفتها عصراً بعد عصر ، وطوراً بعد طور ، وأسلوباً بعد أسلوب)) [1] .

وقوله ((حتى انتهى الإنسان إلى معرفة الله الواحد)) هذا الكلام تكذيب لما أخبرنا الله به في كتابه من أن آدم كان موحداً لربه ، وهو أبو البشر ، وأن التوحيد هو الأصل في دين الناس والشرك طارئ عليه ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [4] .

فآدم عليه السلام كان عالماً بالله موحداً به نبياً اصطفاه الله كما اصطفى نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران ، وهو أبو البشر جميعاً ، فكثير من الآيات يخاطب الله فيها الناس بقوله : ﴿ يَابَنِي آدَمَ ﴾ : قال تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ لاَ

(١) عرفات عبد العزيز سليمان . نظم التعليم في العالم الإسلامي . مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

(٢) سورة البقرة . بعض آية (٣١) .

(٣) سورة البقرة . آية (٣٧) .

(٤) سورة آل عمران . آية (٣٣) .

يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ [3] .

وثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : ((**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**)) [4] .

وهذه الأدلة من الكتاب والسنة تبين بطلان دعوى أن الإنسان ترقى في عقائده ، وأصل تلك المقالة جاءت من فلاسفة غربيين ملحدين مكذبين بالنبوات والرسل ، تزعم أن المجتمع هو الذي يخلق الدين ، ومن هؤلاء " أوجست كونت " ((فقد ذهب هذا الفيلسوف إلى أن العقلية الإنسانية قد مرت بأدوار ثلاثة ، دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، وهذا الدور الثالث في نظره هو آخر الأطوار وأسماها ، فبعد أن كان الناس يعللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوى إرادية خارجية عنها انتقلوا إلى تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها ، كقوة النمو ، والمرونة ، والحيوية ... الخ ، ثم انتهوا إلى رفض كل تفسير خارجي

---

(١) سورة الأعراف . آية (٢٧) .

(٢) سورة الأعراف . آية (٣١) .

(٣) سورة الأعراف . آية (٣٥) .

(٤) مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج٤ ص ٢١٩٧ ، حديث رقم ٢٨٦٥ .

أو داخلي واعتنوا بتسجيل الحوادث كما هي ، ومعرفة ما بينها من ترابط وجودي بقطع النظر عن أسبابها وغاياتها ، وعلى هذا يكون دور التفكير الديني يمثل الحالة البدائية التي تلهت بها الإنسانية في مرحلة طفولتها ، فلما كبرت عن الطوق خلعتها لتستبدل بها ثوباً وسطاً في دور مراهقتها حتى إذا بلغت أشدها واكتمل رشدها أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية)) [1] .

((وقد تزعم أنصار مذهب التطور التقدمي أو التصاعدي هذه الفكرة التي تذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيدة : (الإله الأحد) عقيدة جد حديثة ، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي ، ومن أنصار مذهب التطور التقدمي الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان فلاسفة منهم (سبنسر) و (تيلور) و (فريزر) و (دور كهايم) وغيرهم ، وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها)) [2] .

وهكذا نجد من بين المسلمين من يردد تلك المقالات التي أصلها تكذيب بالنبوات والرسل وهو لا يفهم معناها ، وقد تخرجه من الملة وهو غافل لا يعلم .

إن معيار العقيدة يعني أن يرى كل شيء بمنظار الشرع ، ويزن كل ما يسمع على ميزان الشرع ، ولا يردد مقالة ولا نظرية للغرب إلا وهو مدرك

(١) محمد عبد الله دراز . الدين . دار القلم : الكويت ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م ، ص ٨٤ .
(٢) محمد عبد الله دراز . المرجع السابق . ص٨٥ .

معناها ، سابر لغورها ، قد بحثها وعرضها على القرآن والسنة ، وبقية المعايير الأخرى هي فروع من هذا المعيار الرئيس .

ثانياً : معيار هوية الأمة :

لكل أمة هويتها المميزة عن بقية الأمم ، وتعتز كل أمة بهويتها التي تعتبرها بمثابة شخصيتها المعنوية ، كما يعتز المرء بنفسه ، فتبذل جهدها في المحافظة على هويتها ، كما يبذل قائد المعركة جهده في رفع راية دولته ، فإذا ما سقطت تلك الراية انهارت معنويات الجند ، فهي علامة لانهزام الجيش ، كذلك هوية الأمة بمثابة راية مرفوعة بين الأمم ، تحافظ على بقائها عالية مرفوعة يلتف حولها أفراد المجتمع .

والأمة الإسلامية تميزت بهويتها بين الأمم ، من دين شعاره التوحيد ، ونظم اجتماعية مميزة ، وآداب وأخلاق ، ولغة مميزة ، وحث الإسلام على المحافظة على تلك الهوية فقال ﷺ : ((**من تشبه بقوم فهو منهم**)) [1] ، وفي هذا تحذير شديد بأن من تشبه بأمم أخرى غير أمة الإسلام فهو منهم ، ومن المعلوم أن تشبه المرء بأمة أخرى علامة على أنه يحبها ، ويميل قلبه إليها فإذا ما قلع شعار أمته وارتدى شعارات اليهود والنصارى فإن ذلك دال على ميل قلبه لليهود النصارى ، وإعراضه عن هدي المسلمين ، وهذا الميل والمحبة لليهود والنصارى والمشركين كافة محرم ، لأنه ثلمة في جدار العقيدة ، وعلامة على ضعف التمسك بالدين ، ولهذا حرم الله عزوجل محبة الكفار وموالاتهم ونصرتهم ، فقال عزوجل : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) أخرجه أبو داود عن ابن عمر كتاب اللباس ج ٤ ، ص ٤٤ ، حديث رقم ٤٠٣١ ، وأحمد . المسند ج٢ ، ص٥٠ ، ٩٠ .

الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) وأوجب البراءة منهم فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُا مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٢) .

وهوية الأمة ليست قاصرة على شعاراتها الظاهرة ، وهديها الظاهر ، بل إنها تشتمل أيضاً هديها الباطن ، وتمتد هوية الأمة بدءاً من عقائدها الدينية ومظاهر تلك العقائد من أعياد ، ومعابد ، وطقوس دينية ، وكذلك من لغة ، وملابس ، وعادات وطبائع ، ونظم اجتماعية ، كالنظام السياسي والاجتماعي والتعليمي والاقتصادي ، وتمتد أيضاً هوية الأمة في الفن والأدب ، والرسم والموسيقى ، والمسارح ، وغيرها من الفنون .

فمنهاج التعليم والتربية جزء من هوية الأمة ، لايستعار أبداً ، فهو يحمل في طياته بصمات هوية الأمة ، سواء في فلسفته أوأهدافه ، أونظامه ، أوعلومه ، أومبانيه ونحوها ، فهو جزء من هوية الأمة قد اصطبغ بلونها ، وأصبح أداة لغرس تلك الهوية في نفوس النشء .

فمعيار هوية الأمة يعني أنه لا يمكن اقتباس أي عنصر يكون ذريعة لهدم هوية الأمة ، وكذلك تطهير العلوم التربوية ، أو النظم التعليمية مما علق بها

---

(١) سورة المجادلة . آية (٢٢) .

(٢) سورة الممتحنة . آية (٤) .

من هوية الأمة التي نشأت فيها ، وللأسف فإن الأمم الإسلامية استعارت النظام التربوي الغربي كاملاً ، حتى بشعاراته الكنسية ، فهذا الروب الكنسي يرتديه كثير من خريجي الجامعات في البلاد الإسلامية أثناء حفل التخرج !! وكأن هذا الطالب قد تخرج من معهد كنسي ، وليس من جامعة في بلد إسلامي ، ((بل قد يأتي المناقش وقد ارتدى الجبة أو العباءة السوداء ، وهذا تقليد كنسي في مناقشة الرسائل ، يجب على أهل العلم والإيمان مخالفتهم فيه)) [1] .

إن هذا المعيار يعني أن نظامنا التعليمي والتربوي في الأصل مستقل استقلالاً تاماً عن الغرب نابع من ديننا ، مصطبغ بهويتنا ، ثم إذا اقتبسنا ما رأيناه لا يتعارض مع ديننا فلا بد أيضاً أن يطهر مما علق به من شعارات الأمم الأخرى ثم يصهر في بوتقة هويتنا ، فيندمج حينئذ في نظامنا التعليمي ، ولا يصبح نشازاً .

ثالثاً : معيار الحجة والبرهان :

الحجة : البرهان ، وقيل : الحجة : ما دُفع به الخصم [2] ، قال تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [3]

(١) بكر أبو زيد . التعالم وأثره على الفكر والكتاب . ص ٦٧ .

(٢) ابن منظور . لسان العرب . ج ١ ، ص ٧٧٨ -٧٧٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

قال ابن جرير الطبري : ((وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام ، وقوله ﴿ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ﴾ أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة)) [1] .

والبرهان في اللغة : بيان الحجة واتضاحها ، والبرهان : الحجة الفاصلة البينة برهن ، يبرهن ، برهنة : إذا جاء بحجة قاطعة للد الخصم ، والبرهان : الحجة والدليل [2] . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3] .

قال القرطبي : ((البرهان : الدليل الذي يوقع اليقين)) [4] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ [5] ، قال القرطبي : ((البرهان يعني محمداً ﷺ وسماه برهاناً لأن معه البرهان ، وهو المعجزة ، وقال مجاهد : البرهان ههنا الحجة ، والمعنى متقارب ، فإن المعجزات حجته ﷺ ، والنور المنزل هو القرآن)) [6] .

ونخلص من ذلك أن الحجة والبرهان تعني : مجادلة الخصم بالدليل القاطع ، وهذا المعيار هو الذي يفرق به بين التبعية الفكرية المذمومة ، والاقتباس الحر الواعي ، لأن أصل التبعية الفكرية المذمومة هي إتباع الغير دون حجة أو

---

(١) ابن جرير الطبري ، جامع البيان والتأويل . ج ٧ . ص ٢٥٢ .

(٢) ابن منظور . لسان العرب . ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٣) سورة البقرة ، آية (١١١) .

(٤) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٥) سورة النساء . آية (١٧٤) .

(٦) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج ٦ ، ص ٢٧ .

برهان ، ولهذا فرق الفقهاء بين الإتباع وبين التقليد بمعيار الحجة والبرهان ، ((فقالوا : الإتباع هو العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع ، والتقليد : هو العمل بمذهب الغير من غير معرفة دليله)) [1] ، وأصبح هذا المعيار من الركائز الأساسية في مناهج البحث عند المسلمين ، فلا يقبل قول دون دليل في كافة العلوم ، فالمحدثين لا يعتبرون الحديث صحيحاً إن لم يكن متصل الإسناد بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة)) [2] ، فلا يقبل قول أحد إلا بالدليل ، فضبطوا قواعد التحديث والحكم على الحديث بالحجج والبراهين ، كما هو معلوم في علوم الحديث .

والفقهاء ، فرقوا بين الإتباع والتقليد ، بالنظر إلى الدليل ، فلا يقبل قول كائن من كان إلا بالدليل ، وقعدوا في ذلك منهج أصول الفقه ، والذي يحتوي على قواعد البراهين والأدلة ، فأصبح الدليل هو معيار القبول أو الرفض في أي مسألة كانت من الشرع أو من أمور الدنيا.

والمقلد الأعمى لا يسأل عن البرهان والحجة ، وإنما يقلد بدافع الشعور بالنقص ، وعدم الثقة في العقل ، فكأن من قلده أتم منه عقلاً ونفساً ، إنه كالطفل الذي يقلد والديه ، و لكن الطفل إذا شب ونضج عقله قد يستقل بنفسه عن والديه ، والمقلد لا يستقل بنفسه ، وإنما جعل نفسه كالطفل ، وجعل متبوعه كوالده ، وكم ابتليت الأمة بالمقلدين العميان الذين انساقوا خلف اليهود والنصارى يقلدونهم ، ليس في علومهم وصناعتهم ، وإنما في

(١) عبد الله بن عمر الشنقيطي . التقليد في الشريعة الإسلامية . ص ١٦ .

(٢) انظر السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . تحقيق أحمد عمر هاشم . ج ١ ، ص ٤٣ . ط ١ – بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥م .

أخلاقهم وقيمهم وعاداتهم وملابسهم وطبائعهم وفنونهم ومجونهم ، ولو أنهم أخذوا بمعيار الدليل لتبدل الحال كثيراً ،ولنفوا كثيراً من الخبث عنهم .

إن هذا المعيار يعني أن نفحص كل ما أردنا اقتباسه من علومهم التربوية ، للنظر في حججهم وبراهينهم وأدلتهم وننقدها ، لنعرف الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، فلا نتلقف مقالاتهم دون بحث ونقد ، ومن اقتبس رأياً أو مقالة من مقالاتهم دون فحص أدلتهم فهو تابع للغرب فكرياً ونفسياً .

رابعاً : معيار المصلحة :

وهو يعني تقويم الشيء المراد اقتباسه من ناحية نفعه للمسلمين ، إذ أن الأمر المقتبس قد لا يعارض القرآن والسنة ، وبرهانه وأدلته صادقة ، ولكن لا مصلحة للمسلين في اقتباسه ، فيصبح حينئذ ضاراً من حيث أنه أخذ مكان علم نافع ، إذ أن الأخذ بالعلم في الإسلام مرتبط بنفعه ، وحتى لو كان العلم صادقاً ، ونظرياته صحيحة ، وقوانينه صائبة ، إلا أنه لابد أن يكون نافعاً لأنه إن لم يكن نافعاً فسيأخذ مكان علم نافع ومن ثم يصبح علماً ضاراً ، وقد تعوذ الرسول ﷺ من العلم الذي لا ينفع ، فروى مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول : ((**اللهم إنّي أعُوذُ بِكَ من علمٍ لا ينْفعُ ، ومن قلبٍ لا يخْشَعُ ، ومن نفسٍ لا تَشْبعُ ، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لَها**)) [1] .

والعلم أذا لم يكن نافعاً فهو يُشغل عن العلم النافع وقد رأى ابن رجب رحمه الله ان ((المحدثات في ميدان الفقه مثل : الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام ، والضوابط والقواعد العقلية ، ورد فروع الفقه إليها ،

(١) مسلم . الصحيح.كتاب الذكر والدعاء ج٤ ،ص٢٠٨٨ ، حديث رقم ٢٧٢٢ . وأيضاً أبو داود . كتاب الصلاة عن أبي هريرة . حديث ١٥٤٨ ، باب الاستعاذة ، النسائي عن عبد الله بن عمر المجلد ٤ ، ج٨ ، ص ٢٥٥ ، كتاب الاستعاذة .

سواء خالفت السنة أم وافقتها ، كذلك التوسع في كتب الخلاف والبحث والجدال فيها كله محدث لا أصل له ، وصار ذلك من علمهم حتى شغلهم عن العلم النافع)) [1] ، وقد قال ﷺ : ((**ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدىً كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية :** ﴿ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾)) [2] ، وقال بعض السلف : ((إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل)) [3] .

والقصد من ذلك أن العلم إذا لم يكن نافعاً وذا مصلحة للمسلمين فإنه لا يقتبس من عند الأمم الأخرى ، والمصلحة لها ضوابط وأنواع بينها الفقهاء ، فذكر البرديسي أنواعها وقال :

((١- مصالح مقيدة : وهي التي قام الدليل الشرعي على اعتبارها وهي ثلاثة أنواع :

أ- المصالح الضرورية : وهي التي يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية وتنحصر في المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

ب- مصالح خاصة : وهي التي يحتاج إليها الناس في رفع الحرج عنهم ، بحيث إذا فقدت لا يختل نظام الحياة ولكن يفوت رفع الحرج ، فرفع الحرج

---

(١) ابن رجب الحنبلي . فضل علم السلف على الخلف ص ٨٥ . تحقيق مروان العطية . ط١ - بيروت : ١٤٠٩ هـ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه باب اجتناب البدع والجدل ج ١ ، ص ١٧ ، حديث رقم ٤٨ . أحمد في المسند ٥ / ٢٥٢- ٢٥٦ .

(٣) ابن رجب الحنبلي . فضل علم السلف على الخلف . ص ٨٦ . مرجع سابق .

مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعي دل على اعتبارها .

ج- مصالح تحسينية : وهي التي لم يقصد بها المحافظة على الحياة الدنيوية ولا رفع الحرج ، وإنما يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات .

٢- مصالح ملغاة : وهي التي قام الدليل على إلغائها ، مثل انتحار المريض .

٣- مصالح مرسلة : وهي التي لم يقم دليل من الشرع على اعتبارها أو إلغائها وسميت هذه المصالح مرسلة لأنها مطلقة عن دليل اعتبارها أو إلغائها ، ومثالها جمع القرآن ، وعمل عثمان ﷺ من توريث الزوجة التي طلقها زوجها وهو في مرض الموت للفرار من إرثها)) [١] .

وقال شيخ الإسلام عن المصالح المرسلة : ((وهو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة ، وليس في الشرع ما ينفيه ، فهذا الطريق فيه خلاف مشهور ، فالفقهاء يسمونها " المصالح المرسلة " ومنهم من يسميها " الرأي " وبعضهم يقرب إليها الاستحسان ، وبعض الناس يخص المصالح المرسلة بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان ، وليس كذلك بل المصالح المرسلة في جلب المنافع وفي دفع المضار ، وما ذكروه من دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين ، وجلب المنفعة يكون في الدنيا ، وفي الدين ، ففي الدنيا كالمعاملات ، والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق من غير حظر شرعي)) [٢] .

وذكر البريسي ثلاثة شروط للمصلحة المرسلة وهي :

١- لابد أن يتحقق من بناء التشريع على المصلحة المرسلة جلب مصلحة أو

---

(١) محمد زكريا البرديسي . أصول الفقه . ص ٣٢٥ - ٣٢٨ باختصار .

(٢) الفتاوى . ج ١١ . ص ٣٤٣ .

درء مفسدة .

٢- أن تكون المصلحة التي يشرع الحكم من أجلها كلية لا جزئية ، فلا بد أن يشمل أكبر عدد من الناس تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر .

٣- ألا يعارض التشريع الذي روعيت فيه المصلحة حكماً أفيد أثبت بالنص أو بالإجماع [١] .

ويعني معيار المصلحة دراسة الأمر المقتبس من ناحية منافعه ومن ناحية مضاره المحتملة ، وترتيبه في سلم الأولويات فقد يكون في الأمر المقتبس نفع لكن هناك أشياء أهم منه وفي الأخذ به تفوت مصلحة أهم .

والتابع للغرب فكرياً لا يفقه المصلحة ولا يدرك حقيقتها عقله المريض ، من حيث أنه اعتبر أن في متابعة الغرب والإقتداء به في كل أحواله مصلحة لقومه ودائماً نجد مثل تلك الطائفة تتعجل في نقل النظريات أو الآراء إذا ظنوا أنها صائبة ، دون النظر إلى عواقبها وهل للمسلمين مصلحة فيها ؟ وهل الأخذ بها يفوت مصلحة أهم ؟

والمقتبس الحر الواعي ينظر إلى الاقتباس بحذر ، ويتجلى عنده أبعاد المصلحة وضوابطها الشرعية ، ويفحص بعين الناقد منافعها المحتملة ، وجوانبها السلبية وينظر في ترتيبها في سلم الأولويات [٢] .

وينظر أيضاً في إمكانيات أمته المالية ، والفنية وهل لديها القدرة على تنفيذ تلك الفكرة المقتبسة أم أن ذلك ضرب من الخيال ؟ فهو يوازن بين الإمكانيات والقدرات ، وبين الأفكار المطروحة في ساحة الاقتباس ، ومن

---

(١) محمد زكريا البرديسي . أصول الفقه . ص ٣٣٢ .

(٢) للدكتور يوسف القرضاوي كتاب عنوانه (في فقه الأولويات) وهو نافع في بابه . ط١ - القاهرة : نشر مكتبة وهبة ، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م .

تبصر في أحوال بعض الدول الإسلامية رأى اضطراب هذا المفهوم في عقول القائمين على أمور الاقتباس ، فنجد أنهم يقتبسون الكماليات قبل الأساسيات فنجد كثرة الاقتباس في الآداب والفنون الغربية ، وقلته في العلوم الطبيعية والتطبيقية والاهتمام بالملاعب الرياضية وصرف الأموال الطائلة عليها ، وإهمال الصناعات بمختلف أنواعها ، أن التابع للغرب فكرياً من سماته عدم إدراكه لمفهوم المصلحة ، وعدم ربطه بين ما يمكن اقتباسه ومالا يمكن اقتباسه بمصلحة الأمة .

خلاصة

التفاعل الحضاري مشروع في الإسلام بضوابط منها مايخص المتصدي لتلك الوظيفة وهما ضابطان :

الأول : الرسوخ في العلم الشرعي ، **والضابط الثاني** : معرفة جذور الفكر الغربي والضوابط الأخرى تخص الأمر المُقْتَبس ، وهي تتمثل في أربعة معايير :

الأول : معيار العقيدة ، بعرض الأمر المُقْتَبس على الكتاب والسنة ، وينظر فيه فإن كان هذا الأمر يخالف ما أمرنا الله به أو ما نهانا عنه أو ما أخبرنا به فلا ينظر إليه .

الثاني : هوية الأمة ، فإن كان الامر المُقْتَبس يهدد هوية الأمة فلا يؤخذ به .

الثالث : معيار الحجة والبرهان ، نفحص براهين الأمر المُقْتَبسْ وينظر في صحتها ، فإن كانت خاطئة فلا يؤخذ به .

الرابع : معيار المصلحة ، فإن كان يحقق مصلحة الأمة فيمكن حينئذ اقتباسه وإلا فلا يقتبس .

وبهذه المعايير يمكننا الحكم ، هل هذا الاقتباس أنه اقتباسٌ محمود ؟ أم أنه تبعية فكرية مذمومة .

الفصل الثالث

أصول التربية بين التبعية والأصالة

المبحث الأول : مفهوم أصول التربية

المبحث الثاني : مخطط إرشادي لما تكون عليه " أصول التربية الإسلامية "

١- الأصول العامة للتربية

٢- أصول الفقه التربوي

المبحث الثالث : دراسة نقدية لكتاب محمد منير موسى " أصول التربية الثقافية والفلسفية "

أولاً : تعريف بالمؤلف .

ثانياً : ملخص الكتاب

ثالثاً : نقد بعض الأفكار الواردة في الكتاب .

١- مفهوم تطور التربية

٢- التطبيع الإجتماعي

٣- الأخلاق والقيم وتغيرها

٤- الفطرة

٥- الولاء والبراء و (نسبية الأخلاق والقيم)

٦- الأصول الفلسفية

٧- مصادر المعرفة

٨- الطبيعة الإنسانية

خلاصة

المبحث الأول : مفهوم أصول التربية

الأصول في اللغة :

الأصل في اللغة : قال ابن منظور : ((الأصل أسفل كل شيء ، واستأصله قلعه من أصله ، وأصَّل الشيء : قتله علماً فعرف أصله)) [1] . وفي المعجم الوسيط : ((أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ، وأصول العلوم هي قواعدها التي تبنى عليها الأحكام والنسبة إليها أصولي)) [2] ، ومنها أصول الفقه : وهي العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية [3] .

أصول التربية :

لم يعرف هذا المصطلح في كتابات المسلمين في القرون السابقة ، وإنما شاع في القرن الهجري المنصرم بعد موجة الغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين إذ تبنت بعض الحكومات الإسلامية الفكر التربوي الغربي ، سواء في نظام التعليم أم في أهدافه ، أم في علومه الوافدة ، حيث تُرجمت تلك العلوم وقرر تدريسها في معاهد المعلمين ، والجامعات ، ونحوها .

ومن ضمن تلك العلوم الوافدة ، مادة أصول التربية ، وتسمى تارة أصول التربية ، وتارة أسس التربية .

يقول إبراهيم الناصر في كتابه (أسس التربية) : ((إن دراسة أسس التربية أو أصول التربية تعني دراسة " المسلمات " و" الفرضيات " و " النظريات "

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ج ١ ص ٨٩ .

(٢) المعجم الوسيط . إعداد مجمع اللغة العربية . القاهرة . ج ١ . ص ٢٠ . ط ٢ -١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م.

(٣) عبد الوهاب خلاف .علم أصول الفقه . ص١٢ .ط١٤. الكويت : دار القلم ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

والقواعد التي تؤثر بالممارسات التربوية وتطورها ، منها الأسس أو الأصول التاريخية ، والنفسية ، والتعليمية والإجتماعية والإقتصادية ، والثقافية ، والدينية ، والبيئية [١] .

ويقول أحمد الفنيش عن أصول التربية : ((تقوم على دراسة الأسس التاريخية ، والفلسفية ، والإجتماعية ، والنفسية للتربية وتعرض إلى مناقشة القضايا التي تتعلق بالكون والإنسان والحياة ، والهدف الذي تسعى إليه إعطاء الدارسين تصورات تكاملية شاملة لمجال التربية)) [٢] .

ويقول محمد جميل خياط : ((ويقصد بأسس التربية : المرتكزات والدعامات التي تقوم عليها التربية ، ونشتق منها كالأسس النفسية ، والأسس الإجتماعية ، والأسس الفلسفية ، والأسس الثقافية . هذا التصنيف يستخدم في التربية عامة وهو مشتق من النظرة الغربية أساساً)) [٣] .

ودخلت أصول التربية بهذا المفهوم إلى بلاد المسلمين فأصبحت مباحثها الأساسية ، علاقة علم النفس ، وعلم الإجتماع ، والفلسفة والتاريخ بالتربية باعتبار أن تلك العلوم هي الأسس التي تقوم عليها النظرية التربوية ، وتستنبط منها أهداف التربية ، بل تصبح بمثابة مصادر تستقي منها التربية الآراء والتوجيهات ، والإرشادات والمقاصد .

وهذه النظرة إلى التربية وعلاقتها بالعلوم الأخرى هي ثمرة للعلمانية [٤] إذ

---

(١) إبراهيم ناصر . أسس التربية . ص ٧ . ط ٢ – دار عمار ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م .

(٢) أحمد علي الفنيش . أصول التربية ص ٥ . ط ١ – ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٢ م =١٤٠٣هـ .

(٣) محمد جميل خياط . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . ص ٢٣ . ط ١ – مركز البحوث التربوية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م .

(٤) لمزيد من التوسع عن العلمانية ، على سبيل المثال ارجع إلى :

=

أنه منذ أن أقصى الغرب الدين عن الحياة قام مفكروه من فلاسفة ، ومؤرخين وعلماء اجتماع وعلماء نفس ، وعلماء اقتصاد ونحوهم باستحداث نظريات تفسر الظواهر الإجتماعية بعيداً عن الدين ، كلٌ حسب تخصصه ومجاله ، ومن ثم محاولة بناء نظم اجتماعية بعيداً عن سلطان الكنيسة ، فأصبحت "التربية " تأخذ إرشادات وتوجيهات أولئك المفكرين بدلاً من أن تأخذ ارشادات وتوجيهات رجال الدين عندهم . يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله في استعراض لتاريخ الفكر الغربي : ((إن الفلسفة والعلوم التجريبية اللتين نشأت في أحضانهما المدنية الغربية ما زال اتجاههما إلى الدهرية ، والإباحية والإلحاد ، وحب المادة منذ خمسة قرون أو ستة قرون ، لذلك ما أن ظهرت هذه المدنية إلى حيز الوجود حتى قامت تعارض الدين وتخاصمه ... ، ولما ظهرت" الحركة العلمية الجديدة " في أوروبا على عهد النهضة الجديدة وقع عراك شديد بينها ، وبين القسس النصارى الذين كانوا قد بنوا عقائدهم الدينية على أسس الفلسفة اليونانية القديمة ، وكانوا يزعمون أنه إن جاء التحقيق العلمي والإجتهاد الفكري الجديد يصطدم بتلك الأسس ويهدم ركناً من أركانها فإن الدين بنفسه سينهدم . فهذا الزعم الخاطئ جعلهم يخالفون الحركة العلمية الجديدة ، ويستخدمون القوة والعنف لمنعها والصد عنها ، فأقيمت محاكم التفتيش لمحاكمة القائمين بتلك الحركة ، فعوقبوا أشد العقوبات . ولكن هذه الحركة بقيت تقوى وتنمو على رغم أنف الشدة

١- سفر الحوالي . العلمانية . ط ١ ، دون تاريخ .

٢- عماد الدين خليل . تهافت العلمانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

٣- محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة . ط ٧ - القاهرة : دار الشروق ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

والقهر إلى أن طغى سيل الحركة الفكرية في البلاد وذهب تياره بالسلطة الدينية)) [1] ، ومنذ ذلك الزمن ظهرت ((العلمانية)) والتي تعني إقصاء الدين عن الحياة الإجتماعية ، فظهرت طائفة من المفكرين يبنون نظريات في علم الإجتماع والأخلاق ، ومجمل نظرياتهم تعتمد على ركائز ثلاث :

الأولى : الإلحاد ، ومادية الحياة .

الثانية : حيوانية الإنسان .

الثالثة : أن الدين والأخلاق من صنع الإنسان وهما متغيران ، فأصبحت التربية تعتمد على تلك النظرة الإلحادية [2] ، فأصبح علماء الإجتماع يمدون التربويين بإرشاداتهم عن الأخلاق والدين ، ويرون أنهما من صنع الإنسان ، وأصبح الفلاسفة يمدونهم بمعنى الحياة ، وأنها مادة ليس إلا ، وأصبح علماء النفس يفسرون لهم سلوك الإنسان باعتباره حيواناً يشبه الحيوانات في غرائزه وأصل نشأته ، ومن ثم أصبحت أصول التربية تعتمد على تزويد الطالب بتلك المعلومات والمعارف ليبني آرائه التربوية عليها ، والمتبصر في نظرياتهم يجد " تناقضها واضطرابها وتغيرها المستمر " ، مما جعل مادة أصول التربية تستعرض المدارس المختلفة في تلك العلوم ، وتجعل الدارس في حيرة من أمره ، ولكن تلك النظريات في مجملها لاتخرج عن الركائز الأساسية التي سبق الإشارة إليها وهي حيوانية الإنسان ، ومادية الحياة ، وأن الدين والأخلاق من صنع الإنسان .

والتربية الإسلامية تسير في اتجاه مخالف ومضاد لما عليه الغرب فمقصدها

(١) أبو الأعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية . ص ١٥ .

(٢) انظر : سفر عبد الرحمن الحوالي . العلمانية . بدون تاريخ ، ص ١٨٦ وما بعدها .

الرئيس هو ((تحقيق العبودية لله العبودية الكاملة في حياة الإنسان الإجتماعية والفردية)) [1] ، وهذا المقصد هو غاية الأديان السماوية جميعاً قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [3] .

فالمقصد الرئيس للتربية الإسلامية تحقيق العبودية لله في العقيدة ، وفي الشريعة ، وفي الأخلاق الباطنة والظاهرة .

والعبادة : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . [4]

فيلزم العبد أن يتعلم ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ليعمل بها ، ويتعلم أيضاً ما لا يحبه الله من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ليجتنبها . حتى يحقق الغاية من خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [5] ، وبهذا تكون وظيفة التربية الإسلامية تعليم الناس بما يحبه الله ويرضاه ليلتزموا به ويعملوا به ، وتربيتهم وتهذيب سلوكهم

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي . أصول التربية الإسلامية . ص ٩٨ ، ط١ . دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(٢) سورة الأنبياء . آية (٢٥) .

(٣) سورة إبراهيم . آية (١) .

(٤) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . خمس رسائل . ص ٦٢٥ .

(٥) سورة الذاريات . آية (٥٦) .

على ذلك ، وهذا هو الصراط المستقيم ، قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، وهذا هو الفرق الرئيس بين التربية الإسلامية وسواها من التربيات الأخرى . تربية تسعى لصهر العبد في بوتقة العبودية لله ليكون عبداً لله وحده ، أسلم وجهه لله ، لا يعمل شيئاً في هذه الدنيا إلا وهو يسعى لرضى ربه ، مخلصاً لله ، لايبتغي من الناس أجراً وثناءً ، قد اعتبر هذه الدنيا مرحلة ابتلاء وعمل ، وأنه سيأتي بعدها الآخرة حيث الموازين والحساب ، ومن ثم الجنة أوالنار ، مستحضراً عظمة ربه والخوف منه ، متمسكاً بدينه ، قد أخبت قلبه لله .

وعلى النقيض من ذلك التربيات الغربية التي تكفر بالله وترى أن الحياة مادة فقط ((لاوزن فيها لنبوة أو وحي وإلهام ، ولا تصور فيها لحياة أخرى بعد الموت ، ولا خوف من المحاسبة على أعمال الحياة الدنيا كما لاوجود فيها لمسؤولية ملقاة على الإنسان ، ولا إمكان فيها لمقصد أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الإنسان . هذه حضارة مادية تماماً يخلو نظامها من كل ما تقوم عليه حضارة الإسلام من خشية الله ، واتباع القصد ، وحب الصدق وطلب الحق وطهارة الأخلاق ، والنزاهة والأمانة ، والبر والحياء والتقوى والنظافة . ونظريتها على النقيض من نظرية الإسلام وطريقها واسع

(١) سورة الفاتحة . الآيات (٦-٧) .

(٢) سورة الملك . آية (٢٢) .

في الجهة المعاكسة لطريق الإسلام ، فكل ما يبني عليه الإسلام نظام الأخلاق الإنسانية و التمدن ، تكاد هذه الحضارة أن تأتي عليه من القواعد . فكأن الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في وجهتين متعاكستين فمن ركب إحداهما هجر الأخرى ولابد)) [1] .

وإذا تقرر أن غاية التربية الإسلامية تُغاير غاية التربية الغربية ، لابد أن تكون أصول التربية عند المسلمين مغايرة لما عند الأمم الغربية ، ويرى بشير التوم ((أن مادة الأصول الإسلامية للتربية الأساس والمنطلق الذي تنطلق منه جميع الدراسات التربوية النظرية منها والتجريبية ، وهي عبارة عن عرض للمبادئ والمفاهيم التربوية المستمدة من القرآن والسنة ، وشرح لها)) [2] ، ويرى الخياط ((أن أصول التربية الإسلامية هي القواعد العامة التي تبنى عليها نظرية التربية الإسلامية المستمدة أساساً من الكتاب والسنة)) [3] .

وإذا أردنا أن نضع قواعد أو خطوطاً ارشادية لهذه المادة ((أصول التربية)) من أجل أن تحقق هدفها ، فلا بد لنا أن نعرض لمدى الحاجة لهذه المادة ، وماذا ستكون صفتها حتى تحقق الغاية منها .

سبق أن استعرضنا معنى كلمة ((الأصول)) وأن أصول أي علم تعني قواعده التي يبنى عليها ذلك العلم ، وقد استخدم المسلمون ذلك المصطلح في شتى الفنون وأشهرها " أصول الفقه " ، ولكنهم لم يتكلموا عن أصول التربية أو أصول التعلم ، أو أصول التأديب ، لكنهم تحدثوا عن جوانب كثيرة من

(١) أبو الأعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية . ص ٢٣-٢٤ .

(٢) بشير حاج التوم . تأصيل تربية المعلم . ص٣٤ .

(٣) محمد جميل خياط . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . ص٢٧ .

عين التربية ، مثل آداب المعلم والمتعلم ، وأنواع العلوم من ناحية فرضيتها فرض عين أو فرض كفاية ، وتحدثوا عن المحتوى الدراسي ، وعن المقررات الدراسية ، وعن طرق التأديب ، وأحكامها الفقهية ونحو ذلك ، لكنهم لم يصنفوا كتاباً يبحث في " القواعد التي تبنى عليها العلوم التربوية " ، لأنهم رأوا أن ذلك عائد في الأصل إلى مقاصد الشريعة التي هي مقاصد التربية .

والمتبصر في حركة العلوم الشرعية ، والتربوية التي هي أصلاً جزء من العلوم الشرعية ، يرى أنه حدث انقسام مهم في تاريخ حركة العلوم ، وذلك عندما برزت ظاهرة التخصصات وتقسيم العلم الشرعي إلى عدة أقسام ، وأصبح كل قسم له ميدان ومباحث وأصول ، وعلماء مشتهرين فيه، فأصبح الفقه يقتصر على الأحكام الشرعية العملية [1] ، وأخرج منه الأخلاق والآداب ، والعقائد ، والفتن والملاحم وأشراط الساعة ، والفضائل والسيرة . بينما استقلت " العقيدة " بمباحث الإيمان وأركانه ، والتوحيد وأقسامه ، وقضايا العقيدة ، وإبراز المسائل التي خالفت فيها الفرق الأخرى أهل السنة والجماعة بينما استقل " التصوف " بعلم الأخلاق وتهذيب النفس ، والكلام عن المحبة ، والرضى ، والتوكل ، والمحاسبة ، والشكر ، والصبر ، والزهد ، والإخلاص ، والمراقبة ، ونحو ذلك من آداب النفس الباطنة ، وبرعوا في الحديث عن مقامات الناس فيها ، وعن طريق الوصول إلى الله ، ودرجات الوصول من مريد وسالك ، ونحوها . كذلك تحدثوا عن أساليب تهذيب النفس واقترحوا برامج لتأهيل السالكين من الخلوة ، والذكر، والزهد

(١) انظر : محمد زكريا البرديسي . أصول الفقه . ص ٢٤ وما بعدها . ط ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ،، ١٩٨٥ م = ١٤٠٦هـ .

والإقتصاد في الأكل والشرب ، وملازمة الشيوخ ، وكذلك تحدثوا عن علامات الطريق من الفتوح والكرامات ، ونحوها . [1]

ولهذا أخذ التصوف بأكبر نصيب من ميدان التربية ، فالفقهاء إذا تحدثوا عن الصلاة مثلاً ، فهم يقتصرون في كلامهم على شروطها وأركانها وسننها وواجباتها ، وكل ذلك من أمورها الظاهرة ، لكنهم لا يتحدثون عن الخشوع وأسبابه ، والأمور المشغلة في الصلاة وكيفية معالجتها ، ولا عن أسرار الصلاة وآثارها على النفس ، والتصوف هو الذي يكمل هذا الجانب ، والتصوف أيضاً لايقصر ميدانه على " تزكية النفس " فقط ، بل يتجاوز ذلك إلى العقائد وإلى العبادات . ولكن التصوف كما هو معلوم أصيب بانحرفات خطيرة أبرزها انحرفات العقيدة ، وظهور طرق صوفية تحدث رؤوس أصحابها عن" الإتحاد والحلول "، وهذا كله كفر مخرج من الملة كما هو معلوم ، كذلك بنيت كثير من أفكارهم على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، ويتجاوزون ذلك إلى البدع الكثيرة التي أصبحت سمة من سماته المميزة ، مثل : الخرقة ، والأربعينية ، والسياحة في الأرض ، والخلوة ، والأذكار الموضوعة ، والكلام الغامض الذي لايخلو بعضه عن التصريح بالحلول ، ونحو ذلك .

وقد حاول بعض علماء السلف نزع " آداب الباطن والسلوك " من أيدي الصوفية ، ومعالجة ما شابها من أخطاء ، مثل جهود ابن القيم – رحمه الله –

(١) انظر : السهروردي .عبد القاهر البكري . عوارف المعارف . ملحق مع كتاب احياء علوم الدين ، ج٥ ، بيروت : دار الندوة ، بدون تاريخ .

في كتابه (مدارج السالكين) [1] وهو شرح وتصحيح لكتاب (منازل السائرين) لأبي اسماعيل الهروي الصوفي الحنبلي رحمه الله ، وكذلك لابن القيم كتاب آخر في هذا الباب (طريق الهجرتين) [2] ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وخاصة في المجلد الحادي عشر [3] .

وإذا ما تبصرنا في تراث القرون السالفة منذ القرن الخامس الهجري نجد أن " ميدان التربية الإسلامية " قد انقسم إلى تيارين مختلفين ، الفقهاء من ناحية ، والتصوف من ناحية أخرى ، فالفقهاء أهملوا الحديث عن آداب الباطن ، والسلوك ، وتقويم النفوس ، وتهذيبها ، والخصال الحسنة ، والخصال المذمومة والآداب الشرعية ، وركزوا أبحاثهم على العبادات من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وأضحية وعقيقة ، وجهاد ، وبيوع ، ونكاح وطلاق ومواريث ، وأحكام الصيد والجنايات ، والقصاص والدية والحدود ، ونحو ذلك ، وبحثوا كل ذلك بأسلوب علمي مميز ، يستند على بيان الشروط ، والأحكام ، والواجبات ، والسنن ، ونحوها كما هو معروف في كتبهم .

والفقه أكثر العلوم التي حظيت بنصيب من التأليف ، والتقعيد ، والتبويب والتفصيل ، والتدقيق ، وأكثر المبسوطات ، والشروح ، والمختصرات كانت من نصيب الفقه ، وكان طالب العلم لابد أن يحفظ مختصراً من مختصرات الفقه حسب مذهب أهل بلدته - كما هو معلوم - إذ أن ذلك من أهم عناصر المنهاج طوال تلك الفترة .

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . تحقيق محمد فقي . ط١ . نشر وتوزيع دار ، مصر بدون تاريخ .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين . تحقيق عمر أبو عمر . دار ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م .

(٣) ترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي . ط١ . بدون تاريخ .

وقد لايتسنى لطالب العلم تعلم الخصال الحسنة والمذمومة من الأخلاق والآداب الشرعية ، وأمراض القلوب من حسد وكبر ورياء ونحو ذلك ، وإنما أصبح ذلك من " علوم التصوف " ، فهي التي تعلم الطالب الخشوع ، والزهد والصبر ، والحياء ، والإخلاص ، ونحو ذلك .

و" التصوف " كما سبق أن أشرنا تلوث بالبدع وفساد المنهج ، ولذلك لم تحظ الأخلاق المحمودة والمذمومة بذلك التحقيق والتدقيق الذي حظي به الفقه فلم تنتشر مبسوطات ومطولات ومختصرات في هذا الميدان إلا في القليل ولم تكن أحد عناصر المنهاج ، وهذا من صميم ميدان التربية الإسلامية .

لقد تنبه أبو حامد الغزالي لهذا الإنقسام في ميدان العلوم الشرعية ، فألف كتابه (إحياء علوم الدين) ليسد تلك الثغرة ويربط بين العقائد ، والفقه ، والأخلاق في مصنف واحد ، حتى يستطيع طالب العلم أن يجمع بين العلوم الشرعية بتوازن وشمول ، فإذا ما تحدث عن الصلاة ذكر ما ذكره الفقهاء من شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ، ومن ثم أضاف آدابها ، وكيفية الخشوع ، ومعنى الإخلاص فيها ، والأذكار الشرعية بعدها ، وكيفية طرد الوساوس والمشغلات عن الخشوع ، وهكذا عرض كتابه في أسلوب تربوي ، مغاير لإسلوب الفقهاء ، ولكن أبا حامد الغزالي رحمه الله -كما هو معلوم- تأثر بالفكر الفلسفي ، والفكر الصوفي ، والباطني ، مما أثر على كتابه وجعل فيه من الأخطاء الكثيرة التي أضعفت من قيمة كتابه ، خاصة في باب العقائد وكما تضمن أيضاً أحاديث ضعيفة بل موضوعة كثيرة ، ولو قيض له من ينقحه من تلك الأخطاء ويضيف إليه ما نقص من الأبواب لكان مرجعاً من أهم مراجع التربية الإسلامية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتاب إحياء علوم الدين : ((وأما ما في

الإحياء من الكلام في ((المهلكات)) مثل الكلام عن الكبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ، ونحو ذلك فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في " الرعاية " ، ومنه ماهو مقبول ، ومنه ماهو مردود ، ومنه ماهو متنازع فيه

والإحياء فيه فوائد كثيرة ، لكن فيه مواد مذمومة فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين ، وقد أنكر أئمة الدين على " أبي حامد " هذا في كتبه وقالوا مرضه " الشفاء " يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة ، وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ماهو موافق للكتاب والسنة ماهو أكثر مما يرد منه ، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه)) [1] .

وهذا الإنقسام بين الفقه والأخلاق والعقائد ، مع بروز ظاهرة التخصص المبكر جعل طالب العلم قد يجهل جوانب مهمة في ميدان التربية الإسلامية ، مما يترتب عليه نقص حاد في تربية الطالب تربية إسلامية ، والتربية الإسلامية كما سبق ان أشرنا غايتها تحقيق العبادة لله ، وبذلك تصبح العلوم الشرعية بكافة فروعها من علوم التربية الإسلامية ، فتلاوة القرآن ، وتعلمه ، وتدبر معانيه وتعلم تفسيره من التربية ، وقراءة الحديث وتفهم معانيه من التربية ، وتعلم الأحكام الشرعية العملية المتمثلة في الفقه من التربية ، وتعلم الأخلاق الحسنة والتحلي بها ، والتعرف على الخصال المذمومة واجتنابها من التربية ،

(١) الفتاوى ج ١٠ ، ص ٥٥٣ .

والتفقه في أمراض القلوب من كبر ، وغرور ، وحسد ونحوه لاجتنابها من التربية ، والتعرف على العقيدة الإسلامية من الإيمان وأركانه ، والتوحيد وأنواعه ، والشرك وأنواعه ، وتربية الطالب على تعبد الله بأسمائه وصفاته من التربية ، والإطلاع على سيرة الرسول محمد ﷺ والتعرف على شمائله ، وأخباره وغزواته ونحوها من التربية . وكذلك سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين والتأسي بسيرهم من التربية . فالتربية تشمل بذلك " جميع التخصصات الشرعية " ، فإذا ما تقرر ذلك لدنيا فكيف لنا أن نضع أصولاً للتربية وميدانها واسع جداً ، وشعبها كثيرة ؟

وإذا كانت أصول التربية تعني : مجموعة القواعد التي يبنى عليها علوم تربوية فكيف يمكن صياغة تلك القواعد ؟

إن الإهتداء إلى" تقعيدٍ " لأصول التربية الإسلامية بحيث تصاغ على هيئة قواعد لها براهينها ، ويمكن أن يبنى عليها علوم تربوية ، ويتعلمها طلبة الإعداد التربوي فهذا شيء حسن ، كما فعل من قبل العلماء عندما استحدثوا أصول الفقه ، ولم يُنْكَرْ عليهم بل من قام بهذا العمل كان من الأئمة المقتدى بهم مثل الإمام الشافعي رحمه الله . قال ابن خلدون : ((واعلم أن هذا الفن " أصول الفقه " من الفنون المستحدثة في الملة ، وكان السلف في غنية عنه بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لايحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية ، وأما " القوانين " التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصاً فمنهم أُخِذَ معظمها ، وأما " الأسانيد " فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بها . فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول انقلبت العلوم كلها " صناعة " كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد

لاستفادة الأحكام من الأدلة ، فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه " أصول الفقه " وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله عنه)) [1] .

وفي عصرنا الراهن مع إشراقة الصحوة الإسلامية ، وبروز ظاهرة العودة إلى الكتاب والسنة ، في شتى مناحي الحياة ، والدعوة إلى تأصيل التربية ، وتصحيح المفاهيم ، تصبح الحاجة إلى تقعيد أصول للتربية ضرورة ، وخاصة أن كثيراً من العاملين في ميدان التربية " تنقصهم الثقافة الشرعية " ، فتكون تلك المادة لبيان قواعد التربية الإسلامية ، ومقاصدها وضوابط الإجتهاد التربوي ، من أجل توجيه العلوم التربوية وجهة إسلامية ، فتكون أصول التربية في التصور الإسلامي بمثابة " قواعد شرعية توجه المجتهد في مجال التربية حتى يكون اجتهاده وفق المنهج الشرعي في الإستنباط " ، ومن ثم تكون ثمرة اجتهاده ملائمة لمقاصد الشريعة الإسلامية ، **ومن هنا تختلف** أصول التربية بين التصور الإسلامي والتصور الغربي ، إذ أن التصور الغربي لها أنها تعتمد على نظريات علم الإجتماع ، وعلم النفس ، والفلسفة بالإضافة إلى الأسس الأخرى مثل الإقتصاد والسياسة والإدارة والتاريخ ، والتصور الإسلامي لها أنها " تعتمد على القرآن والسنة وما تضمناه من قواعد تربوية " .

وعلم النفس الإسلامي ، وعلم الإجتماع الإسلامي قد يمدان أصول التربية الإسلامية ببعض القواعد ، لكن قواعدهما في الأصل مستنبطة من القرآن والسنة ، وأصول التربية مستنبطة أيضاً قواعدها من القرآن والسنة ، فأصبح مصدر الجميع القرآن والسنة ، ومقصد تلك العلوم جميعاً تحقيق العبودية لله ، وبهذا يعتبر علم النفس ، وعلم الإجتماع تابعين للتربية الإسلامية ، وليست

(١) المقدمة . ص ٤٥٥ . ط ٤ - بيروت : دار القلم ١٩٨١ م = ١٤٠٢ هـ .

التربية الإسلامية تابعة لهما ، وهذا هو الفارق الرئيس بين أصول التربية الإسلامية ، وأصول التربية غير الإسلامية . ولهذا نجد أن جهود السلف الصالح ﷺ تركزت على بيان العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، وتربية الناس على ذلك ، ولم يركزوا جهودهم في مضمار علم الإجتماع ، وعلم النفس إلا بالقدر الذي يحقق أهداف التربية الإسلامية .

والخلاف الثاني بين أصول التربية الإسلامية وأصول التربية الغربية : أن أصول التربية الغربية تعتمد أيضاً على الفلسفة ، بينما المسلمون لم يعتمدوا على الفلسفة بل اعتبروها من العلوم التي تجر إلى الزندقة والإلحاد لأن الفلسفة قرينة بالإلحاد ، ويخطئ بعض الباحثين من المسلمين الذين يرون أنه يمكن إحداث فلسفة إسلامية ومن ثم فلسفة تربوية إسلامية تساهم في بناء التربية ، ((والفلسفة كما هو معلوم تغيرت وظائفها على مر الأزمنة ، إبتداءً من المدرسة الملطية التي كان يتزعمها طاليس في القرن السادس قبل الميلاد عندما كانت الفلسفة تبحث في أصل الكون وطبيعة الأشياء ، ومن ثم في عهد سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت وسيلة للدفاع عن المعتقدات في الدين والأخلاق ووسيلة لدحض آراء الخصوم ، ثم جاء أفلاطون واتخذ الفلسفة مصدراً لعقيدة ضمنها كتابه " الجمهورية " فيها تصور للكون والإنسان والأخلاق والتربية ، ثم جاء أرسطو الذي فهم الفلسفة أنها تبحث في جميع العلوم ، فبحث عن طريقها في شتى المعارف ، وأصبحت الفلسفة عنده مجموعة من المعتقدات توجه الناس ، وتنظم حياتهم ، ثم تغيرت عندما وصلت إلى المسلمين ، فتأثر الفلاسفة المسلمون بالفكر اليوناني والفكر الإسلامي ، وحاولوا التوفيق بينهما ، ومن ثم في عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي (القرن العاشر الهجري) ظهرت الفلسفة التجريبية

على يد " لوك " وبعده " هيوم " في القرن الثامن عشر ، ورفضت تلك المدرسة كل معرفة لم تقم على الحس والتجربة واتخذت الفلسفة طابعاً تجريبياً وفي بداية القرن العشرين تأثر فلاسفة " الوضعية المنطقية " بالنزعة التجريبية واهتموا بعلم المعاني وتحليل اللغة ، وذلك لإبعاد المعرفة الميتافيزيقية عن مجال المعرفة)) [1] .

نلاحظ من استعراضنا السابق لتاريخ الفلسفة أنها متغيرة وليس لها ميدان محدد تبحث فيه ، كما أن معاني الفلسفة متنوعة ومختلفة حسب نظرة كل فيلسوف ، وكذلك ارتباطها بالتربية مختلفة باختلاف المدارس الفلسفية المتنوعة)) [2] .

وعلماء السلف كان لهم موقف من الفلسفة ومن العلوم المتفرعة منها مثل المنطق ، حيث وقفوا منها موقف المواجهة باعتبار أن الدين الإسلامي ليس في حاجة إليها ، وكذلك لما تسببه من إثارة لشبهات وفتح باب للزندقة ، وارتبط فلاسفة المسلمين بالزندقة : مثل ابن سينا ، والفارابي ، وإخوان الصفاء وغيرهم حيث تأثروا بالفكر الفلسفي اليوناني ، وما أثاره من شبهات لوثت عقائدهم [3] ، قال ابن القيم رحمه الله : ((وقد صار هذا الإسم ((الفلاسفة)) في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء

---

(١) باختصار عن : بشير حاج التوم . ما هي فلسفة التربية . ط١ ، ص٣-٧ - مكة المكرمة : مكتبة الوطن ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

(٢) انظر لمزيد من التوسع : حمدان الصوفي . مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية . رسالة دكتوراه ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م . جامعة أم القرى . غير مطبوعة . من ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٣) انظر لمزيد من التوسع : ابن تيمية . الفتاوى ، مجلد (٢-٤-٧-٩-١٢-١٧-١٨) . كذلك : ابن القيم . إغاثة اللهفان . ج٢ .

ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه)) [1] ، وقال ابن الصلاح (ت ٦٤٣) رحمه الله : ((الفلسفة أس السفه والإنحلال ، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان ، ولقد تمت الشريعة وعلومها ، وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ، ولافلاسفة ، ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به)) [2] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((ليس الفلاسفة من المسلمين ، كما قالوا لبعض أعيان القضاة الذين كانوا في زماننا : ابن سينا من فلاسفة الإسلام ، فقال : ليس للإسلام فلاسفة)) [3] ، ولو أردنا تقصي موقف علماء السلف عن الفلسفة لاحتمل ذلك مجلدات ، ولم أعثر لأي عالم من علماء السلف الصالح ثناءً على الفلسفة .

ولكن بعض الباحثين يرى أن تصبح الفلسفة شبيهة بالفقه من حيث أنها فقه تربوي ((تستهدف توضيح المقاصد والغايات النهائية للتربية ، وتوضيح طرق البحث والتربية الموصلة إلى هذه المقاصد ، وتوضيح المعايير التي يحكم بها على هذه القضايا كلها بها على هذه القضايا كلها)) [4] .

---

(١) ابن القيم . اغاثة اللهفان . تحقيق محمد حامد الفقي . ج٢ ، ص ٣٥٧ . ط١- دار الفكر ، بدون تاريخ

(٢) فتاوى ابن الصلاح . مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية . ج ٢، ص ٣٠٥ .

(٣) الفتاوى . ج٩ ، ص١٨٦ .

(٤) ماجد عرسان الكيلاني . فلسفة التربية الإسلامية . سلسلة أصول التربية الإسلامية . ص ٧٣ ، ط ٢ مكة المكرمة : مكتبة هادي . - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م .

لكن مثل هؤلاء الباحثين لايرون بأساً باستخدام مصطلح " الفلسفة " ما دام أنها تشبه " الفقه " من حيث أنها تقوم بتوضيح المقاصد وبيان الحجة ، لكن مصطلح " الفلسفة " لا داعي له لما يتضمنه من غموض في معناه ، كما أنه وافد إلى المسلمين ، والمسلمون عندهم " الفقه " وله ضوابطه الشرعية ، فيمكن الإستغناء عن مصطلح الفلسفة ، واستخدام مصطلح " الفقه التربوي" مع بيان الضوابط اللازمة لهذا الفقه حتى يكون شرعياً ، يقول فاروق الدسوقي : ((ومن ثم لايجوز للباحث استخدام مصطلحات في مجال الدراسات الإنسانية واردة من مصطلحات العلوم الإنسانية الغربية لأن المصطلحات الغربية تحمل بالضرورة معاني نابعة من العقيدة المادية الإلحادية الغربية التي أسس علماء الغرب ومفكروه دراساتهم عليها ، ولا يقال في هذا الموضوع : لاغضاضة في المصطلحات ، لأن قبول المصطلح الغربي يعني الموافقة عليه وعلى أصوله الإعتقادية وأسسه الفلسفية وصيغته الثقافية ، ويستحيل أن يتخلص أي مصطلح من هذا كله ، ومن ثم يجب أن تكون الأسماء والمصطلحات " قرآنية " خالصة وبخاصة في مجال الدراسات الإنسانية لأن الإنسان موضوع رئيسي من موضوعات العقيدة في الإسلام)) [1] .

ويتضح مما سبق أن أصول التربية الإسلامية تغاير أصول التربية الغربية من حيث المصدر ، ومن حيث الغاية ، ولهذا لايجوز أن تدرس أصول التربية الغربية في البلاد الإسلامية ، ولا بد للمسلمين استحداث البديل الملائم لهذه المادة ، ويمكننا أن نضع خططاً ارشادية لما ستكون عليه المادة ، فهناك

(١) فاروق أحمد الدسوقي . الأصول الإعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام . ص ٣٠٩ ، ط ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م .

ناحيتان في أصول التربية :

الجانب الأول : الأصول العامة للتربية الإسلامية .

الجانب الثاني : قواعد الفقه التربوي .

المبحث الثاني : مخطط إرشادي لما تكون عليه مادة أصول التربية الإسلامية

الجانب الأول : الأصول العامة للتربية الإسلامية :

فهناك أصول عامة مثل الأصول العقدية ، والتشريعية ، والأخلاقية ونحو ذلك .

وهناك أصول فرعية ، مثل : أصول التربية الاقتصادية ، أصول التربية العقلية أصول التربية السياسية ، أصول التربية الإجتماعية ، ونحوها .

الأصول العامة : تتمثل في :

الأصول العقدية للتربية :

وتشمل تلك الأصول العقيدة ، ومباحثها مثل : الإيمان وأركانه ، التوحيد وأنواعه ، والشرك وأنواعه ، والغيبيات التي أخبرنا الله بها في كتابه أو على لسان نبيه مثل اليوم الآخر بمافيه : الحشر ، والحوض ، والموازين ، والصراط ، وعذاب القبر ونعيمه ... ونحو ذلك ، وأي نظرية في التربية لابد أن يكون من مقاصدها الرئيسية تربية الفرد على تلك العقيدة .

الأصول التشريعية للتربية :

وتشمل تلك الأصول تربية الفرد على اتباع شرع الله في العبادات ، والمعاملات ، والجنايات ، ونحو ذلك من مباحث الفقه ، فيربى الفرد على تعلم تلك " الأحكام " ، كما بينها الفقهاء ، ويضاف إليها " الآداب " المرتبطة بأداء تلك العبادات ، وأيضاً يدخل فيها تعليم الفرد" الحقوق " الشرعية المختلفة مثل : حقوق الوالدين ، وحقوق الأبناء ، وحقوق الزوجة ،

وحقوق الأقارب ، وحقوق الجيران ، وحقوق المسلم ، ونحو ذلك بحيث أن يتعلم الأحكام الشرعية والحقوق المختلفة .

الأصول الأخلاقية للتربية :

وتشمل تلك الأصول نوعين من الأخلاق :

الأخلاق المحمودة التي يربى الفرد عليها مثل : الصبر ، والحياء ، والكرم ، والشجاعة ، والأمانة ، والتواضع ، والإحسان ، وغض البصر عن الحرام ، ونحو ذلك ، ويعلم الفرد " الحد الشرعي " في كل خلق ، ودليله وأثره على الفرد والمجتمع .

والأخلاق المذمومة مثل : الكذب ، والبخل ، والظلم ، والغيبة والنميمة ، ونحوها . فيربى الفرد على اجتنابها ومعرفة " دليل " تحريمها ، وخطورتها على الفرد والمجتمع .

الأخلاق الباطنة المحمودة ، ويربى الفرد عليها مثل : المحبة ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والزهد ، والتوكل ، والرضى ، والمحاسبة ، والفكر ، وذكر الموت ، والإخلاص ، والتوبة ، والقناعة ، ونحوها .

والأخلاق الباطنة المذمومة : ويربى الفرد على اجتنابها مثل : حب الجاه والشهرة ، وحب المدح ، والكبر والعجب ، الغرور ، والحرص ، والطمع ، والحسد ، والحقد ، ونحو ذلك .

الأصول الأدبية للتربية :

ويتعلم الفرد من خلالها على " الآداب " الشرعية في كافة شؤون حياته مثل : آداب الأكل والشرب ، واللبس ، والحديث ، وآداب الضيافة ، وآداب المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك .

ويعرف أيضاً مساوئ الأخلاق مثل : مخارم المروءة ونحوها ليجتنبها .

الجانب الثاني : فقه التربية (أصول الفقه التربوي)

وهذه المادة هي بمثابة قواعد شرعية توجه المجتهد في مجال التربية والتعليم ، من أجل أن يكون اجتهاده تم وفق الضوابط الشرعية في الإجتهاد ، فيتعلم من خلالها ما يلي :

نظرة الإسلام إلى العلم .

أساليب التعليم المستنبطة من القرآن والسنة .

وأساليب التعليم التي استحدثها السلف .

وتاريخ التعليم والتربية .

وقواعد التعليم والتربية ، مثل : مراعاة الفروق الفردية ، الترحيب بالمتعلم ، الرفق بالمتعلم ، ونحو ذلك .

مقاصد التربية الإسلامية .

مصادر التربية الإسلامية .

قواعد البحث التربوي .

نظرة الإسلام إلى الحياة .

نظرة الإسلام إلى الإنسان .

نظرة الإسلام إلى الكون .

التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية .

قواعد الفقه التربوي :

أصول الفقه والإجتهاد التربوي .

التفسير والإجتهاد التربوي .

علم الحديث (المصطلح) والإجتهاد التربوي .

ضوابط الإجتهاد التربوي .

نماذج من اجتهاد الفقهاء في مجال التربية :

ابن سحنون ، القابسي ، ابن تيمية .

وبهذا تكون أصول التربية الإسلامية ذات جانبين ، جانب يتضمن بيان الأصول العامة للتربية الإسلامية وجانب يتضمن أصول الفقه التربوي وهو مكمل للجانب الأول ، إذ أن الجانب الأول يتضمن " الأصول العامة " ، والجانب الثاني يتضمن " طريقة البحث " في تلك الأصول لاستنباط القواعد الفرعية لكل جانب من جوانب التربية .

فتكون بذلك أصول التربية متضمنة القواعد العامة التي تبنى عليها العلوم التربوية المختلفة ، فتكون أهدافها إبراز الأصول العامة ، وبيان التصور الإسلامي لكافة جوانب الحياة ، فتمنح الطالب الرؤية الشرعية للمسائل التربوية ، ومن ثم تضع القواعد للعلوم التربوية ، متضمنة الخطوط الإرشادية في العمل التربوي حتى يسير وفق مقاصد التربية الإسلامية .

وللأسف فإن الباحثين الذين صنفوا في ميدان أصول التربية لا يخرجون عن قسمين :

القسم الأول :

وهو المتأثر بالفكر الغربي ، فيقدم مادة أصول التربية حسب التصور الغربي لها ، فيستعرض الأسس الفلسفية ، ومتضمن المدارس الفلسفية الغربية المختلفة والأسس الإجتماعية ، ومتضمن أراء علماء الإجتماع الغربيين ، والأسس التاريخية ، متضمنة تاريخ الفكر التربوي ، والأسس النفسية ، ومتضمن مدارس علم النفس الغربية ، وهكذا بقية الأسس .

فهذا نموذج للتبعية الفكرية للغرب .

القسم الثاني :

حيث يحاول بعض الباحثين إبراز أصول التربية الإسلامية ، مثل الأصول العقدية ، والأصول التشريعية ونحوها ، ولكن هؤلاء يقتصرون في الغالب على بيان بعض الأصول العامة مع إهمال الجانب المكمل لها وهو أصول الفقه التربوي [1] ، بل إن الباحث لم يعثر على من تحدث عن هذا المجال المهم جداً الذي يُعرف الباحثَ على ضوابط الإجتهاد التربوي ، والباحث سيستعرض نموذج من الفئة الأولى لتحليلها وفق معايير التبعية الفكرية التي سبق الإشارة إليها في الفصل الثاني .

(١) مثل عبد الرحمن النحلاوي . أصول التربية الإسلامية .ط١ . بيروت : دار الفكر . ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م

المبحث الثالث : تطبيق معايير التبعية الفكرية في التربية على كتاب في أصول التربية

تمهيد :

سبق أن عرض الباحث لأربعة معايير للتبعية الفكرية استنتجها من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهي :

١- العقيدة . ٢- هوية الأمة . ٣- البرهان والحجة . ٤- المصلحة

وسيقتصر الباحث على معيار العقيدة في فحص نموذج من الكتب التربوية الشائعة في العالم الإسلامي .

لأن معيار العقيدة هو المعيار الأول الذي يفرق به بين التبعية الفكرية المذمومة ، وبين الاقتباس المحمود ، كما أن الفكر أو النظام المُقْتَبَسْ إذا فشل عند فحصه بمعيار العقيدة وتبين لنا أنه تبعية فكرية مذمومة ، وأنه يخالف الدين الإسلامي عندئذ لا نكون بحاجة لفحصه على المعايير الأخرى التي تأتي بعد هذا المعيار الرئيس .

اسم الكتاب : **أصول التربية الثقافية والفلسفية** [1]

المؤلف : **محمد منير مرسي**

أولاً : نبذة عن حياة المؤلف :

ولد الدكتور محمد منير مرسي ببركة السبع - محافظة المنوفية - في ١٩٣٣/٩/٢١م = ١٣٥٢ هـ ؛ وحصل على الشهادة الإبتدائية عام ١٩٤٧م = ١٣٦٧هـ ، والتوجيهية (الثانوية) بالقاهرة عام ١٩٥٢م = ١٣٧٢هـ ، وليسانس كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - عام ١٩٥٦م = ١٣٧٦هـ،

(١) القاهرة : دار الإتحاد العربي ، ط٢ ، ١٩٨٥ م = ١٤٠٦هـ .

وعلى الدبلوم العام في التربية عام ١٩٥٧م = ١٣٧٧هـ ، ودبلوم خاص في التربية عام ١٩٥٨م = ١٣٧٨هـ ، وعلى درجة الماجستير في التربية عام ١٩٦١م = ١٣٨١هـ من كلية التربية - جامعة عين شمس ، وحصل على درجة الدكتوراة في فلسفة التربية من جامعة لندن عام ١٩٦٩م = ١٣٨٩هـ تخصص تربية مقارنة ، وكان المشرف عليه عالم التربية المقارنة ((جوزيف لاواريز)) بالإضافة إلى تعلمه من مفكرين تربويين إنجليز مشهورين مثل : ((نيوقلا هانز)) و ((برايان هولمز)) و ((إدموند كنج)) . ثم بعد عودته إلى مصر عام ١٩٦٩م = ١٣٨٩هـ عمل مدرساً بقسم أصول التربية بعين شمس ، ثم رُقي إلى أستاذ عام ١٩٧٩م = ١٤٠٠هـ ، ثم عمل في قطر عام ١٩٧٩م = ١٤٠٠هـ ، وأدرج اسمه في الموسوعة القومية للشخصيات المصرية العامة التي أصدرتها مصلحة الإستعلامات في مصر عام ١٩٩٢م = ١٤١٣هـ[1] .

مؤلفاته : *

كتب مؤلفة بالعربية :

١- أصول التربية . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٨٤م = ١٤٠٥هـ

٢- تاريخ التربية في الشرق والغرب . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٨م = ١٣٩٩هـ .

---

(١) عن كتاب المؤلف : الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث . ص أ ، ب ، ج - القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٢م .

* ملحق عثر عليه الباحث بآخر كتاب الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث .

٣- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٧م = ١٣٩٨هـ .

٤- فلسفة التربية . إتجاهاتها ومدارسها . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٨٠م = ١٤٠١هـ .

٥- المرجع في التربية المقارنة . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٨١م = ١٤٠٢هـ .

٦- الإدارة التعليمية : أصولها وتطبيقاتها . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧١م = ١٣٩١هـ .

٧- الإدارة المدرسية الحديثة . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٤م = ١٣٩٤هـ .

٨- تعليم الكبار ومحو الأمية . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٨م = ١٣٩٩هـ .

٩- البحث التربوي وكيف نفهمه . عالم الكتب -الرياض - صدر عام ١٩٨٧م = ١٤٠٨هـ .

١٠- العربية الحديثة للناطقين بالإنجليزية والفرنسية . عالم الكتب - الرياض-جزءان صدر الأول عام ١٩٨٠ م = ١٤٠١هـ ، والثاني ١٩٨٥م = ١٤٠٦هـ .

١١- المنتخب في عصور الأدب (جزءان) . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٦م = ١٣٩٧هـ .

١٢- التعليم العام في البلاد العربية . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٢ = ١٣٩٢هـ .

١٣- إدارة وتنظيم التعليم العام . عالم الكتب - القاهرة - صدر عام ١٩٧٤م = ١٣٩٤هـ .

١٤- التعليم في دول الخليج العربية . عالم الكتب - القاهرة - الرياض . صدر عام ١٩٨٩م = ١٤١٠هـ .

١٥- إختبار القيادة التربوية . عالم الكتب - الرياض . صدر عام ١٩٧٧م = ١٣٩٨هـ .

١٦- مجموعة الإختبارات الموضوعية في العلوم التربوية . عالم الكتب - الرياض . صدرت عام ١٩٧٧م = ١٣٩٨هـ .

١٧- الإتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه . دار النهضة العربية - القاهرة .صدر عام ١٩٩٢م = ١٤١٣هـ .

١٨- الإتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة . عالم الكتب . القاهرة . صدر عام ١٩٧٤م = ١٣٩٤هـ .

١٩- دراسات في التربية المعاصرة .دار النهضة العربية . القاهرة . ١٩٧٧م = ١٣٩٨هـ .

٢٠- التعليم الجامعي المعاصر : قضاياه واتجاهاته . دار النهضة العربية . القاهرة . صدر عام ١٩٧٧ م= ١٣٩٨هـ .

٢١- المدخل في التربية المقارنة . مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة . صدر عام ١٩٧٣ م = ١٣٩٣هـ .

٢٢- الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث : عالم الكتب . القاهرة. صدر عام ١٩٩٢ م = ١٤١٣هـ .

كتب مترجمة عن الإنجليزية :

١- المدرسة الشاملة : روبين بيدلى . عالم الكتب ، القاهرة . صدر عام

١٩٧١م = ١٣٩١هـ (بالاشتراك) .

٢- المدرسة اليابانية : سنجلتون . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧٢م = ١٣٩٢هـ .

٣- التعليم والتنمية القومية : آدامز (تحرير) عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧٣ م = ١٣٩٣هـ .

٤- أنثروبولوجيا التربية : نيللر ، عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧٢م = ١٣٩٢هـ (بالإشتراك) .

٥- في فلسفة التربية : نيللر . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧٢م = ١٣٩٢هـ (بالإشتراك) .

٦- الأحلام : تفسيرها ودلالتها : نيريس دي . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٨٦ م = ١٤٠٧هـ .

٧- الضعف في القراءة : تشخصيه وعلاجه : بوند وآخرون . عالم الكتب القاهرة . صدر عام ١٩٨٣ م = ١٤٠٤هـ .

٨- التاريخ الإجتماعي للتربية : ر . بك . عالم الكتب . القاهرة . صدر عام ١٩٧٣م = ١٣٩٣هـ . (بالإشتراك) .

٩-نظرية الإدارة : جريفث . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام١٩٧١م = ١٣٩١هـ (بالإشتراك) .

١٠- مدارس بلا فشل : جلاسر . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧٤ م = ١٣٩٤هـ .

١١- المدرسة والمجتمع العصري : جوسلين . عالم الكتب . القاهرة . صدر عام ١٩٧٣م = ١٣٩٣هـ (بالإشتراك) .

كتب مترجمة عن الروسية :

١- مع المخطوطات العربية : صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر : كراتشكوفسكي . النهضة العربية - القاهرة . صدر عام ١٩٦٩م = ١٣٨٩هـ .

٢- ثلاث أزهار في معرفة البحار لأحمد بن ماجد : شوموفسكي . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٦٩م = ١٣٨٩هـ .

٣- الرسالة الثانية لأبي دلف . أنس خالدوف وآخر عالم الكتب - القاهرة صدر عام ١٩٧٠ م = ١٣٩٠هـ .

٤- الشعر العربي في الأندلس : كراتشكوفسكي . عالم الكتب - القاهرة . صدر عام ١٩٧١ م = ١٣٩١هـ .

ثانياً : ملخص الكتاب : (أصول التربية الثقافية والفلسفية)

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : تضمن تمهيداً للكتاب وثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحدث فيه عن التربية ومفهومها ، وتطورها وأهميتها .

الفصل الثاني : التربية الإسلامية أهدافها ووسائلها ، وأساليبها .

الفصل الثالث : التعليم المدرسي ووظائفه في المجتمع .

الباب الثاني : تحدث فيه عن الأصول الثقافية للعملية التربوية .

وقال : ((يقصد بالثقافة جميع طرائق الحياة التي طورها الناس في المجتمع وتعني طريقة الحياة المشتركة برمتها لدى شعب معين متضمنة طرقهم في التفكير والتصرف ومثلهم العليا كما يعبر عنها مثلاً في الدين ، والقانون ، واللغة ، والفن ، والعرف ، وتشمل كذلك المنتجات المادية مثل : المنازل ، والملابس والأدوات [1] .

ثم استعرض تصنيف الثقافة لـ " رالف لينتون " ، وكذلك استعرض نظريات الثقافة مثل فوق العضوية ، والتصورية ، والواقعية ، وجميعها نظريات غربية .

ثم تحدث عن خصائص الثقافة ، ومن خصائصها ذكر أنها عضوية ، وفوق عضوية في وقت واحد ، وأنها علنية ومستخفية ، وواضحة ومضمرة ومثالية وواقعية ، وثابتة ومتغيرة ، ثم تحدث عن نسبية الثقافة .

وفي الفصل السابع : تحدث عن التربية والبعد الثقافي ، واستعرض مذهب المحافظين ، والتجديديين .

---

(١) ص٧٥ .

وفي الفصل الثامن : تحدث عن أهمية دراسة الثقافة .

والباب الثالث : تحدث فيه عن الأصول الفلسفية للتربية ، استعرض فيه مفاهيم الفلسفة المختلفة ، وطبيعة القيم والأخلاق ، وأنواع المنطق ، وتطبيقات الفلسفة على التربية ، ومجال فلسفة التربية ، ونظرية المعرفة والتربية، والقيم والأخلاق والتربية .

والفصل العاشر : استعرض فيه قضايا الفكر التربوي مثل حقيقة الكون ، ونظرة المدارس الفلسفية المختلفة إليه وصياغة الأهداف التربوية ، والمعرفة ، والتربية ، والطبيعة الإنسانية ، ووجهات النظر حول الطبيعة الإنسانية ، ثم الخبرة التربوية ، ومفهوم الخبرة ومعاييرها .

والفصل الحادي عشر : خصصه للحديث عن المدارس الفلسفية المختلفة مثل : المثالية والواقعية ، والبراجماتية .

والفصل الثاني عشر : تحدث فيه عن النظريات التربوية المعاصرة مثل التقدمية ، والمبادئ الأساسية لها ، والتواترية ، والجوهرية ، والتجديدية .

هذه القضايا التي استعرضها المؤلف في كتابه ، الذي يقع في ٢٨٨ صفحة من القطع المتوسط ، خصصه في أغلبه للحديث عن آراء المفكرين التربويين " الغربيين " .

وقد خصص الفصل الثاني عن التربية الإسلامية في حدود ٢٥ صفحة .

ثالثاً : مناقشة بعض الأفكار الواردة في الكتاب

سيناقش الباحث نماذج من آرائه ليحللها ويبرز أبعاد التبعية الفكرية فيها نموذج للكتب المؤلفة في ميدان أصول التربية .

١- تطور التربية :

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان : ((أن التربية انتقلت من مرحلة الجهود

المبعثرة وغير المنظمة إلى مرحلة الجهود المنظمة التي يخطط لها ، وانتقلت من مرحلة احتكار الأسرة لها إلى مرحلة المنظمات المتخصصة ، وانتقلت من مرحلة تعليم الصفوة إلى تعليم جماهير الشعب ، وأصبحت التربية في هذا العصر حقاً لكل إنسان تعترف به المواثيق الدولية ، وانتقلت أيضاً من كونها عملية تعليمية ضيقة تعنى بالحفظ والتحصيل إلى كونها عملية حضارية دينامية تتسامى بعقل الإنسان وفكره وضميره)) [1] .

ويوحي المؤلف في كلامه أن التربية تطورت إلى الأفضل أي أنها في العصور السابقة كانت متخلفة ، وجامدة ، ومن ثم تطورت إلى الأحسن والأفضل ، كما هو واقع من استعراضه لجوانب التطور في التربية .

وتطور التربية إلى الأفضل هذه مقالة غربية شائعة تتضمن الدعاية للتربية الغربية ، والتربية الغربية كانت تحت سلطان الكنيسة ، ولما تحررت من سلطان الكنيسة ، وأصبحت تحت سلطان الفكر العلماني ، وتوافق هذا الإنتقال مع النهضة العلمية والصناعية الغربية . وأصبح التاريخ عند الغربيين يقسم إلى عصور مظلمة ((العصور الوسطى)) وعصور التنوير ، والنهضة والعصور الحديثة وذلك التقسيم مرتبط بالتحرر من سلطان الكنيسة ، وبروز سلطان العلمانية ، والمتمثل في إقصاء الدين عن الحياة العامة ، وعن العلم والتربية بوجه خاص ، فظهرت موجة الإلحاد ، وبناء النظم بعيداً عن الدين ، وشاء الله أن تتوافق موجة الإلحاد والكفر بالدين مع تسارع العلوم الطبيعية ،

---

(١) صفحة ٨ .

والصناعات المختلفة ، وظهر مصطلح " التطور " [1] في كافة مجالات الحياة باعتبار أن كل نشاط إنساني له مراحل يسير فيها نحو الإكتمال ، كما أن بويضة الحشرة تتحول إلى أطوار حتى تكتمل حشرة في طورها الأخير

---

(١) نظرية التطور بدأت في الظهور قبل مولد تشارلز دارون بسبع سنوات وذلك سنة ١٨٠١ م = ١٢١٦هـ على يد لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) = (١١٥٧ = ١٢٤٥هـ) ، وهو عالم بيولوجي فرنسي وضع مذهباً في التطور العضوي يعرف باسم ((اللاماركية)) ثم بعد ذلك جاء عالم الطبيعيات الفرنسي كوفييه (١٧٦٩ - ١٨٣٢) = (١١٨٣- ١٢٤٨هـ) وعقد مقارنة بين الحيوانات في العصر الحاضر وتلك التي وجدت بقاياها في الحفريات ، ثم بعد ذلك عام ١٨٥٩ م = ١٢٧٦هـ قدم تشارلز دارون كتابه (أصل الأنواع) ولم يمض وقت طويل حتى نسب إليه المفهوم العام للتطور ، بل أن ج - روجر أوضح أن كلمة التطور بذاتها لم تكن ضمن المصطلحات الأصلية التي استخدمها دارون ولم تظهر إلا في الطبعة السادسة من كتابه (أصل الأنواع) انظر " موريس بوكاي - ما أصل الإنسان ؟ ص ٣٥ - ٣٦ . ط ١٢ . الرياض : ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، عام ١٩٨٥ م = ١٤٠٦هـ " .

وفكرة التطور قديمة ويظهر أنها كانت سائدة في التراث اليوناني ودخلت إلى المسلمين أثناء حركة الترجمة وهي تعتمد على أن الحياة تتطور إلى الأفضل ، كما أن الصبي يكبر بعد صغره قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ظن طائفة كابن هود ، وابن سبعين والنفري ، والتلمساني ، أن الشيء المتأخر ينبغي أن يكون أفضل من المتقدم لاعتقادهم أن العالم متنقل من الإبتداء إلى الإنتهاء كالصبي الذي يكبر بعد صغره ، والنبات الذي ينمو بعد ضعفه ويبنون على ذلك أن المسيح أفضل من موسى ، ثم بعد محمد واحداً من البشر أكمل منه)) انظر الفتاوى ج ١١ ص ٣٦٨ .

لكن كان لنظرية تشارلز دارون صدى كبيرعلى مجرى الفكر الغربي في كافة ميادينه فبينت كثيراً من النظريات العامة في تفسير الظواهر الإنسانية على فكرة التطور المستمر والحتمي)) .

قال محمد قطب ((فالنظرية التي تقرر حيوانية الإنسان ومادية بمعنى ان الظروف المادية المحيطة به هي التي أثرت في تطوره وعطائه صورته) إن نظرية كهذه يمكن أن تعطي إيحاءات خطرية في كل اتجاه فحين يكون الإنسان حيواناً أو امتداداً لسلسة التطور الحيواني فأين مكان عقيدته ، وأخلاقه ، وتقاليده الفكرية والروحية والإجتماعية ؟ لقد أعطت تلك النظرية قذيفة على فكرة ((الثبات)) فأصبح لاشئ ثابت على الإطلاق ، لاالدين ، ولاأخلاق ، ولا التقاليد ، وبنى ماركس ، وفرويد ، ودوركهايم ، نظرياتهم على فكرةالتطور)) انظر -" محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق ص ٩٨- ١٠٠ -ط٧ ،١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م باختصار " . ولمزيد من التوسع في آثار نظرية التطور على الفكر الغربي - انظر سفر الحوالي - العلمانية . ص ١٧٧ وما بعدها ، والكتاب نفيس في بابه .

فظهرت نظرية ((أصل الأنواع)) لتشارلز دارون ، وتتضمن أن خلق الإنسان مر على مراحل تطور خلالها ابتداء من الكائنات الصغيرة ومروراً بالحيوانات ثم القرود ، ثم اكتمل في صورته الحالية على هيئة الإنسان ، وكذلك الدين فسروه على أنه بدأ الإنسان بعبادة ((الطوطم)) ثم إلى تعدد الإله ثم إلى ثلاثة آلهة ثم إلاهين ، ثم إله واحد ، ثم الإلحاد ، وهكذا أصبح مفهوم التطور أنه السعي نحو الإكتمال ، وأصبح يستخدم في كافة شؤون الحياة فيقال ((تطوير المناهج)) الوسائل الحديثة المتطورة ، جهاز مطور ، وتربية متطورة ، يقول حلمي الوكيل عن مفهوم التطور : ((والتطوير في أي جانب من جوانب الحياة يهدف دائماً الوصول بالشئ المطور أو النظام المطور إلى أحسن صورة من الصور حتى يؤدي الغرض المطلوب منه)) [1] ، ويفرق بين التغيير والتطوير ، فيقول : ((فالتغيير الذي يحدث قد يتجه نحو الأفضل أو نحو الأسوأ ، بينما التطوير يؤدي إلى التحسن والتقدم والإزدهار)) [2] ، والمفهوم الشائع من التطور هو التغير نحو الأحسن ، ومقالة المؤلف أن التربية تطورت وتحسنت واستشهد ببعض الجوانب التي تدل على التوسع في التعليم فهذا يخالف ما عليه قول الرسول ﷺ : ((**خيرُ الناسِ قَرني ثمَّ الذين يلونهم ، ثـمَّ الذين يلونهم ، ثم يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه ويمينُهُ شهادتَه**))[3] فالتربية في قرن الرسول ﷺ أفضل من التربية في القرن الذي بعده ، والقرن

(١) حلمي أحمد الوكيل . تطوير المناهج . ص ٩ . ط ٧ – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢ م = ١٤٠٣هـ .

(٢) ص١٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، ج٣ . ص٢٠٤ .باب ٩ ، حديث (٢٦٥٢) . ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . ج٤ .ص١٩٦٢ . حديث رقم (٢٥٣٣) ، واللفظ للبخاري .

الذي بعده التربية فيه أفضل من الذي بعده وهكذا ، والمتبصر في تاريخ الإسلام يجد مصداق قول الرسول ﷺ من حيث تفلت الناس من أحكام الشرع شيئاً فشيئاً ، وتاريخ أوروبا يختلف عن تاريخ المسلمين ، وكثير من الناس من يربط بين التقدم العلمي والمادي ، وبين تحسن وازدهار التربية ، وهذا خطأ فاحش ، فلا يدل تقدم الأمم في الصناعات والبناء ، والزراعة ونحو ذلك من مظاهر الحياة المادية دليلاً على أن تربيتهم وتعليمهم أفضل من غيرهم من الأمم ، بل إن تاريخ أوروبا المعاصر يشهد بأنه رغم التقدم العظيم الذي أحرزوه في ميدان العلوم الطبيعية والصناعية فإن أخلاقهم وقيمهم في تردٍ مستمر .

فإذا ما تبصرنا في واقع المجتمعات الغربية ولاحظنا مدى انتشار الجريمة والمخدرات ، واللواط والزنى ، وفنون التعري والدعارة ، والإلحاد ، وانهيار الروابط الأسرية ، والنظرة المادية إلى الحياة لرأينا أن تلك المشاكل في ازدياد مستمر ، كما أن التعليم المادي والإكتشافات والإختراعات في ازدياد مستمر بل إذا قلنا : إن التربية في تخلف مستمر ، والعلوم الطبيعية في تقدم مستمر لكان أفضل في تصوير تاريخ أوروبا المعاصرة .

بل إن التربية الغربية المعاصرة تفتقد إلى أهم عناصر التربية على الإطلاق وهو عنصر التربية الروحية ، والتربية الأخلاقية ، وإنما تركزت تربيتهم وتعليمهم على نواحي الحياة المادية فقط ، وبذلك فقدت أهم مقومات التربية وللأسف نجد أن كثيراً من المؤلفين في التربية كثيراً ما يستفتح كتابه بالثناء على التربية الحديثة ونقد التربية القديمة أو التقليدية ، وكل ذلك من أجل تهيئة عقل الدارس لتقبل مفاهيم التربية الغربية .

وبالنسبة لتاريخ التربية الإسلامية ، فكلما رجعنا في التاريخ كلما كانت أشمل وأتم ، حتى عصر الرسول ﷺ وفيه كانت التربية والتعليم في أكمل صورهما .

وطريقة المؤلف من حيث شهادته بأن التربية الحديثة (الغربية) أكمل وأتم من التربية القديمة تلك شبهة غربية يغذيها الغرب من أجل الترويج لمنهجه التربوي الفاسد .

٢- التطبيع الإجتماعي :

قال المؤلف عن التربية أنها ((تنمي التلميذ في إطاره الإجتماعي باعتباره فرداً يعيش في مجتمع وأن عليه أن يكتسب الطابع الإجتماعي لهذا المجتمع حتى يستطيع أن يحيا فيه وأن يكون قادراً على التعامل معه ، فالتربية إذن عملية تطبيع إجتماعي)) [1] .

ولم يبين المؤلف ما إذا كان المجتمع الذي يحيا فيه الطالب فاسداً أو صالحاً ؟ هل على التربية أن تكسبه هذا الطابع دون النظر إليه من ناحية فساده أم صلاحه ؟

بل المؤلف يؤكد على أن وظيفة المعلم هي إكسابه هذا الطابع بغض النظر عن مدى صلاحه أو فساده ، فليس للمعلم أن يوجه الطالب ويرشده إلى نواحي الصلاح ، أو يحذره من نواحي الفساد ، فيقول : ((إذ ينبغي على المعلم أن يفرق بين دوره الإجتماعي مواطناً ، فهو من حيث كونه مواطناً يمكنه أن يعتنق الأفكار التي يرى أنها صحيحة ، أما في عمله المهني معلماً فعليه ألا يخلط بينه وبين غيره من الأعمال فهو في هذا العمل يلتزم باتجاهات

---

(١) ص ١٢ .

المنهج المدرسي ، واتجاهات مجتمعه ، وألا يستخدم سلطانه لحمل التلاميذ على اعتناق أفكار غير مرغوبة من مجتمعه !!)) [1] ويتضح من كلام المؤلف أنه يرى أن على المدرسة أن " تساير واقع المجتمع " بغض النظر عن الفساد إن كان منتشراً فيه ، فوظيفة المدرسة أن تكسب الطالب هذا الطابع الإجتماعي ويؤكد على ذلك مرة أخرى فيقول : ((ويرفض التربوي التقدمي أية مشروعات لإستخدام المدرسة لخدمة برنامج الإصلاح الإجتماعي معتقداً أن مثل هذه الوظيفة المضافة للمدرسة !! تنتهك الحرية الفكرية للطفل ، وبهذا تحد من نموه ، كما أنه يعارض أي محاولة لتحديد ما يجب أن يكون عليه المجتمع الصالح على أساس أن المستقبل غير مضمون)) [2] .

وينقل المؤلف عبارة لمفكر غربي اسمه ((لو يد وارنر)) : ((إن التربية يجب أن تعكس بالضرورة الظروف الإجتماعية السائدة وإلا فشلت في واجبها في تكييف جيل المستقبل للوسط الإجتماعي والثقافي الذي يتحتم عليه العيش في ظله ، ومهما كانت المثاليات التي تفرضها المدرسة نبيلة فإنها قد تضر الطفل إذا كانت غريبة عن هذا الوسط)) [3] ، ويتضح من كلام المؤلف واستشهاده بكلام المفكرين الغربيين من أن المؤلف قد قلدهم في أمر يخالف هدي الإسلام ومقاصد التربية الإسلامية التي تسعى لتحقيق العبودية لله في حياة الفرد والمجتمع ليحقق وظيفته التي من أجلها خلقه الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [4] ، وتسعى التربية لتحقيق تلك

(١) ص ٢٣ .

(٢) ص ١٢٠ .

(٣) ص ١٢٣ .

(٤) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

الغاية سواء داخل المدرسة أم خارجها عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح حال المجتمع وليس لبقاء المجتمع على ما هو عليه ، قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [1] ، بل إن جهود الرسول ﷺ في دعوته كانت لإصلاح حال المجتمع الجاهلي بنقله إلى الإسلام فالرسول ﷺ لم ينصع لحالة المجتمع ويسايره بل سعى إلى توجيهه وتعديل مساره في كافة شؤونه ، في الإقتصاد ، في شعائر العبادة في الأسرة ، في الحكم ، في الآداب ، وفي الأخلاق بل في كل جوانب حياة المجتمع .

وقد لاقى ﷺ من المصاعب والشدائد والمصائب كما هو معلوم في سيرته عندما واجه المجتمع الجاهلي وسفه أحلامهم وكذب أصنامهم ودعاهم إلى التوحيد ، وإلى الإسلام بل إنه أزال طابع المجتمع الجاهلي من جذوره .

وتربية الرسول ﷺ لأصحابه كان من أصولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم مسايرة المجتمع في فساده بل على الفرد أن يقاوم ذلك الفساد حسب استطاعته ، وكان ﷺ يحذر أصحابه من مسايرة المجتمع في فساده ، فيقول ﷺ : ((**لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا**)) [2] ، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الإيمان ، قال ﷺ : ((**من رأى مِنكُمْ مُنكَراً فليُغيّرهُ بيدِهِ ، فإنْ لَمْ**

(١) سورة آل عمران ، آية (١١٠) .

(٢) رواه الترمذي ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ ، رقم ٢٠٧٥ ، كتاب البر والصلة ، وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

يسْتطِعْ فبلسانِهِ ، فإنْ لَمْ يَسْتطِعْ فبقلْبِه وذلك أضْعفُ الإيمَانِ)) [1] ، بل إنه ﷺ شرع العزلة للمسلم عندما ينتشر الفساد في المجتمع ، ولا يمكن للمسلم أن يصلحه ، فقال ﷺ : ((**يُوشِكُ أن يكون خَيْرَ مالِ المُسْلمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبالِ ، وَمَواقِعَ القَطْرِ يَفِرُّ بدِينهِ مِنَ الفِتَن**)) [2] ، وقال ﷺ : ((**بَلِ ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المنكَرِ حَتَّى إذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً ، وَهَوًى مُتَّبَعاً ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإعْجَابَ كلِّ ذِي رَأْيٍ برَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ ...**)) [3] ومبدأ التطبيع الإجتماعي في التربية الغربية يستند أصلاً إلى مفهوم تغير القيم والأخلاق ، حيث يعتبر غالبية المربين الغربيين أن القيم والأخلاق متغيرة ومن صنع المجتمع لذا فوظيفة المدرسة تكون إكساب التلميذ تلك القيم والأخلاق والثقافة في المجتمع بشكل عام دون النظر إلى مدى صلاح تلك القيم من فسادها .

وهذا المبدأ من أهم المبادئ التي ساهمت في ترسيخ الفساد الخلقي في المجتمعات الغربية إذ أن وظيفة المدرسة بدلاً من أن تكون أداة لإصلاح المجتمع أصبحت وظيفتها ترسيخ ذلك الفساد وإكسابه التلميذ تحت مسمى ((التطبيع الإجتماعي)) .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم (٤٩) ج ١ . ص٦٩ .

(٢) البخاري ، حديث رقم (١٩) – كتاب الإيمان باب من الدين الفرار من الفتن ، ج١ ، ص ١١٢ .

(٣) الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، في تفسير سورة المائدة ، ج٤ ، ص ٣٢٣ ، حديث (٥٠٥١).وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ، واخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن . ج٢ ، ص ١٣٣١ ، باب ٢١ . حديث رقم (٤٠١٤) ، واللفظ للترمذي .

٣- تغير الأخلاق والقيم ونسبيتها : يذهب المؤلف إلى أن الثقافة تشمل الدين والأخلاق وأن المجتمع يطورها ، فيقول : ((يقصد بالثقافة جميع طرائق الحياة التي طورها الناس في المجتمع وتعني طريقة الحياة المشتركة برمتها لدى شعب معين متضمنة طرقهم في التفكير والتصرف ومثلهم العليا كما يعبر عنها مثلاً في الدين والقانون واللغة والفن ، وتشمل كذلك المنتجات المادية مثل المنازل والملابس والأدوات)) [١] فالمؤلف اعتبر أن الدين من الثقافة التي يطورها المجتمع ، ويعتبر الثقافة عموماً دون تقييد لبعض عناصرها من خلق الأفراد فيقول : ((إن الثقافة لاتتحرك بذاتها بل بالأحرى أنها من خلق الأفراد)) [٢] ، ويتضح أن المؤلف لم يفرق بين الأديان السماوية التي أنزلها الله وبين الأديان التي استحدثها الإنسان أو الإنحرفات التي أصابت الأديان وهي من عمل الإنسان ، وهذا التداخل وعدم التمييز يجر الإنسان إلى أخطاء عقدية فادحة ، وكثيراً ما يكرر المؤلف قوله أن الثقافة من صنع الإنسان ، فيقول : ((تعد الثقافة من صنع الإنسان وشرطاً للحياة الإنسانية ، فالإنسان يخلق الثقافة)) [٣] ، وعندما يجعل الدين أحد عناصر الثقافة كما ذكر في تعريفه للثقافة ، و لم يحدد أي الأديان من الثقافة التي طورها الإنسان فهذا خطأ كبير وترويج مثل تلك المفاهيم الغربية الخبيثة بين المسلمين فيه فتنة عظيمة وفتح باب عريض للإلحاد والكفر .

---

(١) ص ٧٥ .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) ص ١٠٠ .

بل إن المؤلف يرى أن تُرَسَّخ فكرة التغير المستمر للثقافة بما فيها الدين والأخلاق في أذهان التلاميذ لتقبل التغير المستمر ، فيقول : ((إن دراسة الثقافة للمعلم تجعله يؤمن بحقيقة التغير ، وأن الأشياء لا تثبت على حال ومن ثم يعمل على تأكيد هذا الإتجاه في عقول تلاميذه)) [١] ، بل يرى أن على المدرسة أن تساير هذا التغير بغض النظر عن وجهته أهو لصلاح أم لفساد ، فيقول : ((إن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة فهي تتغير وتتطور ، ولابد للإنسان أن يساير هذا التطور وإلا تخلف عن ركب الحياة)) [٢] ، بل إن المؤلف يرى أن من يعتبر القيم والأخلاق ثابتة فهو تقليدي ، ويظهر أن التقليد نوع من الجمود والتخلف ، فيقول : ((ويريد كثير من التقليديين التربويين التوصل إلى هذه الغاية ((ثبات الأخلاق والقيم)) بأن يُنْشِئوا الصغار على حقائق وقيم يفترض أنها دائمة !!)) [٣] ، فالمؤلف يرى أن من خصائص الأخلاق و القيم وغير ذلك من عناصر الثقافة في تطور وتغير مستمر ، ولابد للمدرسة أن تمهد لهذا التغير في عقل التلميذ وتهيئته لتقبل التغير المستمر حتى يساير ركب الحياة ، وأن لاتكون المدرسة مقيدة بالتراث فيقول : ((إذا ما كانت الثقافة مرنة ، فإن التربية لاتكون مقيدة بالتراث بل تكون حرة بشكل معقول في تشكيل الجيل التالي من جديد ، وهكذا فإن المدرسة ينبغي أن تمهد الطريق لتغيير عقلي بأن تغرس في تلاميذها نظرة عقلية ومتطورة)) [٤] ، والمؤلف بعد أن أكد مبدأ تغير القيم والأخلاق وتطورها ،

---

(١) ص ١٣٠ .

(٢) ص ٣٧ .

(٣) ص ٩٠ .

(٤) ص٩٦ .

قال مرة أخرى إن القيم والأخلاق بعضها مطلق ثابت ، وبعضها متغير فهو مضطرب في موقفه من الأخلاق ، فقال : ((إن القيم المطلقة ثابتة ، إنها مستمدة من طبيعة الكون وهي انعكاس للحقيقة ذاتها)) [1] ، ولم يبين ما قصده من طبيعة الكون الذي استمدت الأخلاق منه طبيعتها هل هو يقصد الله عزوجل وأن الأخلاق مصدرها من عند الله ؟ أم أنها من شيء آخر سماه طبيعة الكون وانعكاس الحقيقة ؟ والأولى بالمؤلف أن يوضح انعكاس الطبيعة ولا يستخدم من الكلام إلا ما هو مفهوم .

وقال بعد ذلك ((أما القيم المتغيرة ، يرجح أنها استجابات لحاجات الإنسان المباشرة ، وهي خلافاً للقيم المطلقة تنشأ في سياق خبرات الإنسان اليومية)) [2] ، ولكن مجمل أقواله كما مر علينا أنه يرى أن القيم والأخلاق متغيرة ، ويظهر أنه قد تبنى أفكار بعض علماء الإجتماع الغربيين الذين يرون أن القيم والأخلاق من صنع الإنسان ، كما سنبين قولهم ، وهذا مخالف للإسلام من حيث أن أساس الدين اعتقاد أن الله هو الذي أنزل الشرائع على الرسل وأن الرسل مبلغون لشريعة الله ومتضمنة الأخلاق والقيم قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [3] ، فلا أخلاق ولا قيم يلتزم بها الإنسان إلا ماشرعه الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ

(١) ص ١٥٠ .

(٢) ص ١٥٠ .

(٣) سورة الروم . آية (٣٠) .

أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [2] فالأخلاق والقيم ثابتة أنزلها الله على رسله لأن الأخلاق جزء من الدين ، وليس الدين شيء والأخلاق شيء آخر ، فهذا القرآن لا تخلو سورة من سوره دون تأكيد حقيقة خلقية ، بل يدعو الناس لاتباعها والأخذ بها ، وقال ﷺ : ((**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**)) [3] ، أما الأعراف التي تنشأ في المجتمعات ، فإن كانت موافقة لهدي الإسلام فإن الإسلام يقرها ، وإن كانت مخالفة لهدي الإسلام فلا اعتبار لها ، ولهذا قسم الفقهاء العرف إلى قسمين صحيح وفاسد ((الصحيح : هو الذي لا يخالف قواعد الشريعة وإن لم يرد نص خاص في موضعه .

والفاسد : هو الذي يكون مخالفاً لقواعد الشريعة أو مبطلاً للنصوص ، كتعارف الناس كثيراً من المنكرات مما يفعلونه الآن في المآتم والأفراح ، والموالد وخروج النساء كاسيات عاريات)) [4] ، فالعرف الذي ينشأ في المجتمع وإن لم يرد نص خاص به ، فإنه لا يخلو من حالين إما أنه يتوافق مع هدي الإسلام من حيث أنه لا يخالف قواعد الشريعة لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، فهذا سائغ صحيح ، أما ما يخالف قواعد الشريعة فهذا العرف

---

(١) سورة الجاثية . آية (١٨) .

(٢) سورة الأنعام . آية (١٥٣) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في السند . ج٢ ، ص ٣٨١ ، عن أبي هريرة .

(٤) محمد مصطفى شلبي . المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي . ص ٢٦٢ . ط١ . بيروت : دارا لنهضة العربية .

الفاسد الذي حاربه الأنبياء ، ويحاربه المصلحون والمجددون ليردوا الناس إلى الصراط المستقيم .

إن الثبات من خصائص التصور الإسلامي ، قال سيد قطب رحمه الله : ((هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمته الذاتية فهي لا تتغير ولا تتطور ، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور)) [1] .

فالصبر ، والحياء ، والكرم ، والشجاعة ، والإيثار ، ومساعدة المحتاج ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى الخلق ، وبذل المعروف ، وتوقير الكبير ، والشفقة والعطف على الصغير ، وآداب الأكل ، وآداب اللبس ، وآداب الإستئذان ، ونحو ذلك من الأخلاق ، والآداب التي شرعها الله للمسلمين هي ثابتة وإن أهملها الناس ، وإن خالفوها وابتدعوا غيرها فلا تسقط مشروعيتها فهي جزء من هذا الدين الثابت .

ومفهوم تغير " الأخلاق والقيم " مفهوم غربي يرتبط بنظرة إلحادية ، تكذب بالدين وتقول : إن الدين من صنع الإنسان وإبداعه وليس من عند الله فهي لا تعترف بوجود الله ، ظهرت تلك الفكرة الإلحادية الخبيثة في أوروبا ، ويصف " محمد امزيان " نشوء ذلك الفكر الخبيث العلماني الجاهلي فيقول : ((عندما دخل القرن الثامن عشر كان الفكر الغربي قد قطع أعظم الأشواط في التحرر من الفكر الديني حتى أطلق على هذا القرن عصر التنوير

(١) سيد قطب . خصائص التصور الإسلامي . ص ٨٥ . ط٧ . بيروت : دار الشرق . ١٤٠٠ هـ = ١٩٧٩م .

ولم يكن يقصد بالتنوير سوى إبعاد الوحي عن التوجيه . لقد اعتبر القرن الثامن عشر عصر هدم للنظام القديم ، ولذلك نرى الباحثين يؤكدون على أن أهم ميزة طبعت هذا العصر هي السلب والهدم ، فقد ساهمت الأفكار التي ظهرت في هذه الفترة في هدم النظريات " الثيولوجية " من أجل إعادة بناءها بمواد وبطريقة جديدة وهي المهمة التي قامت بها " الوضعية " حيث أعادت بناء النظم الإجتماعية وفق التصور الوضعي ، ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت ملامح العلمانية واضحة ومتغلبة على الإتجاهات الكنسية ، وبدأت تبسط سلطانها على المرافق التي تشغلها الكنيسة ، وبذلك مهدت لأكبر ثورة إجتماعية وثقافية في تاريخ الغرب وهي " الثورة الفرنسية " التي شكلت أعظم سند لقيام المنهج الوضعي ، ومرحلة ما بعد الثورة كانت مرحلة إعادة البناء الإجتماعي على مستوى المؤسسات ، وعلى مستوى التفكير ، واتجه المفكرون إلى إنشاء نظم جديدة لتنظيم المجتمع)) [1] .

وكان أهم ركن في تصور المفكرين الجدد آنذاك هو " مادية الحياة " ، وأن الإله من صنع البشر ، يتبنى هذا الفكر ((سان سيمون ١٧٦٠ - ١٨٢٥م)) أحد رواد الوضعية يقول : ((إن القدرة العلمية الوضعية هي نفس ما يجب أن يحل محل السلطة الروحية)) [2] ، وكذلك أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) الذي يعتقد أن الدين في عصرنا يجب أن يكون من وحي

(١) محمد أمزيان . منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية . ص ٣٩ - ٤١ باختصار . ط٣ . مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م .

(٢) المرجع السابق . ص ٤٣ .

وضعي)) [1] وكذلك دور كهايم (١٨٥٨ - ١٩١٧م) الذي قرر أن الله هو المجتمع ، وقد سعى لطرد التفكير الديني من علم الإجتماع الغربي)) [2] الذي اعتبر أن مسألة الدين والأخلاق هي من عند المجتمع حيث أنشأها وهو مصدرها)) [3] .

وقد سعت مجموعة من أبرز المفكرين الغربيين إلى تفسير ظاهرة الدين بإعتبارها من صنع الإنسان ، فمن هؤلآء " فريزر " الذي أرجع ظاهرة الدين إلى السحر ، وكذلك " هوبز " أرجعها إلى الأساطير ، أما " أوغست كومت " فهو الذي صاغ نظرية الدين على عدة مراحل تبدأ المرحلة الأولى من تأليه الإنسان للأشجار والأحجار ثم إلى عبادة الأصنام ثم إلى تعدد الإله ثم إلى التوحيد ثم إلى الإلحاد)) [4] .

وليس تفسير هؤلاء الكفار المتأخرين بجديد فقد سبقهم بذلك الكفار القدماء لأن ملة الكفر واحدة ، قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا

---

(١) المرجع السابق . ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٣ .

(٣) المرجع السابق . ص ٦٧ .

(٤) انظر المرجع السابق . ص ٩١ - ٩٣ .

(٥) سورة المائدة . آية (١١٠) .

(٦) سورة يونس . آية (٧٦) .

سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [1] ، فقد فسر أولئك الكفار الدين بأنه سحر ، وطائفة أخرى من الكفار فسرته كما فسره ((هوبز)) و ((فريز)) بأنه أساطير الأولين ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [4] .

لقد تشابهت قلوب الكفار المتأخرين منهم والمستقدمين ، من حيث تفسير ظاهرة الدين ، ولهذا نجد في كتابات كثير من المفكرين الغربيين الربط بين الدين والأسطورة ، أو بين الدين والسحر ، ولقد قلد المؤلف هؤلاء في بعض أقوالهم فربط أكثر من مرة بين الأساطير والخرافات والدين . فقال في إحدى عباراته : (واللغة والأسطورة والفن والدين هي أجزاء من هذا الكون) [5] ، وقال مرة أخرى : (وإن عليه أن يغلف نفسه في صبغ لغوية ، وفي رموز ذهنية ، وفي رموز أسطورية ، أوفي طقوس دينية) [6] ، وقال مرة أخرى أيضاً (وتنعكس على المؤسسات الثقافية كالفن ، والدين ، والقانون ، والحكومة والأساطير) [7] .

---

(١) سورة النمل . آية (١٣) .

(٢) سورة الأنعام . آية (٢٥) .

(٣) سورة الفرقان . آية (٥) .

(٤) سورة القلم . آية (١٧) .

(٥) ص ٧٨ .

(٦) ص ٧٨ .

(٧) ص ١٠٨ .

وللمؤلف كلام آخر يكرره وهو تحرير الإنسان من العبودية و لم يوضح أي العبودية يتحرر منها الإنسان ، فيقول : (فالتعليم إذن يحرر الإنسان من قيود العبودية والجهل) [1] ، وقال أيضاً : (وهكذا تكون التربية الإسلامية تحريراً للعقل من الوهم كما أنها تحرر النفس من الخوف والعبودية) [2] ، و لم يبين المؤلف نوع العبودية التي يحررها العلم أو التي تحررها التربية الإسلامية هل هي العبودية للأصنام والأوثان أو للطواغيت أو للهوى ؟

ولقد أطلق المؤلف العبودية و لم يقيدها ، والتربية الإسلامية مقصدها تحقيق العبادة لله وحده لا شريك له في حياة الفرد ، وهي تطبيق لكلمة الشهادة (لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) حيث تتضمن النفي والإثبات ، نفي العبودية لغير الله وإثباتها لله وحده لا شريك له . وربط المؤلف بين الجهل والعبودية المطلقة فيه خطأ كبير ، وكذلك قوله : (تحرر النفس من الخوف) دون تحديد نوع الخوف الذي تحرره التربية الإسلامية ، فالخوف من الله ، وعبودية الإنسان لله مقصد الأديان جميعاً . وكلامه هذا فيه لبس ، ويشبه كلام الملحدين والكفار الذين يربطون بين العلم أنه يحرر الإنسان من العبودية لله ، بينما العلم يثمر معرفة الله عز وجل قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [3] ، فالعلم الصحيح والرسوخ فيه يثمر معرفة الله عز وجل وخشيته ومحبته وتوحيده ، أما التمرد على الله والكفر به فهو ثمرة للجهل وليس للعلم ، فالجهل يرتبط بالكفر كما أن العلم يرتبط بالإيمان ،

(١) ص ١٨ .

(٢) ص ٣٠ .

(٣) سورة فاطر . آية (٢٨) .

فالأولى بالمؤلف أن يوضح ولا يردد كلمات الكفرة والملحدين دون معرفة معناها وما تؤول إليه إذ قد يخرج هذا الكلام الإنسان من الدين وهو لا يشعر

٤- الفطرة :

وموقف المؤلف من الإعتقاد بالله ، ومفهوم الفطرة يخطئ فيه خطأً فاحشاً أيضاً بسبب تقليده للكفار الأوروبيين ، فيقول عن الإعتقاد في الله بأنه مكتسب وليس فطرياً ، فيقول : ((كأفكار مكتسبة : الإعتقادُ في الله وكراهية الصهيونية)) [١] ، فقد اعتبر أن الإعتقاد في الله مكتسب وليس فطري ، وهذا مخالف لمفهوم الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الإسلام ، فقد خرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول :** ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾)) [٢] ، ويدل هذا الحديث دلالة قطعية على أن الفطرة هي الإسلام وأن المولود يولد موحداً على دين الإسلام ، إذ لو أنه غير ذلك لقال ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يأسلمانه أو يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وحيث أنه ﷺ لم يذكر أن الوالدين " يمسلمان " الطفل دل على أن

---

(١) ص ٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري ج٦ . ص ٢٢ . كتاب تفسير القرآن . حديث رقم (٤٧٧٥) . كذلك في كتاب القدر . حديث رقم (٦٥٩٩) . وكتاب الجنائز . حديث رقم (١٣٥٨) . ومسلم . ج٤ . ص ٢٠٤٧ . كتاب القدر . حديث رقم (٢٦٥٨) .

الطفل يولد على الإسلام ، وأن الفطرة هي الإسلام ولهذا ذكر ﷺ الفطرة ثم قال : ((فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه)) دليلاً على أن الأديان الباطلة هي المكتسبة ، وأن الفطرة هي الإسلام .

والقول بأن الفطرة ((صفحة بيضاء)) هي مقالة بعض المفكرين الغربيين مثل " جون لوك " و " جان جاك روسو " [1] وغيرهم فهؤلاء قالوا : بأن فطرة الإنسان محايدة كالصفحة البيضاء ، يردون على الكنيسة التي ترى أن المولود يولد على الخطيئة وهو يحمل خطيئة والده آدم - بزعمهم وضلالهم - وقد تبنى المؤلف هذا الرأي الغربي بأن المولود يولد وفطرته " كصفحة بيضاء " وظن أن هذا هو رأي الإسلام ، فقال : ((أما الإسلام فيقف موقفاً وسطاً ، فهو ينظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها محايدة فكل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه)) [2] ، وقال

---

(١) جون لوك (١٦٣٢- ١٧٠٤م) = (١٠٤٢- ١١١٦هـ)

فيلسوف انجليزي شهير ، له أراء في التربية والسياسة ، ومن أرائه في التربية أن جميع أفكار الإنسان ومعارفه مكتسبة عن طريق التجربة أو الخبرة ، وأن الإنسان يولد وعقله يشبه الصفحة البيضاء الخالية من الأفكار الفطرية والمعاني الأولية ، انظر عمر التومي الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربوية . ص١٣٤ . ط٢ . ليبيا ، تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٦م .

جان جاك روسو (١٧١٢- ١٧٧٨م) = (١١٢٤- ١١٩٢هـ)

فيلسوف سويسري له أراء في التربية والسياسة وهو من زعماء الحركة الطبيعية في التربية ، كان لأفكاره صدى كبير على مجرى الفكر التربوي الغربي ، من أبرز أفكاره في التربية أن الطفل يولد وهو خيِّر بطبيعته الأصلية ، فهو ينكر الخطيئة الأصلية التي كانت سائدة في الفكر المسيحي ، وأن ما يطرأ على قلب الإنسان من حقد وكراهية وحسد وأنانية ، وما يلحق سلوكه من فساد وتحلل فهما مكتسبان له من البيئة الفاسدة ، وليسا من فطرته الأصلية . (انظر عمر التومي الشيباني . تطور النظريات التربوية . ص ١٦٦) .

وإن كانت فكرة جان جاك روسو قريبة من الفكر الإسلامي إلا هناك اختلافاً ، فالفطرة التي يخلق عليها الإنسان هي الإسلام كدين موحد لله تعالى ، وليس أنه خيِّر فقط ، أو أنها محايدة كما زعم المؤلف .

(٢) ص ٢٠٣ .

أيضاً ((تقوم التربية الإسلامية على التسليم بفطرة الطبيعة الإنسانية ، وأن الإنسان يولد بطبيعة إنسانية فطرية محايدة)) [1] .

ونسبة هذا الكلام إلى الإسلام غير صحيحة ، إذ أن الحديث السابق يدل على أن الطفل يولد على الفطرة وأن الفطرة هي الإسلام والتوحيد ، قال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث السابق ذكره : (وهذا الحديث قد رُويَ بألفاظ يفسر بعضها بعضاً ، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((**مامن مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟**)) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤا : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ، قالوا يارسول الله : أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : ((**الله أعلم بما كانوا عاملين**)) [2] ثم قال ابن القيم : والفطرة هاهنا الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف ، وأهل التأويل قد أجمعوا في تأويل قول الله عزوجل ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [3] قالوا ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ ﴾ دين الإسلام ، واحتجوا بقول أبي هريرة في الحديث اقرؤا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ، وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن

---

(١) ص٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري . ج٧ . ص٢٦٨ . كتاب القدر . حديث رقم (٦٥٩٩) .ومسلم . ج٤ . ص٢٠٤٨ كتاب القدر . حديث رقم (٢٣- ٢٦٥٨) . واللفظ للبخاري .

(٣) سورة الروم . آية (٣٠) .

وإبراهيم والضحاك ، وقتادة في قوله ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قالوا : فطرة الله دين الإسلام ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ قالوا : لدين الله [1] .

٥- (الولاء والبراء) و (النسبية الأخلاقية والثقافية) :

يرى المؤلف أن من وظائف المربي أن يربي تلاميذه على (عدم التعصب لدينهم) لئلا ينغلقوا على ذواتهم فعليهم التسامح مع الأديان الأخرى ، فيقول : ((ويجب أن يُربى الإنسان على أخوة الإيمان وأخوة الإنسان حيثما كان فنحن ننتمي إلى الإنسانية جميعاً وكلنا لآدم ، وآدم من تراب ، وهذا يعني البعد عن التعصب العرقي والعنصري ، وينبغي على المربين أن يؤكدوا هذه المعاني في نفوس الشباب ، وأن تجاهلها والإغضاء عنها قد يولد في نفوس الشباب أفكاراً خاطئة عن العالم الخارجي ، تخلق منهم أناساً متعصبين على ذواتهم وأنفسهم)) [2] .

وطريقته في تحقيق هذه الإتجاه هو غرس مفهوم نسبية الثقافة في عقول النشء فيقول : ((والنسبية الثقافية هي أحد أشكال النسبية الخلقية ذلك أنها تتطلب أن تكون القيم الخلقية غير صحيحة إلا بالنسبة للثقافة التي تؤمن بها فهي تعني مثلاً أنه ليس لنا الحق في نقد عادات الشعوب الأخرى !! والميزة الكبرى من النسبية الخلقية هي أنها تجعلنا متسامحين تجاه الثقافات الأخرى ولانصر على البت في أمورها باسم قيمنا الخاصة)) [3] ، ويتضح من كلام المؤلف أنه يرى أنه لايجب أن نحكم على القيم الشائعة في مجتمعات الكفر

---

(١) ابن القيم . شفاء العليل . ص٢٨٥ . ط١ . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م .

(٢) ص ١٣ .

(٣) ص٩٤ .

والجاهلية من منطلق معاييرنا لأنها قد تكون صحيحة بالنسبة إلى مجتمعاتهم كما أن قيمنا صحيحة بالنسبة لمجتمعاتنا . وهذا الرأي ربما يؤول إلى التكذيب بصدق رسالة محمد ﷺ ، لأن رسالته متضمنة تخطئه كثير من القيم والأخلاق الشائعة في المجتمعات الجاهلية ، وعلى رأسها الكفر، والشرك ، والزنى ، واللواط ، والخمر ، ونحوها .

فإذا قلنا أن تلك القيم لايجب أن نحكم عليها من منطلق ثقافتنا الإسلامية بل نحكم عليهامن منطلق ثقافتهم الجاهلية ، لأنها ربما تكون صحيحة بالنسبة لهم ، حتى لو كانت خاطئة بالنسبة لثقافتنا ، فهذا يعني التكذيب بما أخبرنا الله ورسوله لأنهما خطئا تلك القيم والممارسات ، واعتبرها القرآن ضلالاً ، وكفراً وفسوقاً ، وعصياناً ، واتباعاً للشيطان ، وللهوى ، وظلماً ، وعدواناً ، فكيف نتوقف عن الحكم عليها ؟ ونقول أنها ربما تكون صحيحة ومشروعة بالنسبة لثقافتهم ؟ فهل يعني أن رسالة محمد ﷺ مقصورة على العرب فقط ؟ وأن الشعوب الأخرى ليست ملزمة باتباعها ؟

وقصة اليهودي الذي زنى في عهد رسول الله ﷺ وأقام عليه الحد مع أن اليهود زعموا أن حد الزنى في التوراة الفضح والجلد ، ولكن الرسول ﷺ أمر باحضارها فلما قرأت التوراة فإذا فيها (آية الرجم) ، فأقام عليهما ﷺ الحد فرجما)) [1] .

ودعوى المؤلف هذه تجر إلى أمر خطير وهو الشك في مدى صحة الشريعة الإسلامية ، إذ أن الطالب إذا قلنا له لاتحكم على سلوكيات وأخلاق

(١) انظر في ذلك في صحيح البخاري ج٨ . ص ٣٨ . كتاب المحاربين من أهل الذمة والردة . حديث رقم (٦٨٤١) . ومسلم . ج٣ . ص١٣٢٦ . كتاب الحدود . حديث رقم (١٦٩٩) .

المجتمعات الكافرة من منطلق القرآن والسنة فعليك باعتقاد أن الثقافة نسبية فما يكون عندك خطأ قد يكون عند غيرك صحيحاً فهذا سيجعل الطالب يتساءل مادام أنهم على حق بالنسبة لثقافتهم ، ونحن على حق بالنسبة لثقافتنا فهذا دليل على أن الحق نسبي ، وليس ثابتاً ، بل أن المجتمع هو الذي يمنحه هذه الصفة ، فإذا عاش في بلاد الغرب الكافرة فعل مايفعلونه لأن ما يفعلونه حق بالنسبة لهم ، وفي هذا فساد عريض ، ودعوته تلك تخالف ماجاء في القرآن الكريم ، من آيات كثيرة تسفه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وتقرر أنهم ضالون وخاطئون ، والرسول ﷺ دعاهم إلى الإسلام ونبذ ماعندهم من الكفر والضلال ، كما هو معلوم من الدين بالضرورة ، لاينكره أحد يعرف الإسلام .

وللأسف أن المؤلف يردد عبارتهم " نسبية الثقافة " مرات كثيرة ، ويدعو المعلمين للأخذ بها فيقول : (وتعني نسبيبة الثقافة بالنسبة للمعلم عدم التعصب لآرائه ، وفرض آراء معينة على التلاميذ بدون مناقشة ، أو تفكير ، كما تعني عدم تعصبه لثقافته القومية ، وتحقير الثقافات الأخرى ، وينبغي أن ينمي لدى تلاميذه " النظرة الموضوعية " للثقافات الأخرى وأن يؤمنوا بالتطور والتغير كسنة للحياة) [1] ، وقوله نسبية الثقافة قلد فيها بعض علماء الإجتماع الغربيين وخاصة " أوغست كونت ، ودوركهايم " أبرز أساطين الوضعية ، يقول محمد أمزيان : (إن الوضعية تعتقد أن الواقع الإجتماعي معقد ، وهو في تغير وصيرورة دائمتين وليست هناك سوى حقائق نسبية مرتبطة بظروف الوسط الإجتماعي ودور الوضعية أن تحل في كل شئ النسبي

(١) ص٩٦ .

مكان المطلق) [1] .

ويقول أيضاً : (وترى الوضعية أنه مادام المجتمع مصدر إنشاء القواعد فليس من المنطقي أن تكون هذه القواعد متشابهة في كل المجتمعات ، فقد رفضت تحديد النموذج المثالي الأخلاقي ، وشعار الحياد الأخلاقي وضع أساساً لتأكيد القيم السائدة والبرهنة على مشروعية العادات الإجتماعية كما هي في المجتمع بغض النظر عما تحمله من معاني خلقية مستحسنة أو مستهجنة فالمجتمع هو الذي يحدد سلوكنا وأخلاقياتنا ، والعرف هو منبع مُثُلنا وكل عادة أقرها المجتمع فهي مشروعة) [2] .

والمؤلف يهدف من نسبية الثقافة إلى عدم تمجيد الثقافة القومية والتعصب ضد الثقافات الأخر فقال : (إن دراسة الثقافة للمعلم تجعله يؤمن بحقيقة التغير وأن الأشياء لا تثبت على حال ومن ثم يعمل على تأكيد هذا الإتجاه في عقول تلاميذه ، وأخيراً فإن دراسة الثقافة تساعد المعلم على التخلص من تعصبه ضد الثقافات الأخرى وتمجيد ثقافته القومية ورفعها فوق كل الثقافات) [3] .

ومن خلال كلامه السابق يتضح أنه لايرى أن ثقافته القومية يجب رفعها فوق كل الثقافات ، لأن الثقافة في نظره نسبية والمجتمع هو الذي يصوغها ، ويطورها فهي لاتثبت على حال وسبق أن بينا أن الإسلام ثابت والأخلاق والقيم الإسلامية ثابتة لاتتغير مهما تغيرت أحوال الناس ، فهذا الدين هو

(١) محمد أمزيان . منهج البحث الاجتماعي . ص٦٣ . مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٧- ٦٨ . باختصار .

(٣) ص ١٠٣

خاتم الأديان حتى تقوم الساعة ، أما قوله : ((أن ثقافته القومية لا يرى رفعها فوق بقية الثقافات)) فهذا كلام فيه فساد كبير ومخالف لما علم من الدين بالضرورة إلا إن كانت ثقافته القومية ((ليست إسلامية)) فهذا شيء آخر ، أما إذا كانت ثقافته إسلامية فإنه إذا لم يعتز بدينه ويرى أن دينه هو الصواب والحق ، وأن الأديان الأخرى باطلة فاسدة ، فليس من المسلمين لأن من لوازم العقيدة الإسلامية التبرء من الأديان الأخرى ، وبغض أصحابها وكراهيتهم ، والتمسك بالإسلام واعتباره أنه الحق وغيره الباطل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٦) .

وأما قوله ((على المعلم عدم التعصب لآرائه ، وعدم التعصب لثقافته

---

(١) سورة آل عمران . آية (١٩) .

(٢) سورة آل عمران . آية (٨٥) .

(٣) سورة يونس . آية (٣٢) .

(٤) سورة الجاثية . آية (١٨) .

(٥) سورة الأنعام . آية (١٥٣) .

(٦) سورة المائدة . آية (٤٤) .

القومية)) فهذا خطأ كبير فاحش ، لأن التعصب للحق وللدين الإسلامي من الإيمان ، والتعصب للدين بمعنى التمسك به بشدة ، والتعصب في اللغة : بمعنى الإقامة على الأمر والملازمة له ، ومنها العصابة أي العمامة ، والتعصب بالشئ تقنع به ورضي به [1] ، فإذا كان المقصود من التعصب للثقافة القومية يعني التمسك على الدين بشدة فهذا من لوازم الإيمان الذي هو التصديق الجازم برسالة محمد ﷺ تصديقاً لا يخالطه شك ولاريب ، واعتقاد الأديان الأخرى باطلة ، وأن مصير أهلها إلى النار وأن الله لايقبل إلا هذا الدين ، ومحبته أيضاً أن يعلو على غيره من الأديان الأخرى الباطلة ، واعتزازه بدينه ، فهذا هو معنى قوله : لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

وكراهية المسلم لأهل الأديان الأخرى ، وعدم موالاتهم بل إنه يعاديهم فهذا من الولاء والبراء الذي هو من عناصر العقيدة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [3] وقال ﷺ : ((**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه**

(١) ابن منظور . لسان العرب . ج٤ . ص٢٩٦٣- ٢٩٦٦ .

(٢) سورة التوبة . آية (٢٣) .

(٣) سورة المجادلة . آية (٢٢) .

كما يكره أن يقذف في النار))[1] ، ويقول المؤلف : (يجب أن يربى الإنسان على أخوة الإيمان ، وأخوة الإنسان حيثما كان فنحن ننتمي إلى الإنسانية جميعاً ، وكلنا لآدام وآدم من تراب)[2] ، ثم يقول أيضاً : (والتربية عامل هام في توحيد الإتجاهات الدينية والفكرية والثقافية لدى أفراد المجتمع)[3] ، ويظهر من كلامه هذا أن المؤلف يرى أن الناس يجب أن يكونوا أخوة ، المسلمين والنصارى ، واليهود تحت أخوة إنسانية لأن الجميع أباهم آدم ، وهذا دليل سقيم ، وحجة واهية ، فلا أخوة في المجتمع الإسلامي غير أخوة الإسلام ، أما غير المسلمين من الكفار فتجب على المسلم التبرء منهم ، وعدم محبتهم ، وعدم موالاتهم ، وإنما يجوز معاملة بعض الكفار بالحسنى الذين لم يقاتلوا المسلمين ، ولم يساعدوا أعداء المسلمين ، وأما الدعوة إلى توحيد الإتجاهات الدينية والفكرية والثقافية في المجتمع ، فإذا كانت تلك الإتجاهات الدينية المتنوعة ستوحد في اتجاه الإسلام أي أن أصحاب الأديان الأخرى سيدخلون في الإسلام ، فهذا هو المطلوب شرعاً ، أما إذا كانت ستتوحد تحت مظلة أخرى غير إسلامية فهذا مرفوض ولا يجوز فعله من المسلمين ، ويظهر أن المؤلف يدعو إلى ما يسمى " زمالة الأديان " ، يقول محمد القحطاني عن زمالة الأديان : (يراد من وراء هذا التقريب والزمالة المزعومة إضاعة تميّز المسلم وانصهار شخصيته في تيار هذه الدعوة المشبوهة ، والرسالات السماوية التي أنزلها الله على رسله كلها تدعو إلى

---

(١) البخاري . ج١ . ص ١١ . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان . حديث رقم (١٦) . وأطراف الحديث في ٢١ ، ٦٠٤١ ، ٦٩٤١ . ومسلم . ج١ . ص ٦٦ . كتاب الإيمان . حديث رقم (٤٣) .

(٢) ص ١٣ .

(٣) ص ١٨ .

عبادة الله وحده . قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ ﴾ (١) . مع اختلاف في الشرائع اقتضتها حكمة ربانية لانعلمها ، ولكن الرسالات التي سبقت الرسالة المحمدية الخاتمة اعتورها التحريف والتبديل الذي صنعته أيد بشرية . قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) لذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته أن تكون رسالة محمد بن عبد الله ﷺ هي خاتمة الرسالات وناسخة لما قبلها من الشرائع)) (٣) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٥) ، فلا زمالة بين الأديان ، وقد يختلط على البعض دعوة الإسلام إلى المعاملة بالحسنى مع الكفار الذين لم يعادوا المسلمين ولم يقاتلوهم وبين موالاة الكفار ، فالموالاة للكافر محرمة ، والمعاملة بالحسنى لمن لم يحارب المسلمين ولم يساعد من يحارب المسلمين شيء آخر بل هو مشروع . قال تعالى : ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) سورة النحل . آية (٣٦) .

(٢) سورة البقرة . ية (٧٩) .

(٣) الولاء والبراء . ص ٣٤٦- ٣٤٧ .

(٤) سورة آل عمران . آية (١٩) .

(٥) سورة آل عمران . آية (٨٥) .

الْمُقْسِطِينَ ﴾ [1] .

٦- الأصول الفلسفية :

قام المؤلف عند حديثه عن الأصول الفلسفية باستعراض مفاهيم الفلسفة وذكر من تلك المفاهيم أن الفلسفة (محاولة التفكير بأكثر الطرق عموميةً ونظاماً في كل شيء في الكون) [2] ، وقد تكون الفلسفة موجهة للسلوك فتكون (إرشادية توجيهية أو معيارية عندما تقوم بتزكية بعض القيم والمثل العليا) [3] ، والفلسفة قد تكون أداة نقد وتحليل [4] . وقد تضمن هذا الباب من كتابه نقل تام لأفكار فلاسفة الغرب في القضايا الرئيسية في الفلسفة مثل المعرفة ، والقيم ، وحقيقة الكون ، والأهداف التربوية ، والطبيعة الإنسانية ، كذلك استعرض المدارس الفلسفية الغربية مثل : المثالية ، والواقعية ، والبراجماتية " الوصولية " ، وعند استعراضه لأفكار الفلاسفة الغربيين تارة يسكت عن الأفكار المتضمنة مخالفة صريحة للدين الإسلامي ، وتارة يذكر رأي الإسلام ، وإذا ذكر رأي الإسلام فإنه في كثير من الأحيان يخطئ ويأتي بأقوال عجيبة لا تمثل القرآن والسنة ويظن هذا رأي الإسلام وسنورد بعضاً من آرائه تلك .

مصادر المعرفة :

وعندما تحدث عن مصادر المعرفة في الإسلام ذكر ثمانية مصادر ، من تلك المصادر التي ذكرها :

---

(١) سورة الممتحنة . آية (٨) .

(٢) ص ١٣٩ .

(٣) ص ١٤١ .

(٤) ص ١٤٢ .

المصدر الأول :

المعرفة اللدنية . وقال عنها : ((هي المعرفة التي يكشفها الله للإنسان ، والله عز وجل في معرفته غير المحدودة يلهم بعض الناس المختارين ، ويوحي لهم بتعاليمه ليحملوها إلى الناس ، وتكون متاحة أمام جميع الجنس البشري)) [1] والمؤلف خلط بين الوحي الخاص بالانبياء والرسل ، وبين الالهام الذي جعله الله للرسل وغيرهم ، والالهام ليس من مصادر المعرفة اليقينية في الإسلام ، فهو مصدر للمعرفة لكنه لايصل إلى درجة الوحي أو التجربة أو العقل ، فهو يحتاج إلى تأكيده من المصادر الرئيسة ، ويساعد في الوصول إلى المعرفة اليقينية .

وبعض المتصوفة توسعوا في الالهام ويسمونه (المعرفة اللدنية) فأصبح عند طائفة من هؤلاء أنه مشابه للوحي أو في درجة أقل من ذلك ، وأخذوا مسمى المعرفة اللدنية من قوله تعالى عن الخضر في سورة الكهف : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [2] وقوله (مِن لَّدُنَّا) قال المفسرون : أي علمناه من عندنا علماً ، قال ابن جرير الطبري رحمه الله : ((وقوله ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ علمناه من عندنا علماً)) [3] . وقال الشوكاني رحمه الله : ((﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ وهو ما علمه الله سبحانه من علم الغيب الذي

---

(١) ص ١٨٦ .

(٢) سورة الكهف . آية (٦٥) .

(٣) ابن جرير الطبري . جامع البيان في تفسير القرآن . ج١٥ . ص ٢٧٦ .

استأثر به ، وفي قوله من لدنا تفخيم لشأن ذلك العلم وتعظيم له)) [1] وقال أيضاً رحمه الله ((وليس في ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل ، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر ، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن)) [2] ، ثم قال : ((وقد ذهب الجمهور أن الخضر كان نبياً ، لقوله تعالى : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ أي عن اجتهادي ورأيي ، فقد علم بقوله : ﴿ فأراد ربك ﴾ أنه لم يفعل الخضر عن أمر نفسه)) [3] ، وقال القرطبي رحمه الله : ((والعبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور بمقتضى الأحاديث الثابتة والخضر نبي عند الجمهور ، قاله الخطابي وغيره والآية تشهد بنبوته ، لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي)) [4] .

ولكن بعض المتصوفة ذهبوا إلى أن قوله ﴿ من لدنا ﴾ دليل على أن هناك معرفة لدنية شبيهة بالوحي ، يمكن عن طريقها للناس أن يصلوا إلى معرفةٍ شبيهةٍ بمعرفة الأنبياء [5] ، وقد تصدى علماء السلف لهذا الانحراف في مصادر المعرفة فنقل القرطبي رحمه الله تعالى عن شيخه أبي العباس (أحمد بن عمر ،

---

(١) الشوكاني . فتح القدير . ج٣ ، ص٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق . ج٣ ، ص٢٩٩ .

(٣) المرجع السابق . ج٣ ، ص٣٠٤ .

(٤) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج١١ ، ص١٦ .

(٥) انظر محمد جمال الدين القاسمي . تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) . ج٧ ، ص٧٨ - ٨٢ . حيث ذكر رحمه الله مختصراً لرسالة أبي حامد الغزالي في العلم اللدني .

ت ٦٥٦ هـ) قوله : ((ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية ، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة ، وأما الأولياء ، وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من الخواطر ، وقالوا : وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار ، وخلوها عن الأغيار ، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية ، فيقفون على أسرار الكائنات ، ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر ، فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم . وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ، لأنه إنكار ما علم من الشرائع ، فإن الله تعالى قد أجرى سنته ، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه ، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه ، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [3] الآية إلى غير ذلك من الآيات .

(١) سورة الحج ، آية (٧٥) .

(٢) سورة الأنعام ، آية (١٢٤) .

(٣) سورة البقرة . (٢١٣) .

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري وإجماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل ، فمن قال أن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر ، يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب . ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله ، فلا نبي بعده ولا رسول ، وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه هو حكم الله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه ، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه النبوة فإن هذا نحو مما قاله عليه الصلاة والسلام : ((**إن روح القدس نفث في روعي ...**)) الحديث)) [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى ، وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها ، وكثير منهم يفضل الولي – في زعمه – إما مطلقاً وإما من بعض الوجوه على النبي زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم ، وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات ، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر)) [2] .

---

(١) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج١١ ، ص٤٠ – ٤١ . وحديث ((**أن جبريل ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ...**)) إلى آخر الحديث خرجه الحاكم . في المستدرك . كتاب البيوع . ج٢ ، ص٤ .

(٢) ابن تيمية . الفتاوى . المرجع السابق . ص٦٥ .

فالإلهام ليس من المصادر اليقينية للمعرفة لأنه قد يختلط بالوساوس الشيطانية أو شطحات التفكير فمن الصعب التعويل عليه معرفة يقينية ولكنه يساعد كثيراً في الوصول إلى المعرفة ، فهو أشبه ما يكون بالفروض في البحث فيعرض الإنسان ما جال في فكره على المصادر اليقينية للمعرفة : الوحي (القرآن والسنة) أو العقل أو التجربة فإما أن يصدق ذلك الإلهام أو أن يكذب وكان الأولى بالمؤلف أن يفرق بين وحي الأنبياء وبين المعرفة اللدنية ، أو الإلهام أو الحدس ، قال شيخ الإسلام : ((وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى ، كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد ، ولهذا وجب عليهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآرائهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا يكتفوا بمجرد ذلك فإن سيد المحدثين والمخاطبين الملهمين من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب وقد كانت تقع له وقائع فيردها عليه رسول الله ﷺ)) [1] .

والمصدر الثاني للمعرفة عند المؤلف : المعرفة الوثقى ، وقال عنها : ((وهذه المعرفة تصدر عن كبار العلماء والمختصين ، مثل المعرفة الموجودة بدوائر المعارف الإسلامية وأمهات الكتب الإسلامية مثل : الرسائل العلمية والمطبوعات المختصة)) [2] ، ولم يذكر المؤلف دليله على أن المعرفة التي تصدر عن كبار العلماء والمختصين مصدر من مصادر المعرفة ، فليس من مصادر المعرفة في الإسلام هذه المعرفة التي سماها المؤلف " الوثقى " ، وكبار العلماء المسلمين ليس قولهم مصدراً من مصادر المعرفة ، وإنما يكون مصدر

(١) المرجع السابق . ص٦٥ .

(٢) ص١٨٧ .

المعرفة الدليل الذي اعتمدوه في فتواهم ما عدا الإجماع ، والإجماع ليس هو الكلام الموجود في دوائر المعارف الإسلامية ، لأن أقوال الكتاب فيها لا تمثل الإجماع الشرعي الذي يكون مصدراً من مصادر التشريع ، ودائرة المعارف الإسلامية قال عنها أنور الجندي : ((إن الشبهات المضادة للإسلام وأقوال خصومه نسقت في موسوعات أهمها دائرة المعارف الإسلامية ، وإنها تقدم معلومات زائفة)) [1] ، وليست أمهات الكتب الإسلامية مصدراً للمعرفة في الإسلام فالمعرفة في الإسلام كانت موجودة قبل فترة التدوين ، ويظهر أن المؤلف يخلط بين مصادر المعرفة ، وبين التطبيقات العملية لإستخدام تلك المصادر ، فالوحي أحد المصادر الرئيسة في المعرفة وطريقة الإطلاع عليه تكون بتلاوة القرآن الكريم وقراءة مصادر الحديث المختلفة ، فيطلع الإنسان على هذا المصدر عن طريق الكتاب والسنة كما أن فتاوى كبار العلماء لا تمثل مصدر المعرفة ، وإنما المصدر الدليل الذي استند عليه العالم في فتواه من الكتاب والسنة .

والمصدر الثالث للمعرفة في الإسلام في نظر المؤلف :((النقل عن السلف وقال : هو ما يمثل مسلك الخبر الصادق الذي يفيد العلم والمعرفة ، وهناك أخبار مقطوع بصدقها مثل أخبار القرآن ورسله وأنبيائه ومن هم في مرتبتهم)) [2] .

والمؤلف خلط مرة أخرى بين هذا المصدر والوحي ، فالنقل عن السلف إذا

---

(١) أنور الجندي . أسلمة المناهج والعلوم . ص٥٦ . ودائرة المعارف الإسلامية التي أشار إليها أنور الجندي هي التي صدرت من بريطانيا باللغة الانكليزية أصلاً ثم ترجمت في مصر ترجمة غير كاملة وعلق عليها بعض العلماء

(٢) ص١٨٧ .

كان هذا النقل مثل نقل القرآن والسنة فهو " الوحي " المصدر الذي سماه " المعرفة اللدنية " ، أما إذا كان مصدر المعرفة سماع أقوال العلماء فإن أقوالهم ليست مصدراً من مصادر المعرفة ، إلا إذا كان هناك إجماع منهم على قول معين ، وهذا حكمه حكم الإجماع ، وأما أقوالهم فما وافق منها القرآن أو السنة أصبح مصدره القرآن والسنة ، وما كان فيه اجتهاد في ضوئهما ، فإن كان الإجتهاد مبنياً على أصول الاجتهاد وقواعده في الإستنباط فهو لا يخرج عن نطاق الوحي مصدر للمعرفة ، لأنه قد سلك المسلك الشرعي الذي دل عليه القرآن والسنة فلا داعي للمؤلف أن يجعل هذا مصدراً من مصادر المعرفة فإن فيه خلطاً وتشويشاً على القارئ ، كذلك قال : ((وهناك أخبار مقطوع بصدقها مثل أخبار القرآن الكريم ، ورسله وأنبيائه ومن هم في مرتبتهم)) وأخبار القرآن علمناها ، لكن من هم رسله وأنبياؤه ، الذين مقطوع بصحة الأخبار عنهم ؟ إن كان النبي محمد ﷺ ، فهو واحد وكان الأولى أن يقول القرآن والسنة ، ولكنه قال : ((ورسله وأنبياؤه)) فالرسل والأنبياء الآخرين غير محمد ﷺ مثل موسى وعيسى ، وأنبياء بني اسرائيل مثل سليمان وداود وغيرهم عليهم الصلاة والسلام ، فهؤلاء الأخبار عنهم غير مقطوع بصدقها ، بل أخبرنا الله عز وجل من أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد حرفوا كتبهم ، وقال عز وجل عنهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] وقال عز وجل عنهم أيضاً : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ

(١) سورة البقرة . آية ٧٥ .

عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [1] فليست التوراة والأنجيل مصدر من مصادر المعرفة في الإسلام وأما قوله : ((ومن هم في مرتبتهم)) فالرسل والأنبياء لا يوجد بشر آخرين في مرتبتهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء وقد رتب الله عباده السعداء المُنْعَمِ عليهم أربع مراتب : فقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾ [2] ، وفي الحديث : ((**ما طلعت الشمس ولاغربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر**)) [3] ، وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [5] وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند : ((**أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها**

---

(١) سورة البقرة . آية ٧٩ .

(٢) سورة النساء . آية ٦٩ .

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة . تحقيق وصي الله بن محمد عباس . ص١٥٣ ، حديث رقم (١٣٥) ط١ - مكة المكرمة : جامعة أم القرى . مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤٠٣هـ .

(٤) سورة آل عمران . آية ١١٠ .

(٥) سورة فاطر . آية ٣٢ .

وأكرمها على الله تبارك وتعالى)) [1] وأفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول . وثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال : ((**خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**)) [2] وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه)) [3] .

والمصدر الرابع من مصادر المعرفة في الإسلام – في نظر المؤلف – :

التقليد :

وقال : ((وما يعنيه الإسلام هو التقليد الواعي الحكيم الذي يتحقق به منفعة محققة للإنسان)) ولم يذكر المؤلف دليله على أن التقليد من مصادر المعرفة في الإسلام ، بل إن الإسلام اعتبر التقليد من عوائق المعرفة ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [5] ، قال ابن الجوزي : ((اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه ، وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خُلِقَ للتأمل والتدبر ،

---

(١) رواه أحمد . المسند . ج٤ ، ص٤٤٧ . وابن ماجه . كتاب الزهد . ج٢ ، ص١٤٣٣ . حديث رقم (٤٢٨٨) ، واللفظ لأحمد .

(٢) رواه البخاري . كتاب الشهادات . حديث رقم (٢٦٥٢) . ج٣ ، ص٢٠٤ . ومسلم . كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٥٣٣) . ج٤ ، ص١٩٦٢ .

(٣) ابن تيمية . الفتاوى . ج١ ، ص٢٢١ .

(٤) سورة لقمان . آية (٢١) .

(٥) سورة البقرة . آية (١٧٠) .

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يَعظُم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل)) [1] .

والمصدر الخامس من مصادر المعرفة في الإسلام – في ظن المؤلف – : المعرفة (الحدسية) :

وقال : ((لعل الحدس أكثر طرق المعرفة اتصالاً بشخصية الفرد وهو يحدث على أساس ما يطلق عليه علماء النفس اسم : ((المستوى الأدق من الوعي أي تحت عتبة الشعور) وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعور الوجداني ويتباين عن العمليات المنطقية التي ترتبط عادة بالتفكير في المستوى الشعوري)) [2] ، والحدس أو الإلهام ، ليسا من مصادر المعرفة اليقينية في الإسلام وكما سبق أن عرضنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الإلهام يخطئ ويصيب فيجب عرض مواجيد الإنسان ومشاهداته على القرآن والسنة هذا إن كان في أمور الدين ، وأما إن كان في أمور الدنيا ، فالتجربة أو البرهان العقلي يصدق أو يكذب هذا الإلهام ، لأن الإلهام أو الحدس هو نوع من الخواطر التي ترد على الإنسان دائماً ، وقد يَصدُق بعضها ويُخطِئ بعضها كما هو معلوم ، وإنما يتحقق الإنسان من صدق هذا الإلهام أو الحدس بالبرهان العقلي أو التجربة إن كان ميدان ذلك العلوم الطبيعية ، أما إن كان في أمور الشريعة والدين فإنه يعرضه على القرآن والسنة ،ويتضح أن المؤلف يخلط بين مصادر المعرفة فيقول : المعرفة الحدسية والمعرفة اللدنية ، وكلاهما

(١) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . ص٩٤ – ٩٥ .

(٢) ص١٨٩ .

بمعنى واحد ، إلا إذا كان مقصوده بالمعرفة اللدنية أنها الوحي فهذا خطأ في التسمية وهي ليست مشاعة لكل الناس بل إنها مخصوصة بالرسل والأنبياء .

والمصدر السادس من مصادر المعرفة التي ذكرها المؤلف : المعرفة العقلية : وهذا من مصادر المعرفة في الإسلام ، التي سنشير إليها بعد نهاية مناقشة المؤلف .

والمصدر السابع من مصادر المعرفة التي ذكرها المؤلف ونسبها إلى الإسلام الاجتهاد :

وقال : ((يعتبر الاجتهاد نمطاً من أنماط المعرفة ، ومصدراً من مصادرها في التربية الإسلامية ، وقد كان الاجتهاد دائماً دليلاً على تقدم المسلمين ورقيهم لأنه يساعدهم على تطويع أمور دينهم لدنياهم على اختلاف أحوالها على مر السنين)) [1] ، ويظهر من عرض المؤلف أنه يخلط بين المصادر ، فقد أشار إلى المعرفة العقلية تارة وإلى المعرفة اللدنية التي يقصد بها الوحي ، ثم المعرفة عن طريق الاجتهاد ، والاجتهاد في الشريعة ليس هو المصدر إنما المصدر ما يستند عليه الاجتهاد وهو القرآن والسنة ، والاجتهاد هو الفعل الذي يقوم به الفقيه فهو يطلق على فعل المجتهد وليس هو المصدر ، فلا يوجد في مصادر الشريعة مصدراً اسمه الاجتهاد ، إنما المصدر هو القرآن والسنة ، وطريقة البحث فيهما لها ضوابط مستنبطة أيضاً من القرآن والسنة ، وأما قول المؤلف ((إن الاجتهاد يساعدهم على تطويع أمور دينهم لدنياهم على اختلاف أحوالها على مر السنين)) ، فهذا الكلام لم يُسبق إليه المؤلف ، إذ لم يعثر الباحث على أحد قال بهذا القول من طوائف المسلمين ، وليس الاجتهاد هو

(١) ص١٩٢ .

تطويع الدين للدنيا ، بل الاجتهاد هو العمل الذي يقوم به المجتهد في استنباط حكم شرعي من القرآن والسنة وفق ضوابط شرعية قررها العلماء في ((علم أصول الفقه)) والاجتهاد عند الأصوليين هو (بذل الفقيه وسعه في استنباط الحكم الشرعي العملي من الدليل التفصيلي) . والمراد من الفقيه في التعريف الذي يتمكن من استنباط الأحكام العملية من الأدلة الشرعية ، فمن يعرف الأحكام الشرعية و لم تكن لديه القدرة على استنباط الحكم الشرعي العملي من الدليل الشرعي لا يقال له فقيه ولا مجتهد ولا مفتي)) [1] ، وللمجتهد شروط ذكرها العلماء منها : الإسلام ، والعلم باللغة العربية ، ومعرفة القرآن والسنة ، والإجماع ، وعلم أصول الفقه ، ومقاصد التشريع [2] . وليست الغاية من الاجتهاد هو تطويع الدين للدنيا ، بل هو معرفة الحكم الشرعي والالتزام به .

والمصدر الثامن من مصادر المعرفة التي ذكرها المؤلف : المعرفة ((الحسية))

وهي المعرفة التي تأتي عن طريق السمع والبصر والشم واللمس والذوق ، وتتكون المعرفة من أفكار تتشكل وفق وقائع تمت ملاحظتها [3] .

مصادر ووسائل المعرفة في الإسلام :

وسائل المعرفة هي الآلات الموصلة إلى مصدر المعرفة ، وقد ذكر الله عز وجل ثلاث وسائل للمعرفة في كتابه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

(١) محمد زكريا البرديسي . أصول الفقه . ص٤٥٩ . ط١ – القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د.ت.)

(٢) المرجع السابق . ص٤٦٧ باختصار .

(٣) ص١٩٢ .

تَشْكُرُونَ ﴾ [1] ، فبين عز وجل أن الإنسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً إلا بالوسائل التي ذكرها وامتن بها على عباده وهي : السمع والبصر والفؤاد فعن طريقها يتعلم الإنسان فهي آلات العلم .

وأما العلم بذاته فهو نوعان ذكرهما الله سبحانه وتعالى ، وهو الوحي الذي أنزله على رسله ، قال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [2]

والنوع الآخر : وهو سنن الله المبثوثة في الكون المشهود قال تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [4] ، فهذه السنن المبثوثة في الكون ليتعلم منها الإنسان .

ومن ثم أصبحت مصادر الوصول إلى المعرفة ثلاثة : إما عن طريق كتاب الله وسنة رسوله وهو الوحي أو عن طريق العقل ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [5] ، أو عن طريق السمع

---

(١) سورة النحل . آية (٧٨) .

(٢) سورة المائدة . آية (١٥) .

(٣) سورة آل عمران . آية (١٩١) .

(٤) سورة الأنعام . آية (١١) .

(٥) سورة الملك . آية (١٠) .

والبصر ، وكثير ما يقرنهما الله سبحانه وتعالى في كتابه كقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (١)

تلك هي مصادر المعرفة اليقينية : الوحي والسمع والبصر والفؤاد " العقل " فيكون برهان المعرفة إما دليلاً من القرآن والسنة أو دليلاً بالمشاهدة والسماع كالتجربة والملاحظة ، أو بالبرهان العقلي كعلوم الرياضيات ونحوها .

وهناك مصادر للمعرفة أقل درجة من المصادر السابقة ويمكن أن نسميها " ظنية " لأنها لا يعول عليها في الأحكام ، ومن الصعب التحقق منها إلا عن طريق المصادر اليقينية مثل : الرؤيا ، والإلهام أو الحدس ، والفراسة . فتلك مصادر للمعرفة لكنها غير يقينية ، والمعرفة التي يحصل الإنسان عليها من تلك الطرق لابد من تحكيمها على المصادر اليقينية السابقة ، ولهذا لم يرتب الشرع أحكاماً على تلك المصادر الظنية ، فلا يجوز أن يقضي القاضي برؤيا رآها ، ولا أمر المسلم أن يتعلم من الشرع أمراً عن طريق الرؤيا ، بل لابد من تحكيم ذلك على الكتاب والسنة .

كذلك الإلهام فإنه يخطئ ويصيب فلابد من تحكيم ما يجول في نفس الإنسان على مصادر المعرفة اليقينية .

ومصادر المعرفة الظنية مهمة جداً من حيث أن الباحث عن المعرفة يتفاعل نفسياً وعقلياً مع الموقف الذي يبحث فيه عن تعليل ، ومن ثم يجول في قلبه احتمالات وفروض لتعليل المسألة واستكشاف قانونها أو دليلها ، ومن ثم فإن الإلهام وغيره من مصادر المعرفة الظنية من أقوى المحفزات للوصول إلى

---

(١) سورة الإسراء . آية (٣٦) .

الفروض الصحيحة ، ومن ثم يقوم الباحث بالتحقق من فروضه على قواعد المعرفة وبراهينها التي تعتمد أصلاً على المصادر اليقينية ، وهي الدليل من الكتاب أو السنة أو البرهان التجريبي أو العقلي ونحو ذلك من البراهين اليقينية أما الدخول في البحث بطريقة " آلية " دون تفاعل نفسي بين الباحث والموقف فإن ذلك وإن كان سبيلاً من سبل المعرفة إلا أنه يأخذ وقتاً طويلاً قياساً على الطرق التي تساهم فيها مصادر المعرفة الظنية .

كما أن مصادر المعرفة الظنية تقوى كلما طهر القلب من الشرك والكفر ومن المعاصي والذنوب كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [1] ، ومن ثم تكون التقوى ذات أثر عظيم في تسهيل الوصول إلى المعرفة ، وذهب عبد الحميد أبو سليمان إلى أن مصادر المعرفة في الإسلام هي : الوحي ، والعقل ، والكون ، ولم يوضح ما يقصده بالكون ، ويظهر من سياق عرضه أنه يقصد التجربة [2] ، وقال عن الوحي : أنه مصدر أساسي لمعرفة الإنسان تُبَصِّرُه بغاية وجوده ومكانه من هذا الوجود ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [3] ، وليس للإنسان من وسيلة لمعرفةٍ يقينية بغاية وجوده ومكانته في هذا الوجود وعلاقته بما وراء الوجود ، وما وراء الحياة إلا بواسطة الوحي ، والوحي الموثق الصحيح هو الوسيلة الوحيدة لهذا النوع من المعرفة ، يستكمل به الإنسان وجوده وأدواته للسير في هذه الحياة ، فالوحي

---

(١) سورة البقرة . آية (٢٨٢) .

(٢) عبد الحميد أحمد أبو سليمان . أزمة العقل المسلم . ص١١٦ وما بعدها ، ط٢ - ١٤١٢هـ = ١٩٩١م . مكة المكرمة : مكتبة المنار .

(٣) سورة الملك . آية (٢) .

للعقل والإدراك وللفكر الإنساني في هذه الحياة ضروري ومكمل ولا غنى عنه ولا يمكن للإنسان وللفكر الإنساني في هذه الحياة بلوغ مرحلة اليقين والطمأنينة واستكمال دليل حركة الحياة دون اعتماد الوحي الصحيح مصدراً أساسياً ليستكمل به معرفة العقل وعلمه في شؤون عالم الشهادة ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) والعقل الإنساني للإنسان هو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة)) (٢) ، وعن علاقة العقل بالوحي يقول : ((والعقل هو الذي يميز بين الوحي الخير الصحيح الموثق والدجل والخرافة والكهانة الكاذبة الفاسدة الضالة ، وهو الذي يُمكن الإرادة الإنسانية من الخيار ويضعها أمام مسؤولية المسلك والمصير . فلا مجال لوجود الإنسان إنساناً ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي مصدراً للمعرفة والتوحيد والعلم ولا مجال لمسؤولية الخلافة والإعمار دون وجود العقل ، ولما كان وحي الأمم قبلنا قد أفسده التحريف وقضى على مصداقيته مصدراً يقينياً للمعرفة فإن العقل المسلم وقد تميز بالرسالة الكاملة الصاقة تميزاً تتكامل مصادر معرفته في العالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، فالوحي مصدر علم الكليات وعالم الغيب والعقل مصدر علم الشهادة)) (٣) ، وقال أبو الأعلى المودودي رحمه الله : ((إن هذه

(١) سورة المائدة . آية (١٥ - ١٦) .
(٢) المرجع السابق . ص١١٨ .
(٣) المرجع السابق . ص١١٨ - ١١٩ .

الكلمات [1] لم يتنزل بها الوحي في كتاب الله لتعني فقط مجرد القدرة على الرؤية والسمع والتفكير ، ذلك بأن (السمع) معناه هنا إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون ، و (البصر) معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث ، و (الفؤاد) معناه تنقيتها من أدرانها وأوشابها ثم استخلاص النتائج منها وهذه القوى الثلاث إذا ما تضافرت بعضها على بعض نجمت عنها تلك (المعرفة) التي منَّ الله سبحانه بها على بني آدم ، هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات ويسخرها لإرادته وسلطانه)) [2] .

الطبيعة الإنسانية وحرية الإرادة :

وقال المؤلف تحت هذا العنوان : ((شُغِلَ علماء المسلمين كثيراً بهذا الجانب من الطبيعة الإنسانية وانقسموا إلى فريقين : **أحدهما** ذهب إلى القول بأن الإنسان مجبر في أعماله ولا حرية له فيما يفعل ، وهؤلاء سموا بالجبرية ، **والفريق الثاني** قال : بأن الإنسان مخير وهو يمارس حرية الإرادة وأنه قادر على التصرف بمحض اختياره وإرادته ، ولهذا سموا بالقدرية ، وكلا الفريقين يستند في رأيه إلى أسانيد من القرآن الكريم والسنة النبوية)) [3] وكلامه هذا فيه مغالطة كبيرة ، وكذب بَيِّنٌ ، واتهام للمسلمين بالضلال والإبتداع ،

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . سورة النحل . آية (٧٨) .

(٢) محمود مهدي الإستانبولي . المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم . ط٢ . ص٨ - المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

(٣) ص ٢٠٤ .

ويدل هذا الكلام على جهل المؤلف بمقالات المسلمين في ذلك ، فليس المسلمون منقسمون إلى قسمين : جبرية وقدرية ، ومن قال ذلك فقد اتهم الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين بالإبتداع وبالضلال وبالإنحراف عن القرآن والسنة ، لأن الجبرية والقدرية من الفرق الضالة وليس الصحابة والتابعين والمسلمين عموماً جبرية أو قدرية ((والجبرية والقدرية كليهما عقيدتان فاسدتان متقابلتان منحرفتان وخارجتان عن عقيدة القرآن والسنة في القضاء والقدر ، هذه العقيدة التي تقوم على إثبات تقدير الله عز وجل لكل شيء ، وكل حدث ، وتدوينه بالقلم في أم الكتاب قبل خلق السماوات والأرض ، وفي نفس الوقت إثبات الحرية الإنسانية بالقدر الذي يدين الإنسان ويحمله المسؤولية على أفعاله الخلقية ، فأخذت الجبرية بالأساس الأول وتجاهلت أو جهلت الأساس الثاني ، وأخذت القدرية الأساس الثاني وأنكرت الأساس الأول ، ومن ثم سلكت إحدى الفرقتين أحد السبل الخارجة عن الصراط المستقيم يميناً ، وسلكت الثانية السبيل المقابل يساراً)) [1] .

قال علي بن أبي العز الأذرعي رحمه الله : ((والذي عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء بقضاء الله وقدره وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ، ولكن الكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله ، وهذا من أقبح الإعتقاد وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل)) ثم قال رحمه الله : ((ومنشأ الضلال من التسوية بين

(١) فاروق أحمد الدسوقي . القضاء والقدر في الإسلام . ج٢ . ص١٤٨ - ١٤٩ . ط - بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى ، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ، ثم اختلفوا فقالت الجبرية : الكون كله بقضاء الله وقدره فيكون محبوباً مرضياً ، وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوب لله ولا مرضية له فليست مقدرة ولا مقضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه)) [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب (القضاء والقدر) وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد ، وغير أفعال العباد ، وأنه سبحانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته ، ولا يمتنع عليه شيء شاءه ، بل هو قادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها .

وقدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك ، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون ، وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم ، وكتابته السابقة ، ويزعمون أنه أمر ونهى وهو لا

---

(١) علي بن أبي العز الأذرعي . شرحه على أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي . ص١٠٠ - ١٠١ ، بدون تاريخ .

يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف (أي : مستأنف) ، وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين ، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة ، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة " معبد الجهني " فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرءوا منهم ، وأنكروا مقالتهم كما قال عبد الله بن عمر : ((إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني)) ، وكذلك كلام ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، ووائل بن الأسقع وغيرهم من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين ، حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: أن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون)) [1]

وقال أيضاً رحمه الله : ((ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، مع إيمانهم بالقضاء والقدر ، وأن الله خالق كل شيء ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه ، ومع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله)) [2] .

وقال أيضاً : ((ولم يكن من السلف والأئمة من يقول العبد ليس بفاعل ولا مختار ، ولا مريد ولاقادر ، ولا قال أحد منهم : أنه فاعل مجازاً ، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله ، وأول من ظهر عنه إنكار ذلك الجهم بن صفوان وأتباعه فحُكِيَ عنهم أنهم قالوا : إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلاً ، وليس

(١) مجموع الفتاوى . ج ٨ . ص ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق . ج ٨ . ص ٤٥٩.

بقادر أصلاً ، وكان الجهم غالياً في تعطيل الصفات ، وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية ، بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم ، فإن القدريةحدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة ، فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية أنكرها السلف والأئمة كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم ، وبَدَّعوا الطائفتين)) [1]

المدارس الفلسفية :

استعرض المؤلف ثلاث مدارس فلسفية ، وهي : المثالية ، والواقعية ، والبراجماتية " الوصولية " ، واستعرض من خلال ذلك أفكارها حول الطبيعة الإنسانية ، ونظرية المعرفة مع ما تحمله تلك الفلسفات من تعارض مع القرآن والسنة ، وتعارض مع العقل أيضاً .

من ذلك المثالية واعتقاد أفلاطون أن جميع الأشياء المادية كانت نسخاً غير كاملة لمثل أزلية راسخة أو نماذج أصلية ، وقوله أيضاً : إن المعرفة تأتي عن طريق العقل فقط .

ومن ذلك الواقعية واعتقادها أن الحقيقة مادية فقط ، والواقعيون الدينيون غرضهم من الأخلاق والتربية هو خلاص الأرواح ، وتحررها من الخطيئة المعيبة

ومن ذلك البراجماتية " الوصولية " ومفهوم التغير المستمر ، وأن الإنسان معيار كل شيء ونسبية القيم .

---

(١) المرجع السابق . ج ٨ . ص٤٦٠ .

والمؤلف لم ينتقد أياً من تلك الأفكار التي تضمنتها هذه الفلسفات وإنما اكتفى بعرضها .

النظريات التربوية المعاصرة :

استعرض المؤلف بعض النظريات المعاصرة مثل التقدمية ، والتواترية ، والجوهرية ، والتجديدية ، ويستعرض من خلال ذلك المبادئ الأساسية لكل نظرية . والمؤلف من خلال استعراضه للمدارس الفلسفية ، والنظريات وقضايا الفكر التربوي في الفصل العاشر ، لم يحلل جذور تلك النظريات من ناحية انحرافها عن الأديان ، وخاصة عن الدين الإسلامي ، كذلك لم يبين تهافتها وتعارضها مع الدين والعقل ، وأيضاً خطورتها على دين المسلمين ، وتحذير المعلمين منها ، ففي سكوت المؤلف عن ذلك ، والإكتفاء باستعراضها باعتبار أنها أفكار علمية شائعة تقبلتها الحكومات والشعوب والمربون ، وشاركوا في إثرائها دليل على أن المؤلف يسعى في ترويج مثل تلك المذاهب بين المسلمين ، بل إنها دعوة مبطنة لاعتناقها .

والمؤلف قال في خاتمة استعراضه لتلك المذاهب الفلسفية والنظريات التربوية الغربية : ((لقد بحثنا حتى الآن ثلاث فلسفات أساسية ، بما تتضمنه من مقالات تربوية وكذا أربع نظريات تربوية وضعها المربون أنفسهم ، وقد يكون بعض القراء قد قرروا الآن أي هذه النظريات يتبعون ، أو يوافقون عليها ، إن البعض ولاشك سيشعر بالميل بشكل أو بآخر نحوها جميعاً ، وسيبحث عن الكثير من الأفكار من مختلف المصادر وقد يكون في تجمعها موقف أساسي إزاء التربية)) [1] ، وفي كلام المؤلف هذا دليل على أن المؤلف

---

(١) ص ٢٨٧ .

يعلم أن في عرضه لهذه النظريات الفاسدة المعارضة للدين دعوة صريحة لاعتناقها ، وفي هذا إثم عظيم فقد خرج الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : ((من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمِل بها بعده كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء)) [1] ، وخرج أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)) [2] ، ففي نشر تلك النظريات الفاسدة المتعارضة مع الدين بين المسلمين فيها من الإثم الشيء العظيم ، والأولى بالمؤلف إذا ذكر مثل آرائهم الفاسدة أن يبين حقيقة أقوالهم ويبين فسادها ومخالفتها للدين ليحذروا منها المسلمين .

أما في سكوته عنها ونشرها فإن هذا الأسلوب نوع من الدعوة لاعتناقها ، وهكذا يتضح لنا مدى تبعية المؤلف للفكر الغربي .

---

(١) مسلم . كتاب العلم . حديث رقم (١٠١٧) . ج٤ ، ص٢٠٥٩ .

(٢) مسلم . كتاب العلم . حديث رقم (٢٦٧٤) . ج٤ ، ص٢٠٦٠ .

خلاصة

موضوع الكتاب أصول التربية الثقافية والفلسفية ، والمؤلف كتب هذا الكتاب ليدرس في كليات التربية في العالم العربي والإسلامي ، وكان المفروض من المؤلف أن يجعل أصول التربية مشتقة من الدين الإسلامي ، دين تلك البلدان التي سيدرس فيها الكتاب ، وحيث أن البلاد الإسلامية ليست كالبلاد الغربية من حيث أن الدين مازال هو المهيمن على الناس ، فالأولى بالمؤلف أن يمثل كتابه البيئة التي ألف فيها .

وللأسف فالمؤلف تبنى النظرة الغربية لأصول التربية من حيث ارتكازها على علم الإجتماع الغربي ، ونظرياته الفاسدة نحو الأخلاق ، والدين ، والإنسان ، وكذلك على الفلسفة ، بينما أصول التربية الإسلامية تتمثل في الأصول العقدية ، والتشريعية ، والأخلاقية ، فمصدرها القرآن والسنة .

واتضح لنا في الاستعراض السابق أن المؤلف تبنى بعض المفاهيم المخالفة لما جاء به الإسلام أبرزها :

- الدعوة إلى الأخوة الإنسانية مع معارضتها لعقيدة الولاء والبراء .

- وكذلك رؤيته من حيث أنه ليست رسالة المدرسة الإصلاح بل أنها تسير مع المجتمع حيثما سار ، وهذه يخالف الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

- وكذلك رؤيته لتغير القيم والأخلاق من حيث أن المجتمع هو الذي يصبغها ، وهذا يخالف ثبات الأخلاق والقيم في الإسلام .

- وأيضاً : تبنيه لمفهوم النسبية الأخلاقية ، والثقافية ، وهذا يخالف الرؤية الإسلامية ، من أن معايير الإسلام هي التي تحكم على ممارسات جميع البشر وأن الحق ثابت وليس نسبياً ، وتضمن كتابه عرضاً لأفكار الغرب مع تعارض

بعضها مع القرآن والسنة ، ولم ينتقد تلك الأفكار الخاطئة الفاسدة ، بل اكتفى بعرضها ، وفي فعله هذا ترويج لها بين المسلمين ، وفي هذا الفعل إثم عظيم ، لأن من صور التبعية نقل الأفكار دون نقد لها ، وبيان لفسادها ، وتحذير المسلمين منها ، لأن من لم ينتقد ما يقدمه في كتابه فذلك دليل على تبنيه لتلك الأفكار ، مع أن المؤلف تبنى أفكاراً تتعارض مع الإسلام كما بيناه من قبل ، وفي نقله لتلك الأفكار وترويجها بين المسلمين دعوة مبطنة لاعتناقها وإذا قدمت تلك الشبهات إلى أبناء المسلمين ولم يبين لهم معناها ، ومعارضتها للدين ، ومخالفتها للعقل ، وما تؤول إليه من كفر وإلحاد وزندقة قد تكون سبباً في تعلق تلك الشبهات في قلوبهم ، وقد تجر بعضهم إلى اعتقاد صحتها وصدقها ، فتكون سبباً في خروجه عن الدين ، فعلى المؤلفين الحذر من هذا الأمر ، وعدم التهاون بعرض الشبهات والأفكار الإلحادية بين المسلمين ، فإن من ذلك عليه مثل أثم من اعتنقها ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ .

وخلاصة القول أن المؤلف قد غرق في مستنقع التبعية الفكرية المذمومة .

الفصل الرابع

طريقة التربية الإسلامية في علاج التبعية الفكرية

تمهيد

المبحث الأول : إصلاح ميدان النفس

١- إحياء القلوب

٢- المحافظة على شخصية الإنسان

المبحث الثاني : إصلاح ميدان العقل

المبحث الثالث :تعلم العلم الشرعي

المبحث الرابع : تصحيح المفاهيم

١- الولاء والبراء

٢- الاعتزاز بالدين

٣- المسلم أتم عقلاً من الكافر

٤- معيار صلاح مناهج الأمم

الخلاصة

تمهيد :

تشمل طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية أربعة ميادين :-

الأول : ميدان النفس ؛ حيث أن أصل التبعية الفكرية هو ضعف قوة التمييز وقوة الإرادة ، والتي هي نتيجة لمرض القلب ، مما يجعل الفرد لا يميز بين الحق والباطل ، وإن ميز بينهما لايستطيع التمسك بالحق لأنه يخشى الناس ويقلدهم .

الثاني : ميدان العقل ؛ حيث وهب الله الإنسان العقل ليمكنه من التمييز بين الحق والضلال ، فإذا ما أهمل الإنسان تلك الأداة فإنها تضعف ، ومن ثم تفقد أهميتها في مساعدة الإنسان على التمييز بين الحق والباطل فيقلد الناس دون معرفة وجهتهم .

الثالث : العلم الشرعي ؛ فالجهل من أهم عوامل نشوء التبعية الفكرية ، والإنسان تابع إما للحق أو للباطل ، فما بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا بعث الله الرسل إلى الناس ليبينوا لهم طريق الرشد (الطريق المستقيم)

الرابع : تصحيح المفاهيم التي تتكون بفعل الجهل ؛ وضعف العقل ، والتي تمهد للتبعية الفكرية في الناس .

وسيتعرض الباحث بشيء من التفصيل لطريقة التربية الإسلامية في إصلاح تلك الميادين .

المبحث الأول : إصلاح ميدان النفس

أولاً : إحياء القلوب

يربط الله سبحانه وتعالى بين صلاح أحوال الناس وبين صلاح أنفسهم ، قال تعالى في أعقاب هزيمة أحد : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) ، وقال تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٤) .

فبين الله في هذه الآية أن النعم التي يهبها الله للناس لا ينزعها منهم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم قال سيد قطب رحمه الله في هذه الآية ((يقرر عدل الله في معاملة العباد ، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم ، ويبدلوا سلوكهم ، ويقلبوا أوضاعهم ، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدورها ، ولم يشكروها .. ومن الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم ، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ؛ ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم ، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم .. ومن الجانب الثالث يلقي

---

(١) سورة آل عمران . آية (١٦٥) .

(٢) سورة إبراهيم . آية (٢٢) .

(٣) سورة النساء . آية (٧٩) .

(٤) سورة الأنفال . آية (٥٣) .

تبعة عظيمة – تقابل التكريم العظيم – على هذا الكائن ، فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ، ويملك أن يزاد عليها ، إذا هو عرف فشكر ، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه ، إذا هو أنكر وبطر ، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه)) [1] .

قال ابن القيم رحمه الله : ((وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس – الأمارة بالسوء – فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ، ثم تبعث منها إلى الأعضاء ، وأول ماتنال القلب ، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في خطبة الحاجة ((إنَّ الحمد للهِ نستعينُه ونستغفرُهُ ونعوذُ باللهِ من شرور أنفُسِنا وسيئَات أعمالنا)) [2] .

وقد اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم ، وتباين سلوكهم ، على أن النفس – الأمارة بالسوء – قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب وأنه لايدخل عليه سبحانه ، ولا يوصل إليه ، إلابعد إماتتها وتركها ، بمخالفتها والظفر بها ، فالنفس – الأمارة بالسوء – تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعو إلى خوفه ، ونهي النفس عن الهوى ، والقلب بين الداعيين ، يميل إلى هذا مرة وإلى هذه مرة ، وهذا موضع المحنة والإبتلاء [3] . قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *

---

(١) سيد قطب . في ظلال القرآن . ج ١٠ ، ص ١٥٣٦ . ط ٩ . دار الشروق ، ١٤٠٠هـ .

(٢) ابو داود . كتاب النكاح . باب في خطبة النكاح حديث رقم (٢١١٨) . ج٢ ، ص٢٣٩ . والترمذي كتاب النكاح . باب ما جاء في خطبة النكاح . حديث رقم (١١١١) . ج٢ ، ص٢٨٥ ، وقال حديث حسن . واللفظ للترمذي .

(٣) إغاثة اللهفان . ج ١ ، ص ٧٤-٧٥ ، باختصار .

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١) .

فأصبح الإنسان بين قوتين تتجاذبانه ، ميل النفس نحو الهوى والشهوات ، وميل القلب نحو طاعة الله وعصيان النفس ونهيها عن الهوى ، فهلاك الإنسان من استيلاء النفس الأمارة بالسوء عليه واتباع هواها ، وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**)) (٢) .

والله عز وجل لم يترك الإنسان ونفسه فقط وإنما جعل للإنسان قلباً ، وجعل القلب مسيطر اً على النفس ، قال ﷺ :((**ألا وإنَّ في الجَسدِ مُضْغة إذا صلحتْ صَلَح الجسدُ كُلُّهُ ، وإذا فسَدتْ فَسَد الجسدُ كلّهُ ألا وهي القلبُ**)) (٣) .

قال ابن القيم : ((وجعل الله في القلب قوتين قوة العلم والتمييز ، وقوة الإرادة والحب ، وكماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ، فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته ، والتمييز بينه وبين الباطل وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل فمن لم يعرف الحق فهو ضال ، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في

---

(١) سورة النازعات . آية (٣٧ - ٤١) .

(٢) رواه أحمد . ج٤ ، ص١٢٤ .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري . ج ١ ، ٢٤ ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (٥٢) . ومسلم ، كتاب المساقاة . حديث رقم (١٥٩٩) . ج٣ ، ص١٢١٩ . وأول الحديث ((**إن الحلال بين ، والحرام بين**)) .

صلاتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، ولهذا كان النصارى أخص بالضلال ، لأنهم أمة جهل ، واليهود أخص بالغضب لأنهم أمة عناد ، وهذه الأمة هي المنعم عليهم ولهذا قال سفيان بن عيينة : ((من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لأن النصارى عبدوا الله بغير علم ، واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه)) [1] .

والناس في استخدام تلكما القوتين يتفاوتون ، لأن الإنسان بين ضغط الشهوات والهوى الذي تميل إليه النفس ، وبين قوتي الإدارك والمحبة وهما مغروستان في القلب ، من هذا التفاعل تنقسم القلوب إلى ثلاثة ، ذكرها ابن القيم رحمه الله فقال : ((**قلب صحيح** : وهوالقلب السليم الذي سلم من شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسلم من عبودية ما سواه ، وسلم من تحكيم غير رسوله ، فسلَّم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والذل له ، وإيثار مرضاته في كل حال ، والتباعد عن سخطه بكل طريق . ثم أضاف عن القلب الثاني :

وقلب ميت : الذي لا حياة فيه ، فهو لايعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لايبالي – إذا فاز بشهوته وحظه – رضي ربه أم سخط . فهو متعبد لغير الله ، حباً وخوفاً ، ورجاءً ورضىً وسخطاً ، وتعظيماً وذلاً ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه . والقلب الثالث :

قلب له حياة وبه علة : فله مادتان غذته هذه مرة ، وهذه أخرى ، وهو

---

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ص ٢٤ .

لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الله تعالى والإيمان ، والإخلاص له والتوكل عليه ماهو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصليها والحسد والكبر والعجب وحب العلو ، والفساد في الأرض بالرياسة ماهو مادة هلاكه)) [1] .

ومن ثم أصبح للقلب أثر كبير في توجيه الإنسان نحو الصلاح والفلاح ، من حيث أن الله عز وجل غرس فيه ملكة إدراك الحق ، وقوة الإرادة التي تجعله يتبع الحق ، وإن خالف شهواته ، وخالف ما عليه الناس ، وتلك القوتان اللتان في القلب قد منحهما للناس جميعاً .

فقوة الإدراك مرتبطة بالفطرة التي منحها الله عز وجل للناس جميعاً . قال ﷺ : ((**مامن مولودٍ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول :** ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾)) [2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرحه لهذا الحديث : ((فالفطرة المراد بها الإسلام ، قاله أبو هريرة ، وابن شهاب ، وسئل مجاهد عن الفطرة فقال : ((هي الإسلام)) ، وكذلك قاله قتادة ، ثم قال مجاهد : ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ قال : ((لاتبديل لدين الله)) ، وقاله سعيد بن جبير ، وقتادة ، والنخعي وروي عن ابن عباس وعكرمة في إحدى الروايتين عنهما ، والقول بأن الفطرة الإسلام هو إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وقاله ابن عبد البر

---

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ص ٧-٩ ، باختصار .

(٢) البخاري . كتاب تفسير القرآن . حديث رقم (٤٧٧٥) . ج٦ ، ص٢٢ .ومسلم . كتاب القدر . حديث رقم (٢٦٥٨) . ج٤ ، ص٢٠٤٧ . والآية الثلاثون من سورة الروم .

في " التمهيد " ، وقال آخرون والفطرة ههنا الإسلام ، قال : وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل)) [1] .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : ((**وإنّي خلقتُ عبادي حُنَفاءَ كُلَّهُم ، وإنَّهُم أتتهُمُ الشياطينُ فاجتالتهُمْ عن دينِهم ، وحرَّمتْ عليهِم ما أحللتُ لَهُمْ ، وأمرتهُم أن يُشْرِكُوا بي ما لم أُنزل به سُلطاناً**)) [2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء ولا أستحضره قال : لو ترك طفل رضيع في بيت لا يُكلم ، وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية [3] ، وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبعد فنوع الإنسان أشرف من كثير من المخلوقات ، قال ابن عباس : ((من جميع المخلوقات)) ، قاله في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [4] ولاشك أنه أفضل من الجمادات ، وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقاً لا يفهمه إلا الذي أنطقها به ، قال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾)) [5] .

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية الرسالة التاسعة وعنوانها ((في السماع والرقص)) . ج٢ ، ص ١٩٢ .

(٢) مسلم . ج ٤ ، ص٢١٩٧ . حديث رقم ٢٨٦٥ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ١٦ . وأول الحديث : ((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم**)) .

(٣) أما قول ذلك العالم الذي لم يسمه شيخ الإسلام : أن الطفل الرضيع سيعرف ربه ، هذا صحيح بموجب الحديث السابق ، أما النطق بالسريانية فهذا فيه نظر ، إذ أن الغة السريانية لم يرد دليل على أن الإنسان مفطور عليها ، فلا يمكن الجزم بذلك ، بل إن ذلك مستبعد .

(٤) سورة الإسراء ، آية (٧٠) .

(٥) مجموعة الرسائل المنيرية . ج٢ ، ص١٩٧ . والآية الرابعة والأربعون من سورة الإسراء .

ومادام أن الفطرة الإسلام فهذا يعني أن الله قد جعل في قلب الإنسان معياراً ، يفرق به بين الحق والباطل في الأديان التي يصادفها أثناء حياته ، فإذا ما قرع سمعه شيء من دين من الأديان في بيئته ، فإن وظيفة الفطرة أن تزن صدق وبطلان ذلك الدين ، فإن كان حقاً وهو الإسلام فإن الفطرة ستميل إليه ، لأنها مفطورة عليه أصلاً ، ومن ثم يطمئن القلب إلى صدق هذا الدين وإن كان باطلاً فإن الفطرة لا تستجيب له بل تنفر منه ، فيحدث حينئذ نوع من الاضطراب في القلب وضيق وحرج في الصدر ، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك الصراع في النفس بين الحق والباطل فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى ﴾ [1] فهذا الضيق يشعر به الكافر ، وهو شائع في المجتمعات الكافرة عموماً ، ويسمونه بالاكتئاب والقلق والتبرم والضيق ، وقد يدفع الإنسان إلى الإنتحار ، من شدة اضطراب القلب وعدم سكونه ، لأن القلب لايلذ ولا يبتهج إلا بمعرفة الله عز وجل ، ومحبته والطمأنينة بذكره ، قال ابن القيم رحمه الله : ((والقلب لانعيم له ولا لذة ، ولاابتهاج ، ولاكمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره ، والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه ، فهذه جنته العاجلة ، كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة ، فله جنتان لايدخل الثانيه منهما إن لم يدخل الأولى ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول : ((إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الأخرة)) ، وقال بعض العارفين : ((إنه ليمر بالقلب أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش رطيب)) ثم قال ابن القيم رحمه

(١) سورة طه ، آية (١٢٤) .

الله : وكل من له قلب حي يشهد هـذا ، ويعرفه ذوقاً)) [1] وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [2] ، فهكذا يشعر الإنسان إذا ماتعرف على الدين الحق وتمسك به بالطمأنينة والسكون والسعادة والابتهاج أما إذا ما تنصر أو تهود فإن قلبه لا يطمئن ويبقى مضطرباً قلقاً كأنما يصعد في السماء قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [3] وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : ((ومن هنا كان العقلاء في عهد النبي ﷺ إذا سمعوا كلامه وما يدعو إليه عرفوا أنه صادق ، وإذا سمعوا كلام مسيلمة عرفوا أنه كاذب وأنه جاء بالباطل وقد روي أن عمرو بن العاص سمعه قبل إسلامه يدعي أنه أنزل عليه : ياوبرُ ، ياوبرُ ، لك أذنان وصدر ، وأنك لتعلم ياعمرو فقال : والله أني لأعلم أنك تكذب)) [4] .

وإذا التقى الدين الحق - الإسلام - مع الفطرة في قلب الإنسان وآمن الإنسان بهذا الدين ، فإن ذلك يورث نوراً في قلبه ((وهو نور الإيمان)) قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ

(١) ابن القيم . إغاثة اللهفان ج ١ ص ٤٥٤ .

(٢) سورة الرعد ، آية (٢٨) .

(٣) سورة الأنعام ، آية (١٢٥) .

(٤) ابن رجب . جامع العلوم والحكم ، ج ١ ص ٢٨٥ .

شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، قال ابن عباس ((هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإن مسته النار زاد ضوءه . كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإن جاءه العلم زاده هدى على هدى ، ونوراً على نور ، كقول إبراهيم من قبل أن تجيئه المعرفة (هذا ربي) وقبل أن يخبره أحد أن له رباً ، فلما أخبره الله أنه ربه زاد هدى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢))) (٣) ، وقال أُبيّ بن كعب ﷺ : ((المشكاة صدر المؤمن ، والمصباح الإيمان والعلم ، والزجاجة قلبه ، وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها الوحي)) (٤).

فهناك أنوار ثلاثة ، نور الوحي ، ونور الإيمان ، ونور الفطرة ، وهي التي دلت إبراهيم على ربه قبل أن يوحى إليه ، وتلك الأنوار لا تجتمع إلا في قلب المؤمن . لأن فطرة الكافر قد تلوثت ، قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ (٦) ، قال شيخ الإسلام ابن

(١) سورة النور . آية (٣٥) .

(٢) سورة البقرة . آية (١٣١) .

(٣) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج١٢ ، ص ٢٦٤ .

(٤) القرطبي الجامع لأحكام القرآن . ج ١٢ ، ص ٢٦٠ .

(٥) سورة النور . آية (٤٠) .

(٦) سورة الأنعام . آية (١٢٢) .

تيمية ((فالإيمان الذي يهبه الله لعبده سماه نوراً ، وسمى الوحي النازل من السماء الذي به يحصل الإيمان ﴿ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ [2] ، وأمثال ذلك ، ولاريب أن المؤمن يفرق بين الحق والباطل)) [3]

والإيمان ثمرة للتفاعل الإيجابي بين قوى القلب والوحي ، فقوة التميز والعلم هي التي تصدق بالوحي وقوة الإرادة والحب هي التي تدفع الإنسان إلى طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل فإذا ماتضافرت تلكما القوتان فإنهما تثمران الإيمان الذي يجمع بين ثمرة تلك القوتين التصديق والعمل ، ومن ثم يصبح الإيمان يشمل عمل تلكما القوتين أما إذا صدق و لم يعمل فليس بمؤمن الإيمان الشرعي ومن عمل و لم يصدق فهو منافق ، ولهذا فإن الإيمان عند السلف الصالح التصديق والعمل ، ويتفاوت الناس في قوة ذلك التفاعل بين الوحي وقوى القلب تفاوتاً عظيماً ، إذ أن درجات التصديق والعمل متفاوتة بين الناس ، ومرتبطة بعضها ببعض ، فمن ادعى التصديق والإيمان و لم يعمل فهو كاذب ، وبدرجة كثرة أعماله الصالحة دليل ظاهر على عمق إيمانه ، وهكذا ارتبط العمل بالإيمان ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح . فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويدخل فيه الإيمان بكل

---

(١) سورة الشورى . آية (٥٢) .

(٢) سورة الأعراف . آية (١٥٧) .

(٣) ابن تيمية . الفتاوى ج٧ ص ٦٤٩ .

ماجاء به الرسول ﷺ ، وهذا التصديق يتبعه عمل القلب ، وهو حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله ، وتعزير الرسول وتوقيره ، وخشية الله والإنابة إليه ، والأخلاص له والتوكل عليه إلى غير ذلك من الأحوال ، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان ، وهي مما يوحيها التصديق والاعتقاد ، ويتبع الاعتقادَ قولُ اللسان ، ويتبع عمل القلب الجوارح ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك)) [1] ، وحيث أن الناس يتفاوتون في الإيمان ، فأصبح نور الإيمان متفاوتين فيه الناس ، فكلما زاد الإيمان زاد النور وزادت بصيرة الإنسان وإدراكه لمعالم الطريق المستقيم ، وبانت له حقائق الأشياء ومراتبها ، وكلما ضعف الإيمان خبت ذلك النور ، وضعفت البصيرة والرؤية بل إنه قد ينحرف ويخرج عن الصراط المستقيم ، وهو لا يعلم لضعف بصيرته وكل ذلك مرتبط بحياة القلب وصحته ، ومرضه وموته ، قال تعالى : ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [2] ، ومن ثم فإن الإيمان يورث نوراً يميز به المؤمن بين الحق والضلال ، وقد أشار إلى ذلك ﷺ فقال : ((**دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة**)) [3] ، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : ((ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها ، فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب ، والريب بمعنى القلق والاضطراب ، بل تسكن إليه النفس ، ويطمئن به القلب

---

(١) ابن تيمية . الفتاوى . ج٧ ص ٦٧٢ . باختصار .

(٢) سورة الأنعام . آية (١٢٢) .

(٣) أحمد ١/ ٢٠٠ . والحاكم ٢/ ١٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي واللفظ للحاكم .

وأما الشبهات فتحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك)) [1]

وقال ﷺ : ((**فإن الخير طمأنينة ، والشر ريبة**)) [2].

قال ابن رجب الحنبلي : ((فالقلب الذي دخله نور الإيمان وانشرح به وانفسح ، يسكن للحق ويطمئن به ويقبله . وينفر عن الباطل ويكرهه ولا يقبله)) [3] . وقيل لمعاذ بن جبل : ((ما يدريني أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق يقول كلمة الحق ؟ قال : اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال : ما هذه ؟ ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يرجع ، وتلقَّ الحقَ إذا سمعته ، فإن على الحق نوراً)) [4] .

((فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير ، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله ، وينفر من الباطل فينكره ولا يعرفه . ولهذا سمى الله ما أمر به معروفاً ، وما نهى عنه منكراً)) [5] . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [6] .

ثم قال ابن رجب : ((والدليل يجب الرجوع إليه ، وإن لم ينشرح له صدره)) [7] .

---

(١) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم . ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٢) الحاكم ٢/ ١٣ ، وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) ابن رجب الحنبلي . جامع العلوم والحكم . ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٤) ابن رجب الحنبلي . جامع العلوم والحكم . ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٥) المرجع السابق . ج٢ ، ص١٠٠ .

(٦) النمل . آية (٩٠) .

(٧) المرجع السابق . ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ونخلص من ذلك أن نور الإيمان ثمرة لحياة القلب الذي هو اكتمال قوة التمييز والعلم ، وقوة الإرادة ، ومن تلك القوتين يسير المؤمن على الصراط المستقيم قوة التمييز تبين له الطريق ، وقوة الإرادة تدفعه للتمسك بالحق ونهي النفس عن الهوى ، والصبر على المكاره .

وأصل " التبعية الفكرية " المذمومة ، سواء ما كان منها متعلقاً بتقليد الآباء أو المشايخ ، أو ماكان منها متعلقاً باتباع هوى الأمم الكافرة ، هو ثمرة لضعف تلكما القوتين فالتابع الفكري مسلوب الإرادة ، وإنما يخضع لإرادة والديه ، أو مجتمعه ، أو سيده ، وأيضاً تضعف قوة التمييز والعلم في قلبه حتى تنعدم لديه الرؤية فلا يعد يفرق بين الهدى والضلال ، أو الصواب والخطأ ، فقوة التمييز وقوة الإرادة مرتبطتان معاً ، يؤثر كل واحد منهما في الآخر ، فإن ضعفت الإرادة ضعفت قوة التمييز ، وإن ضعفت قوة التمييز ، ضعفت قوة الإرادة ، ولهذا فإن عمل الصالحات ، يزيد في قوة التمييز والإدراك ، وعمل المعاصي يضعف قوة التمييز والإدراك ، وقد أشار عز وجل إلى هذه السنة من سننه ، وهي الربط بين عمل الصالحات وقوة الإدراك فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، قال القرطبي رحمه الله : ((هذا وعد من الله بأن من اتقاه علمه ، أي جعل في قلبه نوراً يفهم به مايُلقى إليه)) [2] . وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ((إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه ، بالذنب يعمله)) [3] . وهكذا يترتب على مرض القلب ضعف قوة التمييز وقوة الإرادة فيصبح مريض

(١) سورة البقرة . آية (٢٨٢) .

(٢) الجامع لعلوم القرآن . ج ٧ ، ص ٣٩٦ .

(٣) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله . ج ١ ، ص ١٩٦ .

القلب لا يفرق بين المعروف والمنكر ، وإن فرق بينهما فإنه لا يعمل بما يقتضيه عقله لأن قوة الإرادة التي هي الدافع للتمسك بالحق ونبذ الباطل قد ضعفت أيضاً . وهذه سمات المرضى بالتبعية الفكرية ، فإن تلك الطائفة يلتبس عليها المعروف بالمنكر ، وإن استطاع بعضهم معرفة الحق من الباطل فإنه لا يمتلك الإرادة القوية التي تجعله يتمسك بالحق وإن خالف ما عليه الناس لأنه يخشى من الناس فيقدم خشية الناس على التزامه بسلوك طريق الحق ، ومن ثم فإن أول خطوة لمعالجة المصابين بالتبعية الفكرية هو إحياء قلوبهم ومعالجة الأمراض التي أصابت قوى قلوبهم . وقد ذكر الله عز وجل حقيقة مرض القلب فقال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يِنسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ (٣) وذكر عز وجل شفاء أمراض القلوب ، فقال تعالى : ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ((فكلامه سبحانه وتعالى شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغي ، فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى ، والغي مرض شفاؤه الرشد)) (٥) ، فالقرآن الكريم متضمن لأدوية القلب

---

(١) سورة البقرة . آية (١٠) .

(٢) سورة الحج . الآية (٥٣) .

(٣) سورة الأحزاب . الآية (٣٢) .

(٤) سورة يونس . الآية (٥٧) .

(٥) ابن القيم . إغاثة اللهفان ج١ ، ص١٥ .

وعلاجه من جميع أمراضه ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله : ((أن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات ، والقرآن شفاء للنوعين ، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما بين الحق والباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ماهي عليه ، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه ، فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه كما يرى الليل والنهار . وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب ، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار ، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده ، ويرغب عما يضره فيصير القلب محباً للرشد مبغضاً للغي ، فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة فيصلح القلب ، فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية كما يعود البدن بصحبته وصلاحه إلى الحال الطبيعي فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق ، كما أن الطفل لا يقبل إلا اللبن)) [1] ، وعلل شيخ الإسلام – رحمه الله – سبب أن القرآن غذاء القلب لأن القلب مفطور على عبادة الله ، فقال رحمه الله : ((وأصل غذاء القلب أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] فأخبر الله أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفاً ، وهو عبادة الله

(١) ابن القيم إغاثة اللهفان ج١ ص ٤٤-٤٥-٤٦ ، باختصار .

(٢) سورة الروم . آية (٣٠) .

وحده لا شريك له ، فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب وتركها ظلم عظيم ولا بد لهذه الفطرة والخلقة من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علماً

وعملاً ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة)) [1] .

عليه فإحياء القلوب من أعظم طرق معالجة التبعية الفكرية ، لأن القلب الحي يدفع صاحبه إلى البحث عن الحق والتمسك به ((وحياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب ، والحي يدفع ما يؤذيه بخلاف الميت الذي لا حياة فيه)) [2] .

ومن ثم أصبح الطريق إلى حياة القلب هو اللجوء إلى كتاب الله وتلاوته ، والتدبر فيه ، والعمل به ، ((فيقوم الإنسان بعمل الفرائض الواجبة ، كالإيمان الواجب ، والعبادة الواجبة ، والزهد الواجب ، وطريق ذلك بالاجتهاد في فعل المأمور ، وترك المحظور)) [3] .

وهناك وسائل أخرى بعد القيام بالواجبات ، وهي مؤثرة في إحياء القلوب ومن تلك الوسائل :

١- التفكر :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ﴾ [4] فالتفكر من أعظم وسائل استخلاص العبر من الحياة الدنيا ، وترسيخ الإيمان وحياة القلب ،

---

(١) ابن تيمية . الفتاوى . ج ١٠ ، ص ١٤٦ . باختصار .

(٢) ابن تيمية . الفتاوى . ج ١٠ ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن تيميه . الفتاوى . ج٧ ، ص ٦٥١ .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٩١) .

ولهذا اهتم السلف الصالح بالتفكر ، قال ابن القيم رحمه الله : ((ثبت عن بعض السلف أنه قال : تفكر ساعة ؛ خير من عبادة ستين سنة ، وسأل رجل أم الدرداء بعد موته عن عبادته فقالت : كان نهاره أجمعه في بادية التفكر ، وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، وقال الحسن أيضاً في قوله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [1] ، قال : ((أمنعهم التفكر فيها)) ، وقال بشر : ((لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه)) ، وقال ابن عباس ﷺ : ((ركعتان مقتصرتان في تفكر ؛ خير من قيام ليلة بلا قلب)) ، وقال أبو سليمان : ((الفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتجلي القلوب)) [2] .

٢- تذكر الموت : قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [3] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**)) [4] ، فذكر الموت يورث الاعتبار بقصر الحياة الدنيا ، ثم ما بعد الموت من حساب ، فشرع رسول الله ﷺ زيارة القبور فقال ﷺ : ((**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها عظة وعبرة**)) [5] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية (١٤٦) .

(٢) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٣) سورة الجمعة ، آية (٨) .

(٤) الترمذي ٩/ ١٨٧ الزهد ، وقال هذا حديث غريب حسن ، وابن ماجة . الزهد ، ٤٢٢٨ ، واللفظ له . والحاكم ٤ / ٣٢١ ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٥) رواه أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة بن الحصيب . ج٥ ، ص٣٥٦ .

٣- ذكر الله عز وجل :

فالذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون ، وفيها يتجرون ، وإليها دائماً يترددون ، وهي منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل ، وهو قوت قلوب العارفين [١] .

والذكر جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها [٢] ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه " الوابل الصيّب " أكثر من سبعين فائدة للذكر ، نذكر بعضها ، منها : ((أنه يطرد الشيطان ، ويقوي القلب والبدن وينور الوجه والقلب ، ويورث المراقبة ، ويورث حياة القلب ، وجلاء القلب ويحبط الخطايا)) [٣] ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [٤] ، وفي الحديث القدسي : ((**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**)) [٥] ، وهو سبب نزول الرحمة والسكينة ، قال ﷺ ((**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بُيُوت الله يتلُون كتاب اللهِ ويتدارسُونهُ بينهُم إلا نزلتْ عليهُم السكينةُ وغشيتهُمُ الرحمةُ ، وحفتهُمُ الملائكةُ ، وذكرهُم الله فيمن عنده**)) [٦] ، والذكر شفاء لقسوة القلوب ، قال رجل

---

(١) أحمد فريد ، البحر الرائق في الزهد والرقائق ،ص ٩٦ ، ط ١ ، جدة : مكتبة الصحابة ، ١٤١١ هـ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٣) ابن قيم الجوزية . الوابل الصيب من الكلم الطيب . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية (د. ت.) ، ص٥٢ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة ، آية (١٥٢) .

(٥) جزء من حديث خرجه البخاري ، كتاب التوحيد . ج١٨ ، ص٢١٦ ، حديث رقم (٧٤٠٥) . وأول الحديث : ((**أنا عند ظن عبدي بي ...**)) . ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء . ج٤ ، ص٢٠١٦ ، حديث رقم (٢٦٧٥) .

(٦) رواة مسلم ، ١٧ / ٢١ - ٢٢ ، الذكر والدعاء ، وأبو داود ، ١٣ / ٢٢٩- ٢٣٠ .

للحسن : " يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي " ، قال : " أذِبْهُ بالذكر " [1]

٤- الاستغفار :

وهو طلب المغفرة ، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها [2] ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [4] ، وأفضل الإستغفار أن يبدأ بالثناء على ربه ثم يثني بالاعتراف بذنبه ، ثم يسأل ربه بعد ذلك المغفرة ، كما في حديث شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**)) [5] .

٥- الدعاء :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ [6] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [7] .

---

(١) أحمد فريد ، البحر الرائق في الزهد والرقائق ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣) سورة المزمل ، آية (٢٠) .

(٤) سورة النساء ، آية (١١٠) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الدعوات . ج٧ ، ص١٨٨ . حديث رقم (٦٣٠٦) .

(٦) سورة البقرة ، آية (١٨٦) .

(٧) سورة غافر ، آية (٦٠) .

٦- قيام الليل :

قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢) .

وعموماً عمل الصالحات مثل صيام النفل ، والصدقات ، وصلة الأرحام ، والتواضع ، والإيثار ، ومحبة المسلمين ، والإحسان إلى الخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومصاحبة الأخيار ، وطلب العلم ، ونحو ذلك كل ذلك مما يحيي القلوب .

وأيضاً اجتناب الكبائر خاصة كالشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والزنى ، وشرب الخمر ، ونحوها ، وكذلك اجتناب الذنوب عموماً كل هذا مما يورث حياة القلب ، لأن الذنوب والمعاصي هي بمثابة سموم تلوث القلب ، وتورثه الأمراض بل قد تميته .

٧- تحصين القلب من مرض الشهوة ومن وسوسة الشيطان لأن مرض القلب يرجع إلى عاملين :

الأول : الشهوة :

حيث جعل الله في النفوس الميل نحو الشهوات ابتلاءً للخلق ، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ

---

(١) سورة السجدة ، آية (١٦) .

(٢) سورة الذاريات ، آية (١٧ ، ١٨) .

حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [1] ، وقال ﷺ : ((حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارهِ ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ)) [2] .

والثاني : الشيطان :

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [5] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : ((واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثلم ، وساكنه العقل ، والملائكة تردد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه ريض فيه الهوى والشيطان تختلف إلى ذلك الريض من غير مانع ، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الريض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس ، والعبور من بعض الثلم)) [6] ، وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله : ((إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته ، وهما مرض الشهوات ، ومرض الشبهات ، هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله ، وقد

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٤) .

(٢) رواه مسلم . كتاب الجنة . حديث رقم (٢٨٢٢) . ج٤ ، ص٢١٧٤ .

(٣) سورة البقرة . آية (١٦٨ - ١٦٩) .

(٤) سورة النساء ، آية (٦٠) .

(٥) سورة فاطر ، آية (٦) .

(٦) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس . ص ٤٧ .

ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه ، أما داء الشبهات (وهو من الشيطان) فهو أصعبها وأقتلها للقلب ، قال تعالى في حق المنافقين : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ (١) ، وأما مرض الشهوة ففي قوله تعالى : ﴿يِنسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (٢) ، وأما الأمراض الأخرى مثل الرياء والكبر والعجب ، والحسد ، والفخر والخيلاء ، وحب الرياسة والعلو في الأرض ، فهذه الأمراض مركبة من مرض الشبهة والشهوة)) (٣) .

ولكل آفة من الآفتين علاج شرعي لها ، فأما الشهوة فأصلها من الدوافع التي خلق الله الإنسان عليها ، كدافع الجنس ، ودافع التملك ، ودافع الطعام والشراب ، ونحوهما ، فهذه الدوافع قد شرع الله لها وسائل لإشباعها ، كالزواج لإشباع شهوة الجماع ، وشرع التملك والبيع والشراء ، لإشباع غريزة التملك ، وهكذا ، أما شهوة حب الرياسة والعلو في الأرض ، فهذه شرع لها التسابق في الخيرات ، وأما آفة الشيطان فقد بين الله عز وجل مكايده ليحذرها الناس ، وشرع الاستعاذة منه وبيَّن للناس حقيقة عداوته ، وأنه عدوٌ للناس ليحذروا من إتباعه ، واستقصى الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " (٤) مكائد إبليس فذكر منها تمنية الإنسان بالغرور ، والإيعاد بالفقر ، والأمر بالفحشاء ، وتزيين السوء

---

(١) سورة البقرة . آية (١٠) .

(٢) سورة الأحزاب . آية (٣٢) .

(٣) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ج ١ ، ص ١٣٤ ، بتصرف طفيف .

(٤) ابن القيم . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . تحقيق محمد حامد الفقي . بيروت : دار الفكر . بدون تاريخ .

وتخويف المؤمنين ، ثم شرع رحمه الله في بيان أساليب كيده مع طوائف متنوعة من الناس كالمتصوفة ، والمبتدعة كأصحاب الموالد ، وأصحاب القباب ، وعباد القبور ، والمغنين ، وأصحاب الحيل ، ونحوهم .

كذلك ألف ابن الجوزي رحمه الله كتابه " تلبيس إبليس " [1] خصصه في بيان مكائد إبليس وتلبيسه على مختلف الطوائف الضالة والمبتدعة ، كالفلاسفة وعباد الأصنام ، واليهود والنصارى والمجوس ، وأيضاً على طوائف من المسلمين كالوعاظ والقصاص والولاة والسلاطين والعباد ، والزهاد ، والصوفية . وأيضاً استقصى أساليب الشيطان الماكرة ، أبو حامد الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " في " ربع المهلكات " .

وقال رحمه الله : ((ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه " تلبيس إبليس " فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد ولاسيما في المذاهب والإعتقدات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها ، كل ذلك إذعاناً لتلبيسات الشيطان ومكايده)) [2] وقال رحمه الله : ((فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة ، وهو فرض عين على كل عبد مكلف ، ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة)) [3] .

وظيفة المدرسة نحو إحياء القلوب :

إن إحياء القلوب بالإيمان والقرآن هو غاية التربية الإسلامية بل هو تحقيق كلمة لا إله إلا الله ، التي من أجلها خلق الله البشر قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

(١) ابن الجوزي . تلبيس إبليس . بيروت : دار الكتب العلمية . ط١ . ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

(٢) الغزالي . إحياء علوم الدين . ج٣ ، ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق . ج٣ ، ص ٣٢ .

الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] .

فتصبح وظيفة المدرسة في الإسلام هي إحياء القلوب بالإيمان والقرآن وكل الأهداف الأخرى منبثقة عن هذا الهدف الرئيسي ، فالواجب أن يكون محور المنهج الدراسي حول هذه الغاية فتكون جميع المواد والأنشطة المدرسية متجهة نحو تلك الغاية .

وحيث أن لا طريق لإحياء القلوب إلا بالقرآن ، فالله عز وجل جعله غيث القلوب ومادة حياتها ، فيكون القرآن تلاوة وتدبراً وعملاً هو الركن الأساسي في المنهاج المدرسي فهو مادة حياة القلوب ، فتكون وظيفة المدرسة هي تزويد الطالب بتلك المادة ، وأيضاً هناك وظائف أخرى تنبثق من هذه الوظيفة وهي فروع لها ، ومن تلك الوظائف للمرحلة الإبتدائية :-

١- تعليم الطلاب الإيمان والتوحيد ، وتحذيرهم من الكفر والشرك .

٢- تعليمهم الواجبات الشرعية عليهم مما يتوافق مع أعمارهم كالصلاة ، وشروطها ، وصفتها ، والصيام ، والحج ، والزكاة ونحو ذلك من الأحكام الشرعية .

٣- تعليمهم أعمال القلوب ، وتدريبهم على ممارستها ، كالخوف ، والرجاء ، ومحبة الله ، ومحبة رسوله ﷺ وتعظيم شعائر الله ، وتوحيده وإخلاص العبادة له ، ونحو ذلك .

٤- تحذيرهم من أمراض القلوب بحسب قدرتهم على فهمها كالكبر ، والحسد ، والرياء ، ونحوها .

٥- تليين قلوبهم ، بالمواعظ ، بذكر الجنة ، والنار ، وبقصص الصالحين .

---

(١) سورة الذاريات . آية (٥٦) .

٦- تعليمهم الأذكار المأثورة ، كأذكار الصلاة والأذكار التي بعد الصلاة ، وعند سماع الأذان ، وأذكار الصباح والمساء ، ونحوها وتحفيظهم بعضها .

٧- تعليمهم الدعاء وآدابه ، وترغيبهم فيه وحثهم عليه .

٨- تعليمهم الإستغفار .

٩- غرس قصر الأمل في نفوسهم مبكراً .

١٠- تعليمهم على الزهد المشروع .

١١- نهيهم عن الخصال المذمومة وتحذيرهم منها كالكذب ، والسرقة ، والنميمة ، والغيبة ، ونحوها .

١٢- تعليمهم الخصال المحمودة كالصدق ، والصبر ، وحسن الخلق ، والإيثار ، والكرم ، ومحبة المسلمين ، وحقوق الوالدين ، والجار ، والمسلم ، ونحوها .

أما في المرحلة الإعدادية والثانوية :

فيتوسع المنهج ويتعمق حول هذه المسألة " إحياء القلوب " .

والمواد الدراسية المقترحة لتحقيق تلك الغاية هي :

١- التدبر في القرآن :

ويدرب الطالب من خلالها على كيفية التدبر في القرآن ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1] ، ((وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين وسمي استبصاراً وهو استفعال

(١) سورة النساء . آية (٨٢) .

من التبصر وهو " تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة " ، وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر ، فالتذكر يفيد تكرر القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي أثره من القلب جملة ، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه)) [1] .

فيجمع في التدبر بين التذكر والتفكر ، فيقرأ القرآن على مهل ويراجع كل آية لاستخلاص ما فيها من " عبرة " عن طريق التفكر وإعمال العقل في استنباط معناها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [2] ، وفي هذه الآية بين سبحانه وتعالى أن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين ، أحدهما : أن يحضره ويشهده لما يلقى إليه فإن كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به . فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به ويرشد إليه . وههنا ثلاثة أمور :-

أحدها : سلامة القلب وصحته وقبوله ، الثاني : إحضاره وجمعه ومنعه من الشرود والتفرق ، الثالث : إلقاء السمع وإصغائه والإقبال على الذكر)) [3] وعن طريق تفسير الآية يستطيع الطالب مع التدبر أن يحصل له المطلوب من تلاوة القرآن فيدرب الطالب على كيفية فهم القرآن ، والتدبر فيه ، والعمل به وإلا لن ينتفع بما تدبره .

---

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . ج١ ، ص ٢١٧ .

(٢) سورة ق . آية (٣٧) .

(٣) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . ج١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢- أمراض القلوب :

ويتعرف الطالب من خلال تلك المادة على أنواع القلوب السليمة ، والمريضة ، والميتة ، وحياة القلب ، والوسائل التي تساهم في إحياء القلب ، مثل تلاوة القرآن ، والذكر ، والدعاء ، والتدبر ، والتفكر ، وقصر الأمل ، وتذكر الموقف بين يدي الله عز وجل ، ونعيم الجنة ، وعذاب النار ، وزيارة القبور ، ونعم الله على العبد ، وقصص الصالحين ، ومواعظ ترقق القلوب ، والصدقة ، وقيام الليل ، وصيام النفل ، ونحوها ، كذلك أسباب مرض القلب وعلاجه كالحسد والكبر ، والرياء ، وحب السمعة ، وحب العلو في الأرض والشهوة والهوى وعلاجهما ، ومكايد إبليس وطرق التحصين منه .

٣- الأذكار والدعاء :

ويتعلم الطالب من خلالها الأذكار الشرعية ، وأدلتها ، وشرح معانيها ، وطريقة الذكر مع استحضار معانيها في النفس ونطقها باللسان ، كذلك الدعاء ، ويحفظ بعض الأدعية المأثورة وآداب الدعاء .

٤- أعمال القلوب :

ويدرس من خلالها أعمال القلوب الواجبة كالإيمان ، والتوكل ، والخوف والرجاء ، والرضى ، والتوبة ، والإنابة ، والشكر ، والصبر ، والخشوع ، والتفويض ، والأنس بالله . فيدرس الحد الشرعي لكل عمل ويناقش من خلالها الانحرافات التي وقعت فيها بعض الطوائف في بعض مقاماتها كالصوفية وغيرها ، المهم أن يتعرف الطالب على أعمال القلب الواجبة وفهم كل عمل وآثاره على سلوك الإنسان ، حتى يصبح عنده معيار يراقب من خلاله قلبه .

٥- الفقه :

ويدرس من خلالها الطالب فقه العبادات ، كالصلاة ، والزكاة ، والحج ،

والصيام ، وفقه المعاملات كأحكام البيع والشراء ، وفقه الأسرة ، والوصايا ، والمواريث ، وأحكام الحدود والجنايات ، ونحوها من الأحكام العملية .

٦- التوحيد :

ويدرس من خلالها الطالب الإيمان وأركانه ، والتوحيد وأنواعه ، والشرك وأنواعه ، ويتعلم عقيدة السلف الصالح ، والانحرافات العقدية الشائعة في بيئته كالتوسل بغير الله ، أو كالنذر لغير الله ونحوها .

٧- الأخلاق والآداب :

يدرس الطالب الأخلاق المحمودة التي حث عليها الشرع كالصدق ، والأمانة ، والإحسان إلى الناس ، ومساعدة الضعيف ، والتواضع ، والحياء ، والكرم ، ونحوها . ويدرس أيضاً الأخلاق المذمومة ليتجنبها كالكذب ، والبخل ، والظلم ، والغيبة ، والنميمة . ويدرس أيضاً الآداب الشرعية كآداب الأكل والشرب ، واللبس ، والحديث ، والمعاملات ، ونحوها .

٨- المواعظ والعبر :

وتلك المادة يعرف من خلالها حقيقة الحياة الدنيا ، وأنها دار ابتلاء ، وأن مصير الإنسان إما إلى الجنة أو إلى النار . وعرض سيرة الرسول ﷺ وشمائله ، وأخبار الصحابة وزهدهم ، ونظرتهم إلى الدنيا ، وأيضاً أقوال العلماء من السلف الصالح عن حقيقة الدنيا ، ونظرتهم إليها . والمهم ترسيخ النظرة الإسلامية إلى الحياة الدنيا في نفوس الطلاب .

هذه المواد الدراسية المقترحة لتحقيق غاية التربية الإسلامية مواد متخصصة لهذه الغاية أما المواد الأخرى فهي مساعدة لهذه الغاية كالعلوم الطبيعية مثل الأحياء ، والفيزياء ، والكيمياء ، والفلك ، وعلم طبقات الأرض ، ففيها ميدان مهم للتفكر في قدرة الله عز وجل ، وهي تكمل المواد السابقة . كذلك المواد الاجتماعية كالتاريخ ، والجغرافيا ، تسهم في تحقيق غاية التربية

الإسلامية ، بالإضافة إلى ضرورة أن يربط بين التعليم والتطبيق فالمعلم أولاً يجب أن يكون قدوة لطلابه ، وأن يقوم سلوك الطلاب كما يقوم معلوماتهم " الحفظ والاستنباط " وتساهم الأنشطة العملية في تحقيق ما في الكتب فمثلاً عند الحديث عن نعم الله على الإنسان يمكن الاستعانة بعلم وظائف الأعضاء وزيارة المستشفيات لرؤية المرضى ، وتذكر نعمة الصحة ، وأيضاً زيارة القبور والنظر في القبر لأن في النظر إلى القبر أثراً عظيماً على النفس ، كذلك يمكن الاستعانة بالوعاظ المشهورين في تليين القلوب ، بإلقاء محاضرات داخل المدرسة ، ونحو ذلك من الأنشطة العملية التي تساهم في تحقيق أهداف المواد الدراسية ، المهم أن نصمم جميع الأنشطة المدرسية لتحقيق غاية التربية الإسلامية وأن يرسخ في عقول المدرسين أن المدرسة لم تنشأ إلا لهذه الأمور .

ثانياً : المحافظة على شخصية الإنسان

سبق أن أشار الباحث إلى أن القلب به قوتان هما قوة الإرادة والتمييز وقوة العلم ومن تلكما القوتين اللتين وهبهما الله للإنسان تتكون شخصيته . فإذا ما أهمل تلكما القوتين وضعفتا فإن الإنسان يقع في فلك التبعية الفكرية المذمومة . لأن ضعف الإرادة يعني أن الإنسان سيبقى رهن إرادة الآخرين فلا يستقل بنفسه عن الآخرين . وضعف التمييز والعلم يوقعه في الجهل والذي يترتب عليه عدم معرفة الحق من الباطل إلا بما يسمعه من الناس . فيتبعهم دون فحص أدلتهم وحججهم فضعف تلك القوتين يورث الشعور بالنقص فيعتقد المرء أن الآخرين أكمل منه عقلاً ونفساً ، ومن ثم يقلدهم باعتبار أن تقليدهم هو سلوك الطريق الصحيح .

وهناك عوامل عديدة تساهم في إضعاف قوة الإرادة عند الإنسان والتي هي العامل الرئيسي في إضعاف شخصية الفرد ، وزعزعة ثقته بنفسه . وسنعرض

لأربعة عوامل من تلك التي تساهم في إضعاف شخصية الفرد وهي :

١- الخوف . ٢- فقدان الكرامة .

٣- فقدان الثقة بالناس . ٤- الإتكالية .

ثم نعرض لطريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان .

العوامل التي تساهم في إضعاف شخصية الفرد :-

١- الخوف :

يكاد يكون الخوف العامل الرئيسي في إضعاف شخصية الإنسان وزعزعة ثقته بنفسه ((بل يرى كثير من الأطباء النفسيين أن مرض الخوف يوجد في كل الاضطرابات الشخصية ، وفي المشكلات السلوكية بمختلف أنواعها)) [١] فعدم الثقة بالنفس أصله عائد إلى الشعور بالخوف من الفشل ، وخشية الناس وأصل الخوف غريزة جعلها الله عز وجل في الفرد لتحميه من الأخطار بالهروب منها . وللخوف حد طبيعي في كل الناس وإذا تجاوزه أصبح مرضاً ، كأن يخاف من أمور لا تستلزم الخوف كالخوف من الظلام أو من القطط أو من هبوب الهواء ، ونحو ذلك [٢] ، وفي غالب حالات مرض الخوف يرتبط ذلك بحادثة في الطفولة . وقد توسعت مدرسة التحليل النفسي في بحث هذا المرض ، واستخدم رائد تلك المدرسة " سيجمند فرويد " أسلوب التحليل النفسي لتقصي سبب الخوف مع مرضاه ، ومن ثم علاجه . وقد قسم فرويد ظاهرة الخوف إلى قسمين :

الأول : ويسميه المخاوف الموضوعية أو الحقيقية . وهو يرتبط بموضوع

---

(١) عبد العزيز القوصي . أسس الصحة النفسية . ص ٣١٥ . ط١ - . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق . ص ٣١٦ .

محدد كالخوف من الحيوان أو من الظلام .

الثاني : ويسميه المخاوف العامة ، أو غير المحددة . وهو لا يرتبط فيه الخوف بأي موضوع فحالة الخوف تكون كأنها هائمة عائمة لا تستقر على موضوع ما)) [1] .

والنوع الثاني هو أشدها ضرراً على الإنسان إذ أنه يورث القلق والتشاؤم وتوقع الشر ، وقد يلازم الإنسان طول حياته ، ويترتب عليه آثار نفسية وجسدية منها القلق ، والتوتر ، وضعف الثقة في النفس ، والشعور بالنقص ، وعدم الشعور بالأمن ، والتردد ، وإضاعة الوقت في عمل ألف حساب لكل أمر ، والجبن ، وتوقع الشر ، وشدة الحرص ، وسوء السلوك .

ومن الأعراض الجسدية الإجهاد ، والصداع ، وخفقان القلب ، وآلام الظهر ، والارتجاف .. واضطراب الكلام)) [2] .

((ويرجع سبب مرض الخوف إلى عدة أسباب وعوامل منها : تخويف الأطفال وعقابهم في الصغر ، والحكايات المخيفة التي تحكى لهم ، والخبرات المريرة القاسية التي يمرون عليها ، وكذلك الظروف الأسرية المضطربة ، كالطلاق والشجار ، والسلطة الوالدية الشديدة ، والتربية الخاطئة المعتمدة على الإرهاب ، وعدم المساواة بين الأطفال ، وكذلك انتقال المخاوف من الكبار إلى الصغار عن طريق الإيحاء والتقليد ، والشعور بالإثم)) [3] .

وقد يتحول الخوف إلى مرض القلق وهما مترابطان وإن كان علماء النفس يفرقون بينهما ، يقول حامد زهران عن القلق : ((هو حالة توتر شامل

---

(١) عبد العزيز القوصي . مؤسس الصحة النفسية . ص ٣١٧ .

(٢) حامد زهران . الصحة النفسية والعلاج النفسي . ص ٤٢٠ . ط٢ - القاهرة : عالم الكتب ، دون تاريخ .

(٣) حامد زهران . الصحة النفسية والعلاج النفسي . ص ٤١٨ .

ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث ويصحبها خوف غامض . وأمراض نفسية وجسمية ، ويمكن اعتبار القلق الفعال مركباً من الخوف ، وتوقع التهديد والخطر)) [1] .

ومن أسباب القلق : الشعور بالتهديد الداخلي أو الخارجي الذي تفرضه بعض الظروف البيئية ، والأزمات المالية ، والشعور بالذنب ، والخوف من العقاب ، وتوقعه ، والمخاوف الشديدة في الطفولة المبكرة ، والاحتياط والفشل . والبيئة القلقة المشبعة بعوامل الخوف والهم . والشعور بالوحدة ، وعدم الأمن والتفكك الأسري)) [2] .

٢- فقدان الكرامة :

ويساهم في إضعاف الشخصية تعرض الفرد للإهانة والإذلال بالسخرية والتوبيخ والتنابز بالألقاب ونحو ذلك مما يفقد الإنسان كرامته ، واعتزازه بنفسه .

ويرتبط الشعور بالذل وفقدان الكرامة بالخوف من الفضيحة بين الناس ، والإحساس بالذنوب فإن كثرة الذنوب تورث الذل ، كما قال عبد الله بن المبارك (ت : ١٨١هـ) رحمه الله :-

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها [3]

وقال الحسن البصري رحمه الله : ((وإن هملجت بهم خيولهم ، ورفرفت بهم ركابهم ، إن ذل المعصية في قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه)) [4]

---

(١) المرجع السابق . ص ٣٩٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ٣٩٩ .

(٣) أبي مفلح المقدسي . الآداب الشرعية والمنح المرعية . ص ٢٠٠ . ط ١ - مكة المكرمة : مكتبة الباز ، ١٤١٧هـ .

(٤) المرجع السابق . ص ٤٥ - ٤٦ .

٣- فقدان الثقة بالناس :

يورث فقدانَ الثقة بالناس الخوفُ والقلقُ ، لأن الإنسان بطبعه لا يمكن أن يقوم بأعباء الحياة لوحده ، فيحتاج إلى تعاون الآخرين معه ولابد أن يشعر بالاطمئنان نحوهم ، أما إذا فقدت الرحمة والمحبة بين الناس فإن ذلك مدعاة للشعور بالخوف من الحاجة إليهم ، وخشية أن يخذلوه كل ذلك يورث القلق وفقدان الثقة بالناس ويساهم في فقدان الثقة بالناس شيوع الغش ، والظلم بأنواعه بينهم مما يجعل الإنسان لا يطمئن إلى أخيه الإنسان ، مما يورثه الشعور بالغربة والوحدة والتي تورث الذل والخوف والقلق مما يفقد الإنسان ثقته بنفسه .

٤- الإتكالية :

ومما يورث ضعف الشخصية تعويد الولد على عدم الاعتماد على نفسه ، وكثير من الآباء لا يمكن ابنه من الاعتماد على نفسه وإتاحة الفرصة له لاتخاذ القرارات التي تمس شؤونه خاصة ، والتي لايترتب عليها أضرار كبيرة .

فيكون في الغالب وظيفة الأب تقديم النصائح والإرشادات والتعليمات والأوامر لأبنائه ، وإذا ما استقل الولد بنفسه وتصرف من تلقاء نفسه وأخطأ فإن بعض الآباء يغضب على ابنه ويوبخه ويسمه بالجهل والغفلة والحمق ، مما يجعل الولد مرتبطاً بوالديه لا يفكر ولا يتخذ القرار بنفسه ، ومن ثم يفقد الثقة بنفسه .

وقد تنبه لتلك العوامل علماء النفس واستثمرها الإعلاميون في صناعة الدعاية والتأثير على الناس ، ويرى محمد حاتم ((أن رجال الإعلان استخدموا بدرجة متزايدة نداء الخوف منذ عام ١٩٢٠م بالترويج للبضائع ، " فشكل الفزع " يوجه الرأي نحو تأمين الإنسان على أمتعته ومستقبله الاقتصادي ، ونحو اختيار معاجين الأسنان ومضادات العدوى ، ونحو

عشرات الأمراض الغامضة ، وفي الخمسينات كانت هناك فورة مخاوف وجدت وترعرعت في الولايات المتحدة الأمريكية منها الخوف من المتاعب المالية أو المشكلات الصحية أو المتاعب الزوجية ، والخوف هو أشد الأشياء قضاء على العقل ، فلكي يحتفظ الإنسان بتوازن معقول وبرباطة جأش شخصي يجب أن يخف الخوف إلى أدنى حد ، فالذين ينتابهم الخوف لا يميلون إلى الحرية ، كما أن الموضوعية تضيع في فترات الخوف الجماهيري)) [1] ، ولهذا نجد أن أكثر وسائل الإعلام تبث أخبار الكوارث والأمراض ، ونحو ذلك من الأحداث التي تبث الذعر في الناس مع الترويج للمذاهب والآراء التي تتبناها تلك الوسائل فمع الخوف يفقد الإنسان عقله ، ومن ثم يتقبل الآراء بدون نقد لأدلتها .

وقد تنبهت بعض الدول الشيوعية إلى أثر الخوف والإهانة والوحدة والغربة في تحطيم النفس الإنسانية ، ومن ثم يسهل السيطرة عليها ، وتغيير مفاهيمها وتسمى تلك العملية بـ " غسيل الدماغ " فقد ذكر (جي . إي . براون) في كتابه " أساليب الإقناع وغسيل الدماغ " أن من الأساليب الشائعة في غسيل الدماغ مهاجمة شخصية الفرد بقصد تحطيمها ، وذلك بتعريض الفرد إلى الآلام والإذلال ، ومخاطبته برقم وليس باسمه [2] ، وذكر أيضاً : ((أن الشيوعيين في الصين كانوا يستخدمون هذا الأسلوب القذر مع المعارضين السياسيين ، فيقومون بإيقاع الآلام الجسدية والنفسية الشديدة ، وإلصاق التهم بالضحايا ، وخاصة تهمة خيانة الأمة ، مع محاولة إلغاء شخصية المتهم

(١) محمد عبد القادر حاتم . الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية . ص ٢١٦ - ٢١٧ بتصرف . ط ١ - بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٣ م .

(٢) جي . إي . براون . أساليب الإقناع وغسيل الدماغ . ترجمة عبد اللطيف . ص ١٢٨ . ط ١ - دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨ هـ .

تماماً عن طريق مخاطبته برقم ، وإذلاله عن طريق تقييد يديه ورجليه وجعله يأكل الطعام بفمه كما يأكل الكلب ، مع حرمانه من النوم ، وبعد فترة من العذاب الجسدي والنفسي يحاول السجين في الغالب الاعتراف بالتهم من أجل التخلص من الآلام الجسدية والنفسية التي وقعت عليه ، وبعد ذلك تجرى عليه عملية لإعادة التثقيف !! وهي تحسين معاملته وإزالة القيود عنه وإشراكه في برنامج لتثقيفه بالثقافة الشيوعية ، فيقرأ في الكتب الشيوعية فترة من الزمن حتى إذا رأوه تبنى الفكر الشيوعي أطلق سراحه [1] .

وعلى العموم فإن الإنسان إذا فقد كرامته ، وأصابه الخوف والقلق ، وفقد ثقته بالناس ، فإن ذلك يورثه ضعف الشخصية وفقدان الثقة في نفسه ، مما يجعله عرضة للتبعية الفكرية المذمومة .

وسنعرض لطريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان .

(١) المرجع السابق . ص ١٢٣ وما بعدها .

٢- طريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان :

تنطلق طريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان وعلى غرس الثقة في نفسه من أصول ستة وهي :

١- الناس سواسية ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى .

٢- وجوب تكريم المسلم وتحريم كل ما كان سبباً في إذلاله أو تحقيره .

٣- المحبة واجبة بين المسلمين وتحريم البغضاء وسد ذرائعها .

٤- تخويف المسلم حرام ، والواجب نصرته .

٥- الأمر بالجماعة والتعاون والنهي عن الفرقة والخلاف .

٦- هدي الرسول ﷺ في غرس الثقة بالنفس .

١- الناس سواسية في الكرامة ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى :-

قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

وعن عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال : ((**إن الله أوحى إليَّ أنْ تواضعُوا حتى لا يفخَر أحدٌ على أَحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحَدٍ**)) (٢) والخطوة الأولى نحو غرس الثقة بالنفس هي بالاعتراف بالمساواة بين الناس في الكرامة ، وأن لا تباين بينهم بالجنس أو المال أو المنصب - رغم تفاوتهم في هذه الأمور - فكلهم متساوون كرامة إلا بالتقوى ، فالتفاضل بينهم بطاعة الله وهكذا نجد الإسلام ساوى بين العرب والعجم ، وبين الأسود والأبيض في الكرامة وفرق بينهم في التقوى ، بل إن بلالاً رضي الله عنه كان أفضل من أبي طالب عم النبي ﷺ وأفضل أيضاً من كثير من قريش الذين تأخر إسلامهم .

٢- وجوب تكريم المسلم وتحريم كل ما كان سبباً في إذلاله أو تحقيره

وأول درجات تكريم المسلم أنْ قرر الإسلام أنَّ المسلمين أخوة قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا**)) ويشير إلى صدره

---

(١) سورة الحجرات . آية (١٣) .

(٢) مسلم . حديث رقم (٢٨٥٦) ، أبي داود حديث رقم (٤٨٩٥) .

(٣) سورة الحجرات . آية (١٠) .

ثلاث مرات ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**)) [1] ، فعندما قرر الإسلام أن المسلم أخو المسلم ترتب على ذلك أن يعامله كما يعامل أخاه فلا يظلمه . وللظلم صور كثيرة منها : اغتصاب المال ، والإعتداء على النفس والاعتداء على العرض والتحقير والاستهزاء والتكبر عليه والكذب عليه بجميعها كلها احتقار المسلم ، والاحتقار من أعظم الظلم فإنه فيه من الضرر على نفسية الإنسان من حيث إيذائه وظلمه بانتقاصه من الدرجة التي منحها الله تعالى وهي " الأخوة والمواساة " فالمحتقِر ظلم المحتقَر وأنزله أقل من درجته ، وفي هذا إذلال له وإهانة له وهي سبب في نشوء الحقد والبغضاء بين الناس ولهذا عاداها الرسول ﷺ وقال : ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**)) فأي شر يكون التحقير ؟ إنه من أعظم الشرور وحث الإسلام المسلم على إكرام نفسه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** ﴾ [2] ، وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه**)) قيل : كيف يذل نفسه ؟ قال : ((**يتعرض للبلاء مالا يطيقه**)) [3] بل إنه أمر أن يستر الإنسان نفسه إذا فعل معصية فلا يجاهر بها لئلا تسقط كرامته عند الناس ، وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال ((**كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجانة أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه**

---

(١) مسلم . كتاب البر والصلة . ج٤ ، ص١٩٨٦ . حديث رقم (٢٥٦٤) ، أحمد ٢ / ٢٧٧ ، ٣٦٠ .

(٢) سورة لقمان . آية (١٨) .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب القدر . ج٣ ، ص٣٥٦ . حديث رقم (٢٣٥٥) . وقال حسن غريب ، وأحمد ٥/ ٤٠٥ ، وابن ماجه حديث رقم ٤٠١٦ .

ويصبح يكشف ستر الله عنه)) [1] وأمر بالستر على المسلم لأن في فضيحته إذلال له وتحطيم لشخصيته وإهانة لكرامته ، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**)) [2] ، ونهى أيضاً عن مسألة الناس لما فيها من الذل الذي يورث ضعف الشخصية فقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه [3] قال ابن رجب رحمه الله : ((واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين ، لأن السؤال فيه إظهارا لذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [4] وقال الفضيل رحمه الله : ((والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد)) [5] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ﴾ [6] ، ويضع الرسول ﷺ في هذا الحديث ميزاناً لكل تصرفات

---

(١) البخاري ، كتاب الأدب . حديث رقم (٦٠٦٩) . ج٧ ، ص١١٧ . واللفظ له . ومسلم حديث رقم (٢٩٩٠) . ج٤ ، ص٢٢٩١ .

(٢) البخاري ، كتاب المظالم . حديث رقم (٢٤٤٢) وأول الحديث : ((**المسلم أخو المسلم**)).

(٣) مسلم . كتاب الزكاة . حديث رقم (١٠٤٣) . ج٢ ، ص٧٢١ . وأبو داود . كتاب الزكاة . ج٢ ، ص١٢١ . حديث رقم (١٦٤٢) .

(٤) سورة الطلاق . آية (٢،٣) .

(٥) ابن رجب . جامع العلوم والحكم . ج١ ، ص ٤٨١ .

(٦) البخاري . كتاب الإيمان . حديث رقم (١٣) . ج١ ، ص١١ . ومسلم . كتاب الإيمان . حديث رقم (٤٥) . ج١ ، ص٦٧ . وأحمد ٣/ ١٧٦ .

الإنسان مع الآخرين وأوجزه ﷺ في تلك الكلمات التي هي من جوامع الكلم وهذا الحديث لو أخذ به الناس لكفاهم في ميدان الأخلاق ، لأن النفوس مفطورة على كراهية الظلم والأذى بأنواعه وصوره كلها ، فلا أحد يحب أن يُغتصب ماله ، أو يُسخر منه ، أو يُذل أو يُحتقر أو يُتهكم عليه ، أو يُوبخ ، أو يُعتدى على سمعته ، أو يُذكر فيه ما يكره ، أو يُمن عليه ، أو يُكذب عليه أويُعتدى على حقوقه ، كل ذلك مما تأباه النفوس عادة ولا تحب أن يقع عليها وما دام الإنسان لا يحبه لنفسه فيجب أيضاً ألا يحبه للناس وإلا ما كان مؤمناً ، وفي هذا تحذير عظيم لهذه المسألة التي تساهل فيها الناس وهي التهكم والسخرية والظلم ، والأذى ، والتنابز بالألقاب ونحو ذلك مما هو شائع بين الناس ، فإنه في نفي الرسول ﷺ الإيمان " الكامل " عنه تحذير للناس من الاعتداء على حقوق الآخرين وظلمهم .

وأيضاً فالإنسان يحب لنفسه الخير بجميع أنواعه وأصنافه سواء من الدين والإيمان أو من أمور الدنيا كالمال ، والنساء ، والأولاد ، والصحة ، والأمن ، ونحو ذلك من النعم فيجب أيضاً على المسلم أن يحب لإخوانه المسلمين ما يحبه لنفسه فيسر إذا اهتدى أحد من الناس أو رزقه الله علماً ، أو جعل الله له قبولاً بين الناس ومحبة منهم أو رزقه الله مالاً ونساءً وأولاداً أو صحة ونحو ذلك ، فعليه أن يسر بذلك كأنه هو الذي حصل له ذلك وهذا الأمر من أشق الأشياء على النفوس إلا من رسخ في قلبه الإيمان والقرآن وأصبح هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ ، وزهد في الدنيا ، وجعل همه الآخرة .

وإذا ما أكرم الناس بعضهم بعضاً وتلافوا أسباب الإحتقار والإهانة والإذلال فإن ذلك مدعاة لنمو شخصية أفراد المجتمع نحو الكمال ، فيدعو ذلك الأفراد إلى الاعتزاز بأنفسهم واستقلال إرادتهم عن الآخرين مما يرسخ الثقة بالنفس ويبدد الخوف والقلق من اعتداء الآخرين على المرء فترسخ

الشجاعة في نفسه ويبدي رأيه بكل حرية ، ويخالف آراء من شاء من الناس وحقوقه مصونة لا يخشى عليها .

٣- المحبة واجبة بين المسلمين والبغضاء محرمة :

ومن أعظم وسائل غرس الثقة في النفس المحبة والمودة والرحمة ، فكما أن جسم الإنسان يحتاج إلى طعام متوازن من العناصر الضرورية وإلا أصابه نقص في تغذيته كأن تنقص بعض " الفيتامينات " ويترتب عليها آثار خطيرة على صحة الإنسان ويعوق النمو الجسدي عنده ، كذلك فالنفس تحتاج إلى غذاء وإلى عناصر متوازنة وإلا ظهر على سلوك الفرد آثار خطيرة ومن تلك العناصر المحبة والمودة والرحمة فالإنسان يحتاج إليها وخاصة في مطلع حياته وقد غرس الله في الوالدين محبة ابنهما فتتغذى نفسه بالمحبة كما يتغذى جسده باللبن ، وتنمو شخصيته بهذا الغذاء ، وكان من هدي الرسول ﷺ تقبيل الأطفال وإظهار محبتهم ، ورحمته لهم ، وخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً . فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : ((**من لا يَرحم لا يُرحم**)) [(١)] ، وقد حث الإسلام على التحاب والتواد والتراحم بين المسلمين ، فوصف الله المسلمين بالتراحم : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [(٢)] بل إن رسول الله ﷺ شرط للإيمان التحاب فقال ﷺ : ((**لا تدخُلُون الجنَّة حتّى تؤمنُوا ، ولا تؤمِنُوا حتى تحابُّوا ، أولا أدُلُّكم على شيءٍ إذا**

---

(١) البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . حديث رقم (٥٩٩٧) . ج٧ ، ص٩٩ .

(٢) سورة البلد . آية (١٧ - ١٨) .

فعلتمُوه تحاببتُم ؟ أفشُوا السَّلام بينكُمْ)) [1] ، وأمر بالإصلاح الاجتماعي بين الناس فقال ﷺ : ((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة** ؟ قالوا : بلى **قال : إصلاح ذات البين . وإفساد ذات البين الحالقة**)) [2] فقد جعل الرسول ﷺ إصلاح ذات البين أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ، وحذر من إفساد ذات البين وهي نشر البغضاء بين المسلمين واعتبرها الحالقة التي تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر وضرب الرسول ﷺ مثلاً لتواد المؤمنين وتراحمهم بالجسد الواحد فقال ﷺ : ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)) [3] ، ومن ناحية أخرى نهى عن البغضاء والشحناء وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**لا تحاسدُوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقُره . التقوى ههنا**)) ويشير إلى صدره ثلاث مرات ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**)) [4] ، ففي هذا الحديث نهيٌ عن البغضاء وعواملها مثل الحسد ، والتناجش والتدابر ، والظلم والخذلان ، كذلك حرم الغيبة والنميمة لما تورثه

---

(١) مسلم . كتاب الإيمان ، حديث رقم (٥٤) . ج١ ، ص٧٤ . وأحمد ٢/٤٤٢/٤٩٥ . وأبو داود . كتاب الأدب ، حديث رقم (٥١٩٣) . ج٤ ، ص٣٥٠ .

(٢) أبو داود . كتاب الأدب . حديث رقم (٤٩١٩) . ج٤ ، ص٤٨٠ . وأحمد ٦/٤٤٤ . والترمذي حديث رقم (٢٦٢٧) . ج٤ ، ص٧٣ . وقال حديث صحيح .

(٣) البخاري . كتاب الأدب . حديث رقم (٦٠١١) . ج٧ ، ص١٠٢ . ومسلم كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم (٢٥٨٦) . ج٤ ، ص٢٠٠٠ ، واللفظ له .

(٤) مسلم . كتاب البر والصلة والآداب .حديث رقم (٢٥٦٤) . ج٤ ، ص١٩٨٦ . وأحمد ٢ / ٢٧٧-٣٦٠ .

من البغضاء بين الناس فقال ﷺ : ((**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**)) [1] .

وحرم الله عز وجل السخرية من الناس فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ ﴾ [2] فالسخرية والتنابز بالألقاب مما يورث البغضاء بين الناس ، ونهى عن الهجر أكثر من ثلاثة أيام ، فقال ﷺ : ((**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**)) [3] ، إن شعور المرء أن الآخرين يحبونه ويودونه ويرحمونه يورثه الاستقرار النفسي ، ويغرس الثقة بنفسه ، أما عندما يشعر أن الآخرين يبغضونه ولا تحمل قلوبهم الرحمة له فإنه يخشاهم ، ويورث ذلك في نفسه الخوف من الناس وفقدان الثقة بهم ، ومن ثم ينعكس ذلك على نفسه بفقدان الثقة فيها لأنه يشعر أن الآخرين يتربصون به ، وكلما عمل عملاً أو قال قولاً فإن البغضاء في نفوسهم ستجعلهم ينظرون بعين الريبة نحوه ، ويفسرون عمله وقوله تفسيراً خاطئاً ، وكما قيل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وعندئذ فإن المرء يحجم عن إبداء رأيه ، ويتردد في تصرفاته خشية الناس ، مما يورثه فقدان الثقة في نفسه ، فالخوف والتردد والشعور بالازدراء من الآخرين كل ذلك مما يورث فقدان الثقة بالنفس ، والتحاب والتعاطف ،

---

(١) أبو داود . كتاب الأدب . حديث رقم (٤٨٧٦) . ج٤ ، ص٢٦٩ . أحمد ١ / ١٩٠ .

(٢) سورة الحجرات ، آية (١١) .

(٣) البخاري . كتاب الأدب . حديث رقم (٦٠٦٥) . ج٧ ، ص١١٦ . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم (٢٥٥٩) . ج٤ ، ص١٩٨٣ .

والتواد يورث الأمن من الآخرين والاطمئنان من جانبهم فيمكن المرء من إبداء رأيه وإن كان مخالفاً لآراء الآخرين ، لأنه يستشعر أنهم يحبونه ، وأنه مطمئن لهم .

٤- تحريم تخويف المسلم ، وإيجاب نصرته :-

إن من أهم عوامل فقدان الثقة بالنفس هو الخوف ، وخاصة الخوف من الناس ، فإن الدافع في الغالب لاتباع الآخرين هو الخوف منهم ، ولهذا حرم الإسلام تخويف الناس بدون حق ، ففي سنن أبي داود عن بعض الصحابة أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، فأخذها ففزع ، فقال النبي ﷺ ((**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**))[1] وقال النبي ﷺ : ((**لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً جاداً فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه**)) [2] ، والتخويف هو أذى يصيب النفس ، كما أن الضرب أذى يصيب الجسد ، وأذية المسلم بجميع أنواعها حرام قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ [3] والواجب نصرة المسلم ، روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : ((**ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً عند موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئٍ ينصر امرأً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك**

---

(١) أبو داود . كتاب الأدب . حديث رقم (٥٠٠٤) . ج٤ ، ص٣٠١ . وأحمد ٥ / ٣٦٢ .

(٢) أحمد ٤ / ٢٢١ . أبو داود . كتاب الأدب . حديث رقم (٥٠٠٣) . ج٤ ، ص٣٠١ . والترمذي كتاب الفتن . حديث رقم (٢٢٤٩) . ج٣ ، ص٣١٣ . وقال حسن غريب .

(٣) سورة الأحزاب آية (٥٨) .

فيه من حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)) [1] .

وعلاج الخوف الإيمان بالقضاء والقدر ، والتوكل على الله والثقة به ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ فقال : ((**يا غلام إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استنعت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**)) [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [3] ، فمن توكل على الله عز وجل فهو حسبه .

ولهذا فعلى المرء أن يقول الحق وإن خالف ما عليه الناس ، قال رسول الله ﷺ : ((**ألا لا يمنعن رجلاً هيبته الناس أن يقول بحق إذا علمه**)) [4] ، إن مجاملة الناس ومتابعتهم فيما يقولون هو تحقير للنفس ، قال ﷺ : ((**لايحقر أحدكم نفسه**)) قالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : ((**يرى أمراً لله عليه فيه مقالٌ ثم لا يقول فيه ، فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : وإياي**

---

(١) أحمد ٤ / ٣٠ .

(٢) أحمد ١/ ٢٩٣ . الترمذي . كتاب صفة القيامة . حديث رقم (٢٦٣٥) . ج٤ ، ص٧٦ . وقال حسن صحيح .

(٣) سورة الطلاق آية (٢-٣) .

(٣) أحمد ٣/٥ ، ٤٤ ، ٤٦ . ابن ماجه (٤٠٠٧) ، واللفظ له .

كنت أحق أن تخشى)) [1] ، فعلاج الخوف هو اعتقاد أن الضرر والنفع من عند الله عز وجل ، وأنه لا يتم في هذا الكون شيئاً إلا بقدره وإرادته ، والتوكل على الله عز وجل ، في شؤونه كلها ولو تبصر الإنسان في نفسه ، ورأى كيف أنه خرج إلى الدنيا ، وهو صغير، عارياً لا يملك أن يطعم نفسه ، ولا أن يدفع عن نفسه شيئاً ، وكفل الله به والديه ، وغرس في قلوبهم رحمته وإطعامه ، وحمايته ، ولكنه عندما يكبر يظن أن لله لم يعد يتكفل به ، ولم يعلم أن ما يأتيه من رزق إنما هو من عند الله ، وليس بحوله ولا قوته ، ويتعلق بالأسباب ، ولا يتوكل على خالق الأسباب فهذا من الجهل العظيم بالله ، قال تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [2] ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (("التوكل" نصف الدين ، والنصف الثاني " الإنابة " فإن الدين الإستعانة والإنابة هي العبادة .

وهو من منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها)) [3] ، ثم ذكر رحمه الله أقوال طائفة من العلماء في التوكل ، من ذلك قول الإمام أحمد : ((التوكل عمل القلب)) ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والإدراكات ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو علم القلب بكفاية الرب للعبد ، وقول سهل : ((التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد)) ، وقول ذا النون : ((هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه)) ،

---

(١) أحمد ٣ / ٣٠ - ٤٧ - ٧٣ ، وابن ماجه . كتاب الفتن . حديث رقم (٤٠٠٨) . ج٢ ، ص١٣٢٨ ، واللفظ له .

(٢) سورة المائدة . آية (٢٣) .

(٣) ابن القيم . مدارج السالكين ، ج٢ : ص١١٢ - ١١٦ ، باختصار .

ثم قال ابن القيم رحمه الله : ((وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد ، قال سهل بن عبد الله : ((من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان)) [1] .

وإذا رسخ في القلب التوكل فإنه يورث الطمأنينة ويبدد الخوف ، وهذا هو الرضى ((ثمرة التوكل)) قال ابن القيم رحمه الله : ((والرضى هو ثمرة التوكل ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجمل ثمراته ، وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله ، وكان شيخنا (ابن تيمية) يقول : المقدور يكتنفه أمران : التوكل قبله ، والرضى بعده ، فمن توكل على الله قبل الفعل ، ورضي بالمقضي له بعد الفعل ، فقد قام بالعبودية)) [2] ، ولهذا فإن أكثر الناس المصابين بمرض الخوف من الناس أومن الفقر ، أو من المرض ، وغير ذلك من المخلوقات سببه ضعف التوكل على الله ، والتوكل من أعمال القلوب ومن ثمرات حياة القلب ، فهو يرتبط بموضوع إحياء القلوب .

٥- الأمر بالجماعة والتعاون والنهي عن الفرقة والخلاف :-

والإنسان بطبعه اجتماعي فإذا انضم الإنسان إلى جماعة فإنه يحس بالأمان والطمأنينة ، وإن نبذته الجماعة وبقي منفرداً فإنه يحس بالخوف والذل ولهذا يرتبط الذل بالغريب لأنه لا يجد من ينصره ويؤازره ويؤانسه ، بينما إذا انضم إلى جماعة يسودها التعاون فإن ذلك مدعاة لشعوره بأن هناك من يحميه وينصره ، فيشعر بالأمن والطمأنينة .

والشعور بالخوف والذل آفة من أشد الآفات التي تنخر في شخصية

---

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج ٢ ، ص ١١٢ -١١٦ .

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج ٢ ص ١٢٢ .

الإنسان تورث فيه انعدام الثقة بنفسه قال تعالى عن زكريا ﷺ : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [1] ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالترابط في جماعة واحدة قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [4] فبين سبحانه وتعالى فائدة " الجماعة " وهي القوة وهذا معلوم أن أي أمة من الأمم إذا توحدت في جماعة واحدة فإنها تصبح قوية ، وإذا تفرقت ضعفت بمقدار تفرقها وتشتتها . ومن أساليب الأمم في حروبها مع الأمم الأخرى أن تزرع الفرقة بين شعوبها ، وأن تغذي أسباب الفرقة كما قيل " فرق تسد " وهذا ما استخدمته الأمم الأوروبية وغيرها في محاربتها للمسلمين فبثت الفرقة والخلاف بين الشعوب الإسلامية ، وفقدت الأمة الإسلامية قوتها ، وشخصيتها ، مما ساهم في نشوء التبعية الفكرية بين المسلمين .

وترتبط الفرقة بالخلاف والتنازع بين أفراد المجتمع ومن ثم الحروب

---

(١) سورة الأنبياء . آية (٨٩) .

(٢) آل عمران . آية (١٠٣) .

(٣) سورة الأنفال . آية (٤٦) .

(٤) سورة الروم . آية (٣١ - ٣٢) .

الداخلية وهي من أعظم عوامل إنهاك الأمة وتحطيم قوتها ، وبث الخوف والذعر بين أفرادها ، فإن الأمة إذا واجهها عدو خارجي ، وتكاتف أفرادها في مواجهته ومحاربته فإن ذلك قد يورث المحبة بين أفرادها ، بينما إذا أصبحت الحرب بين أفرادها فإن ذلك يورث القلق والخوف والبغضاء مما يدمر نفوس الناس كما يدمر قوة الأمة .

ولهذا جاءت الأحاديث النبوية تحذر من الخروج عن السلطان المسلم وإن كان ظالماً لما يتسبب في ذلك من فتن عظيمة على دين الناس وعلى عقولهم وأموالهم وأعراضهم كما هو معلوم لمن تبصر في التاريخ : روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهليةً ، ومن قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ ، يغضب لعصبيةٍ ، أو يدعوا إلى عصبية فقتل فقتلةٌ جاهليةٌ ، ومن خرج على أُمَّتي يضربُ بَرَّهَا وفاجِرَها ولا يتحاش من مُؤمِنها ، ولا يفي لذي عهدٍ عهدهُ فليسَ مِنِّي ولستُ منهُ**)) [1] وقال ﷺ عن السلاطين الظلمة : ((**اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلتُمْ**)) [2] وقال ﷺ : ((**من كره من أميره شيئاً فليصبر فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**)) [3] وفي رواية ((**فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية**)) [4] ويظهر بين الناس في بعض الأحيان من ينتقد السلطان أو الخليفة ، ثم يدعو الناس إلى الخروج عليه ومقاتلته وفي ظن ذلك الجاهل أن هذا مدعاة لإصلاح أحوال الناس ، فيخرج ويخرج معه أتباعه ، وتظهر الفتنة ويقتتل الناس وقد تستمر

---

(١) مسلم . كتاب الإمارة . حديث رقم (١٨٤٨) . ج٣ ، ص١٤٧٧ .

(٢) مسلم . كتاب الإمارة . حديث رقم (١٨٤٦) . ج٣ ، ص١٤٧٥ .

(٣) البخاري . كتاب الفتن . حديث رقم (٧٠٥٣) . ج٨ ، ص١١٢ .

(٤) البخاري . كتاب الفتن . حديث رقم (٧٠٥٤) . ج٨ ، ص١١٢ .

تلك الفتنة سنين يفتقد الناس من خلالها دينهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم وأمنهم ويمسهم من الجوع والخوف والقلق مالا يوصف ومن ثم يتسلم السلطة حاكم ربما يكون أسوأ من الأول كما حدث كثيراً في تاريخ المسلمين وتجر تلك الفتنة من المصائب على المسلمين مالا يوصف ، فهذه الدولة العباسية التي قامت بزعم إصلاح أحوال الناس من ظلم الخلفاء الأمويين وحدث من خروجهم دمار وقتل عظيم ولما استلموا السلطة واستقروا فيها حدث منهم من المفاسد أكثر مما حدث من مفاسد بني أمية كما هو معلوم من التاريخ ، ولهذا جاء تحذير الرسول ﷺ من الخروج عن الجماعة وعن سلطان المسلمين ، لما يعلمه ﷺ من الفتن المترتبة على ذلك سواء على دين الناس أو على أرواحهم أو ممتلكاتهم أو حتى ضعف الدولة الإسلامية ، وهجوم الأعداء عليهم ، ودائماً الأعداء يتربصون بالأمة فإذا ما حدثت مثل تلك النزاعات والفتن انقضوا عليها من كل جانب ، وأولئك المفسدون قادة الفتنة الذين يظنون أنهم مصلحون لا يدركون آثار خروجهم ، والأولى إذا كان سعيهم في الإصلاح أن يستمعوا لأمر رسول الله ﷺ ويصبروا ، ويدعوا الله أن يصلح سلطانهم ويناصحوه بالطريقة التي لا تثير الغوغاء وإن صلح الناس صلحت ولاتهم ، فالأولى بهم أن يسعوا إلى إصلاح حال العامة ، بتعليمهم القرآن والسنة ، مع مناصحة ولاة الأمر وأعوانهم ، والصبر على ذلك ، وعدم استعجال النتائج .

إن الفتن والحروب الداخلية من أعظم عوامل تحطيم شخصية الفرد ، فمن خلالها ينتشر الذعر والخوف والقلق والفقر والجوع والظلم وانتهاك المحارم والبغضاء والشحناء وتتعطل وظائف الدولة من إقامة الأحكام الشرعية واستتباب الأمن فلا عقل لخائف ، كذلك تتعطل وظائف المدارس ، والمساجد والتعليم ، والتوجيه ، والإرشاد ، ويكون هم الناس في متابعة

الأحداث والمشاركة فيها ، ويصبح جهدهم ومالهم يصب في إعانة جماعة ضد جماعة ولهذا جاء النهي الشديد عن الخروج عن الجماعة والسلطان .

وقد استنتج جماعة من علماء النفس أن من أهم وسائل " غسل الدماغ " هو عزل الفرد عن الآخرين ، وتخويفه بالضرب والقتل ، فيجمع بين عزل الفرد في زنزانة انفرادية وتخويفه مع إذلاله حتى تتحطم شخصيته فيكون عرضة لزعزعة عقائده وتثبيت عقائد جديدة .

قال " جي . إي . براون " في كتاب " أساليب الاقتناع وغسيل الدماغ " ((ولقد ظهر من خلال أحداث التلقين السياسي في كوريا أن التأثير على الأفراد لم يكن ممكناً طالما بقيت الجماعة متماسكة " فالروح المعنوية " للمجموعة هي نوع من الدرع الواقي لأفرادها وحتى حينما يكون الفرد وحده فإنه يملك مقداراً من الروح المعنوية الذاتية ، ومصدرها شعوره الشديد بذاتيته وكذلك الأمر بالنسبة لعلاقاته بالمجتمع والبيئة التي تحمي تلك الذاتية ، ولذا فإن هدف أي نوع من غسيل الدماغ هو إزالة هذين العاملين بطرق متعددة مثل العزلة الاجتماعية والإذلال)) [1] .

٦- هدي الرسول ﷺ في غرس الثقة في نفوس أصحابه :-

كان رسول الله ﷺ يشجع أصحابه على قول الحق فقال : ((**ألا يمنعن رجلاً هيبته الناس أن يقول بحق إذا علمه**)) [2] ، وكان ﷺ لا يكثر اللوم والعتاب على أصحابه فهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ يقول : خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ،

---

(١) جي . إي . براون . أساليب الاقتناع وغسيل الدماغ . ترجمة عبد اللطيف الخياط . مرجع سابق . ص١٣٥ .

(٢) أحمد ٣/٥ - ١٩ - ٤٤ - ٤٦ وابن ماجه حديث رقم (٤٠٠٧) . واللفظ له .

فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال : ((**دعوه فلو قدر – أو قال لو قضي – أن يكون كان**)) [1] ، وفي رواية : ((**ما علمت قال لشيء صنعت : لم فعلت كذا وكذا ، ولا لشيء تركت : هلا فعلت كذا وكذا**)) [2] .

ومن هدي الرسول ﷺ في غرس الثقة في أصحابه تشجيعه لهم وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه حسن التلاوة للقرآن فقال له النبي ﷺ : ((**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)) [3] وقال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم أحد : ((**ارم فداك أبي وأمي**)) [4] وقال : ((**أرحمُ أُمتي بِأُمتي أبُو بكر ، وأشدُّهم في دين الله عُمر ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ ، وأقضاهُم علي بن أبي طالب ، وأقرؤهم لكتاب الله أبيُّ بنُ كعبٍ ، وأعلمُهم بالحلال والحرام مُعاذُ بن جبل ، وأفرضُهم زيدُ بن ثابت ، ألا وإنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أميناً وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبُو عُبيدة بن الجرَّاحِ**)) [5] ومن هديه ﷺ في ذلك تكليف بعض شبّان الصحابة بأعمال عظيمة كقيادة الجيوش ، فقد أمَّر أسامة بن زيد على قيادة الجيش الذي وجهه لقتال الروم بالشام وكان عمره ثماني عشرة سنة وفي

---

(١) أحمد عن أنس . ج٣ ، ص٢٣٠ .

(٢) أبو داود . كتاب الأدب . حديث رقم (٤٧٧٣) . ج٤ ، ص٢٤٦ . والترمذي . حديث رقم (٢٠٨٤) . ج٣ ، ص٢٤٨ . وقال حسن صحيح .

(٣) البخاري . كتاب فضائل القرآن . حديث رقم (٥٠٤٨) . ج٦ ، ص١٣٧ . ومسلم . كتاب الصلاة . حديث رقم (٧٩٣) . ج٢ ، ص٥٤٦ .

(٤) البخاري . كتاب المغازي . حديث رقم (٤٠٥٥) . ج٥ ، ص٣٩ . ومسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤١١) . ج٤ ، ص١٨٧٦ .

(٥) ابن ماجه . باب فضائل أصحاب رسول الله حديث (١٥٤) . ج١ ، ص٥٤ . والترمذي بنحوه باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبيّ بن كعب . حديث (٣٨٧٩) . ج٥ ، ص٣٣٠ .

الجيش عمر بن الخطاب وكبار الصحابة [1] ، وولى عتّاب بن أسيد أمارة مكة بعد الفتح وكان عمره عشرون سنة فحج بالناس عامئذ [2] .

وفي هدي الرسول ﷺ هذا تدريب على المسؤولية فالقائد إذا أشعر الشباب أنهم في مستوى المسؤولية وكلفهم بأعمال كبيرة فإن ذلك يورث فيهم الثقة بأنفسهم ، وأنهم أهل لتحمل المسؤولية ، وكثير من الآباء والمربين لا يتيحون للأطفال والشبان فرصة تحمل المسؤولية في حدود قدراتهم ، ويعودونهم على الاتكال على الآخرين ، كالجند مع الضابط ليس عليهم إلا استماع الآوامر والتعليمات وتنفيذها ، والأولى أن يغرسوا الثقة بأنفسهم ويمنحوهم الفرصة لتحمل المسؤوليات كما كان هدي الرسول ﷺ مع أصحابه .

ومن هدي الرسول ﷺ في هذا الباب " الشورى " فقد كان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه قبل اتخاذ القرار قال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [3] ، ومع أن الرسول ﷺ له من المكانة والمنزلة مالا يخفى على أحد وقد عصمه الله عز وجل ، وهو غير محتاج إلى آرائهم والوحي يصحح ما يخطئ فيه ، فإن في ذلك لحكمة عظيمة ، وهي غرس الثقة في أصحابه ، فعندما يشعر الصحابة أن رسول الله ﷺ يستشيرهم ويطلب منهم الرأي فإن ذلك يورث في أنفسهم الثقة بذواتهم كيف والرسول ﷺ

---

(١) ثم إنهم خيموا " بالجرف " ، ويقال أن معهم أبا بكر ثم استثناه الرسول ﷺ للصلاة ، فلما مات الرسول ﷺ أنفذ أبو بكر ﷺ الجيش ، واستطلق من أسامة عمر بن الخطاب فأطلقه ، فلهذا كان عمر لا يلقى أسامة بعد ذلك إلا قال : السلام عليك أيها الأمير . (ابن كثير . البداية والنهاية . ج٦ ، ص٢٩٧ - ٢٩٨) .
وكان عمر أسامة بن زيد ﷺ ثماني عشرة سنة . (انظر ترجمة أسامة بن زيد في : الذهبي . سير أعلام النبلاء . ج٢ ، ص٥٠٠) .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية . ج٤ . ص٣٣ .

(٣) سورة آل عمران ، آية (١٥٩) .

استشارهم ، ولو أن الرجل استشاره ملك أو قائد لأورثه ذلك ثقته بنفسه وأحسن الظن بها ، فكيف إذا استشاره أفضل الأنبياء والمرسلين ، بل سيد ولد آدم .

وظيفة المدرسة نحو غرس الثقة بالنفس :

تكاد المدرسة اليوم تصبح أداة لتدجين [1] الطلاب وتذويب شخصياتهم والقضاء على استقلال الشخصية لديهم وتحويلهم إلى آلات استقبال للمعلومات والتعليمات دون تفاعل وتوجيه وإرشاد وتدريب وتنمية للمهارات المتنوعة وتأهيلهم للحياة بشكل عام .

لقد بُني نظام المدرسة المعاصر على ركائز عديدة منها ثلاث ركائز تكاد تكون من أسباب غرس التبعية الفكرية ، وهي : نظام الترقي في الصفوف الدراسية " السلم التعليمي " ونظام التقويم والمحتوى الدراسي ، فنظام الترقي في التعليم أو السلم التعليمي يعتمد على تقسيم الدراسة على مراحل " المرحلة الابتدائية المرحلة الإعدادية - المرحلة الثانوية " وكل مرحلة بها صفوف دراسية " الصف الأول ، الصف الثاني ، الصف الثالث ... وهكذا " والطالب يلتحق بالدراسة وكلما أنهى سنة دراسية ترقى للتي بعدها وهكذا . ولابد أن تمضي السنة الدراسية كاملة ويحدد للامتحانات موعد ويدخل الجميع تحت هذا النظام [2] وهذا النظام يتعارض مع أهم مبادئ التعليم ، وهو

---

(١) التدجين : تذويب شخصية الطالب ، وجعله في موقف المتلقي للمعلومات ، وللعلماء الغربيين آراء في هذه المسألة بين مؤيد لها باعتبار أن " التدجين " أمر ضروري في المراحل الأولى من عمر الطفل ، لأنه لا يعرف مصلحته . وهناك آخرون يرون أن " التدجين " منافٍ للعملية التربوية .

انظر لمزيد من التوسع : محمد جميل خياط . النظرية التربوية في الإسلام . مرجع سابق . ص١٠٦ - ١٠٩ .

(٢) علماء النفس انتقدوا هذا التنظيم لأنه يعارض أهم مبادئ التعلم وهو مراعاة الفروق الفردية ، والمبررون لبقاء هذا التنظيم ينظرون إلى التكاليف المالية الباهظة المحتملة في حالة تغييره حتى يراعي الفروق الفردية ، لأن الإنفاق على التعليم أصبح من مهام الحكومات في مختلف دول العالم .

الفروق الفردية إذ أن الطلاب كما هو معلوم يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في المقدرة على استيعاب الدروس كذلك تختلف لديهم الملكات والاستعدادات اختلافاً كبيراً ، منهم من يحفظ من أول مرة ومنهم من لا يحفظ إلا بعد عشر مرات ومنهم من تكون عنده ملكة الحفظ جيدة وملكة الاستنباط ضعيفة ومنهم عكس ذلك قد تكون عنده ملكة الاستنباط جيدة والحفظ رديئة وهكذا في بقية الملكات التي يتفاوت البشر فيها تفاوتاً عظيماً وتلك الملكات ترتبط بشخصية الطالب بل هي من مكونات الشخصية .

فإذا التحق الطلاب بالمدرسة ووجدوا أن المنهج الدراسي يتعامل معهم جميعاً على مستوى واحد دون مراعاة للفروق الفردية فالطالب الذي يتمتع بمستوى عالٍ من الذكاء لا يتيح له المنهج الدراسي أن يتميز عن الآخرين ، ويتعامل معه على مستوى ذكائه أو مستوى جده واجتهاده بل إنه يُعامل كما يعامل الطالب المتدني الذكاء ، فالعام الدراسي للجميع واحد ولا يتميزون إلا بدرجات الامتحانات فقط ، والامتحانات للأسف مرتبطة بالزمن فالطالب قد يكون استيعابه بطيئاً لكنه ذكي في نفس الوقت فتفاجئه الامتحانات في وقت لم يكن فيه مستعداً ولا يمكن تأجيلها مما يجعله يخفق ثم يشعر بالفشل مما ينعكس على نفسيته ، والطالب الذي يتمتع بسرعة الاستيعاب والحفظ لا يتيح له المنهج أن ينتهي من المواد قبل موعد الامتحانات ، والمفروض أصلاً أن يكون مقدار المعلومات وموعد الامتحانات متلائماً مع الفروق الفردية بين الطلاب ومراعياً لظروفهم الاجتماعية أيضاً فيتعلم الطالب المستوى المطلوب من المادة حسب قدرته والوقت الكافي له ، فإن استطاع أن ينهي هذه المادة ويستوعب ما فيها مثلاً في شهر أو شهرين

انظر لمزيد من التوسع : رمزية غريب . التعلم . ص٥٠٨ ، ط٤ . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١م

يتقدم إلى المدرس ويمتحنه فيها ثم يدرس مادة أخرى وهكذا يسير في البرنامج الدراسي وفق قدراته ، وإن كان بطيئاً في استيعابه كأن يحتاج إلى سنة أو أكثر من ذلك فيتاح له ذلك فإذا اجتاز تلك المادة أو تلك المواد يعطى مواداً أخرى وهكذا يسير الجميع وفق قدراتهم .

والطلاب يمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات : فئة يمكن أن يتلاءم الوقت المتاح مع المواد التي يدرسونها فهذه قد يناسبها البرنامج نوعاً ما ، وفئة قدراتها تتجاوز الوقت المتاح ويمكنها إنهاء دراسة المواد في وقت أقصر وفي هذا قتل لروح التفوق عندهم ، وفئة قدراتها لا تمكنها من استيعاب المواد في الوقت المخصص لها وتلك الفئة هي التي تفشل في الامتحانات ثم تصاب بعقدة الفشل والنقص وفقدان الثقة في نفسها .

وإذا راجعنا المنهاج الدراسي عند المسلمين رأينا أنه يتميز بمراعاته للفروق الفردية فلم يكن العام الدراسي عندهم محدداً و لم يكن عندهم موعدٌ محددٌ للامتحانات فالمدرس " الشيخ " يدرس الجميع من مقرر واحد لكن في نفس الوقت يتعامل مع كل طالب أو أكثر حسب سرعة استيعابه فإذا ما رآه استوعب الكتاب فإنه يجيزه ، فمن الطلاب من ينهي المقرر في أسبوع ، ومنهم من يبقى مع الشيخ سنة كاملة ، ومنهم دون ذلك ، وهكذا لا يمنح الشيخ الإجازة إلا بعد أن يتقرر عنده أن الطالب استوعب ذلك المقرر . وهذا النظام هو الذي خرج علماء لم يتجاوزوا العشرين من أعمارهم و لم يكن التعليم فيه من القسوة والأذى ما هو حاصل الآن من حيث عدم مراعاة للفروق الفردية .

كذلك من عناصر النظام التعليمي المعاصر " في تنظيم المحتوى " [1] أن جميع الطلاب ملزمين في التعليم العام بمقررات واحدة ما عدا المرحلة الثانوية قد يكون فيها مرونة لاختيار التخصص لكن قبل ذلك فجميع المواد إلزامية يدرسها الطلاب ومن المعلوم أن بعض المواد الدراسية قد لا تستهوي بعض الطلاب وقد لا يميل إليها الطالب ولا يجد لنفسه قابلية لها مثل الرياضيات أو اللغة الإنجليزية أو العلوم وقد يميل الطالب إلى مواد أخرى كما هو معلوم ، تتفاوت ميول الطلاب نحو المواد الدراسية تفاوتاً عظيماً ، فمن مادة يحبها الطالب ، ويميل إليها ويستوعبها ، ومادة لا يحبها ولا يميل إليها ويشعر بثقلها وقد لا يستوعبها ولا يحفظ قوانينها .

والنظام المدرسي إذا أخفق طالب في مادة أو مادتين وفشل في تجاوز الامتحان فإنه يعيد السنة ثم بعد ذلك إذا فشل فإنه يطرد من التعليم أو حتى يبقى في تلك السنة حتى يجتازها ، وهكذا لابد أن يجتاز جميع المواد وإلا حرم من مواصلة تعليمه بسبب مادة قد لا يكون لها أي نفع في مستقبل الطالب ، بل إن الطالب في الغالب ينسى تلك المعلومات التي حفظها .

---

(١) ساهم في تحديد مواد التعليم العام في دول العالم عموماً نظريتان هما : النظرية " الموسوعية " التي من أبرز مبادئها أن كل إنسان يجب أن يتعلم تعليماً كاملاً في جميع الأمور التي تسهم في تحقيق كمال الطبيعة الإنسانية وتعتبر تلك النظرية جزءاً من الحركة الفكرية التي سادت في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في أوربا ، وهي التي ساهمت في دخول دراسة الرياضة والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، والجغرافيا ، ونحوها في محتوى التعليم الدراسي . وكذلك النظرية " الجوهرية " حيث تذهب هذه النظرية إلى أن هناك جوانب أساسية أو جوهرية معينة يجب الإبقاء عليها ، كما يجب أن يعرفها كل الناس . وقد ساهمت تلك النظرية في تشكيل وتنظيم المحتوى الدراسي على أساس مواد دراسية متنوعة .

انظر لمزيد من التوسع : رجب الكلزة وعبد الله إبراهيم . نظريات المنهج زالشخصية المصرية . ص١٠ وما بعدها . ط١ . القاهرة : المكتب العربي ، (د.ت.) .

وعن تنظيمات المناهج المعاصرة انظر : جودت أحمد سعادة وعبدالله محمد إبراهيم . تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها . ط١ . القاهرة : دار الثقافة للنشر ، (د.ت.) .

وإن في إكراه الطالب على تعلم مواد لا يميل إليها قلبه فيه آثار ضارة على نفسية الطالب ، منها : أن الطالب قد يكره التعليم كله بسبب تلك المادة ، وقد يفشل فيها فيحرم من التعليم ، وقد يتصبَّر ويحفظها ويتجاوزها لكنها تؤذي نفسه إيذاءً شديداً ، فإن إلزام الطالب بحضور دروسها وحفظها ، وهو لا يميل إليها ، في ذلك أذى نفسي بالغ ، واضطهاد لا مبرر له بل هو نوع من أنواع الظلم ، قال ابن خلدون رحمه الله : ((إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر وضيَّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره)) [1] .

وإذا ظهر علينا من زعم أن تلك المادة الدراسية لها من المنافع كذا وكذا وأخذ يعدد منافعها ، نقول له : نعم لها منافع قد يستفيد من منافعها طلاب ، ولكن في إكراه بعض الطلاب الذين لا يميلون إليها أضراراً قد تتجاوز منافعها بل إن المادة التي لا يميل إليها الطالب قد تؤثر في المواد التي يميل إليها ويحبها ، فأثر مضايقتها له يمتد إلى المواد الأخرى ، وتشغله عن الاستفادة منها ، وهذا معلوم لمن تبصر في طلابنا ، ورأى كيف تعلو الكآبة وجوههم وهم ذاهبون إلى المدارس ورأى كيف تكون سعادتهم عندما يقرع الجرس مؤذناً بنهاية اليوم الدراسي فيخرجون سراعاً يكاد بعضهم يقتل بعضاً من الفرحة ، وانظر إلى استبشارهم بالإجازات ، لتعلم أن أغلب الطلاب لا تستهويهم المدرسة ، ونظام المحتوى الدراسي فيه خلل كبير إذ أن الطالب يدرس مواد متنوعة من رياضيات إلى تاريخ إلى لغة عربية إلى ثقافة إسلامية ، إلى تربية فنية ، فيدرس في اليوم الواحد عدة مواد لا يجمعها رابط ، فقد يبتدئ الحصة الأولى

(١) ابن خلدون . المقدمة . ص٧٤٣ . مرجع سابق .

بالرياضيات ثم يدرس الفقه ثم يدرس التاريخ ثم يدرس العلوم ، وكل ذلك يشتت ذهنه ، ولا يكمل المواد بعضها بعضاً ، فينتقل من الرياضيات التي لها منهج مميز إلى التاريخ مثلاً ولها منهج مميز آخر ، وتنقّله هذا يورث عند الطالب تشتت الذهن ، قال ابن خلدون رحمه الله : ((ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً ، فإنه حينئِذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال)) [1] ، وهذا من أهم عوامل بروز ظاهرة " أنصاف المتعلمين " وهي مرتبطة بعدم إجادة تخصص واحد والتعمق فيه بما يكفي ، وإنما يتشتت جهده وذهنه بين مواد متنوعة ، وإن كان المبرر لهذا التنوع هو أن هذا تعليم عام أساسي وليس تخصصياً ، وأن التخصص يلي تلك المرحلة ولكن التعليم العام يمتد بالطالب منذ يبلغ السادسة من عمره حتى الثامنة عشر ، ويبلغ في المعتاد ثنتي عشرة سنة إن اجتازها جميعاً بنجاح ! فكيف يكون الإعداد ثنتي عشرة سنة ؟! أليس في ذلك وقت طويل يستغرقه الطالب في مرحلة الإعداد ؟

ثم أيضاً إن الطالب إذا ما التحق بتخصصه لا ينتفع إلا بالمواد التي لها علاقة بتخصصه أما غيرها فينساها في الغالب وتفقد قيمتها ولا يبقى من ذكراها إلا أسماؤها ، وهذا شيء معلوم لكل من انتهى من التعليم العام ، بل إن خريجي الجامعات أنفسهم لو أننا امتحناهم مرة أخرى في دروس المرحلة الثانوية لما اجتازوا من المواد شيئاً إلا المواد المرتبطة بتخصصاتهم في المرحلة الجامعية !

والمبررات كثيرة في ضرورة إعادة النظر في المحتوى الدراسي لكن أهم من تلك المبررات الأثر المترتب على شخصية الطالب من إلزامه بتلك المواد

---

(١) ابن خلدون . المقدمة . ص٧٣٦ . مرجع سابق .

المتنوعة التي لابد أن بعضها لا يوافق ميوله .

" الامتحانات "

الأسلوب الرئيسي في عملية التقويم في النظام المدرسي المعاصر " الامتحانات " وتعتمد في الغالب على قياس الحفظ عند الطلاب ، وكما سبق أن أشار الباحث إلى أن الامتحانات لا يختار وقتها الطالب وإنما يفرض عليه مع زملائه في وقت محدود من العام الدراسي ، يقول طه حسين عن الامتحانات : ((وهناك مشكلة عسيرة إلى أبعد حدود العسر ، سخيفة إلى أقصى غايات السخف ، يتأثر بها تعليمنا كله على اختلاف أنواعه وألوانه أشد التأثر فيفسد بها أعظم الفساد . وهي لاتفسد التعليم وحده ولكنها تفسد معه الأخلاق . وتكاد تجعل التعليم خطراً على النظام الاجتماعي نفسه إنها مشكلة الامتحانات)) [1] ثم شرع يبين عيوب الامتحانات وأبرز ما ذكره من عيوبها أنها أصبحت غاية لا وسيلة ، وأصبح التعليم موجهاً إلى الامتحانات لا إلى العلم ، مما أثمر فساد الشباب وإكبارهم للسخيف ، وإعراضهم عن عظائم الأمور ، لأن هؤلاء الشباب ينشأون على العناية بالامتحان وهو تافه ، وعلى إكبار الشهادة وهي سخيفة ، وعلى الإعراض عن العلم وهو لب الحياة وخلاصتها)) [2] والامتحانات فيها عيبان رئيسيان

الأول : أنها لا تقيس إلا جانب الحفظ ، **والعيب الثاني** : أن موعدها محدد لجميع الطلاب ، فلا تراعي الفروق الفردية ولا ظروف الطلاب وأحوالهم ، ومن ثم ينعكس ذلك العيبان الرئيسيان على الطلاب بآثار بالغة الخطورة منها :

---

(١) طه حسين . مشكلة الامتحانات . مجلة المعرفة . عدد ١ ، رجب ١٤١٧هـ ، ص٦٦ . تصدر عن وزارة المعارف ، الرياض .

(٢) المرجع السابق . ص٦٧ .

١- لا تقيس إلا جانب الحفظ ، وقد لا يتمتع بملكة الحفظ أكثر الطلاب مما يعني أن من لا يحفظ فسيكون الفشل من نصيبه [١] .

٢- اعتبار أن الامتحان هو الغاية [٢] فإن اجتازه الطالب - سواء كان مستوعباً للمادة الدراسية أم لم يستوعبها - فإن ذلك هو الغاية التي سيمنح الطالب بعدها شهادة على أنه حصل على المؤهل كذا وكذا ، فترتب على ذلك أن تركز ذهن الطالب على الامتحان فقط كما قيل فيه " يكرم المرء أو يهان " فتجده يحفظ ويحفظ حتى موعد الاختبار ، فإذا انتهى الاختبار فإنه في الغالب ينسى ما حفظه لأنه درب ذاكرته على ألا تحفظ إلا من أجل الاختبار ، وبعد ذلك لا يراجع المادة ولا يكرر ما حفظه ، لأن غايته من الدراسة النجاح في الامتحان وهاهو قد حقق غايته ، بل إن تفشي ظاهرة الغش مرتبطة بهذا الأمر .

٣- وأهم عيوب الامتحانات قاطبة تأثيرها على الناحية النفسية في الطالب ، لأنها أصبحت غاية ، وكل العام الدراسي لا يساوي بالنسبة إليها شيئاً إن اجتازها فقد نجح ، وإن أخفق فيها فإنه سيعيد السنة الدراسية أو المادة وتعود الطالب أن يركز ذهنه على الامتحانات ، وأصبحت أكبر همه فإذا ما جاء موعد الامتحانات رأيت الطلاب وقد خيم القلق والتوتر الشديد والخوف من الإخفاق ، فالأسئلة قد لا تكون في الغالب شاملة لكل المقرر وإنما تأخذ لبعض العناصر بطريقة عشوائية والمدرس يتهدد ويتوعد بأن الاختبار سيكون صعباً والطالب مصيره

---

(١) انظر : محمد صالح جان . المناهج بين الأصالة والتغريب . ص٢٠٧ . ط١ . الطائف : دار الطرفين ، ١٤١٥هـ .

(٢) انظر : المرجع السابق . ص٢٠٦ .

مرتبط بالامتحانات [1] .

كل ذلك أذى نفسي لا مبرر له ، والامتحانات أنواع شتى بين امتحان شهري أو فصلي أو نهاية العام وهكذا طوال حياته الدراسية فكل سنة يتكرر عليه أزمة الامتحانات وقلقها وأذاها وهكذا تتكرر عليه " إرهاب " الامتحانات طوال حياته الدراسية مما يترتب عليها تحطيم لنفسية الطالب ، وهذا من عوامل القلق والاكتئاب وشرود الذهن وتقلب المزاج واضطراب الشخصية والميل نحو تقليد الآخرين وضعف ملكة العقل والفهم ، وكل ذلك للأسف أصبح من سمات الأجيال المعاصرة التي درست وفق هذا النظام المدرسي .

" الطريقة " [2]

لقد ساهمت الامتحانات في تحديد الطريقة ما دام أن الغاية من التعليم الحصول على الشهادة ولا طريقة لذلك إلا بالامتحانات التي تعتمد على الحفظ ، إذن فالطريقة الملائمة لذلك هي الطريقة الإلقائية فيصبح المدرس كالخطيب أو الواعظ ، والطلاب وظيفتهم الاستماع فقط فلا مناقشة ، ولا تفاعل ، ولا حوار ، ولا مجال للتطبيق العملي ، المهم حفظ المقرر للاستعداد للاختبار ، فلا يمكن أن تنمو شخصية الطالب بهذه الطريقة [3] بل إنها

---

(١) ذكرت مجلة المعرفة في عددها الحادي عشر الصادر في رجب لعام ١٤١٧هـ الصفحة (١٥١) أن أحد الطلاب حاول الانتحار بإلقاء نفسه من نافذة لجنة الامتحانات في المرحلة الإعدادية لأنه أخفق في الامتحان .

(٢) للطريقة أثر كبير في تنمية مهارات الطلاب المختلفة ، وهناك طرق عديدة للتدريس منها - حسب تنظيم المحتوى - : طريقة المواد المترابطة ، وطريقة المجالات الواسعة ، وأنواع أخرى قائمة على النشاط مثل : طريقة المشروع ، والطريقة المحورية .

انظر لمزيد من التوسع عن طرق التدريس وآثارها في تنمية مهارات التفكير : نايف حامد الشريف . التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي . ص٣٢٥ وما بعدها . لكن الطريقة الشائعة بين المدرسين حالياً هي الطريقة الالقائية .

تساهم في مسخ شخصية الطالب وغرس التقليد في شخصيته لأنه أصبح في موقف المتلقي للمعلومات من أجل أن يحفظها ومن ثم يجتاز الامتحان فتجد الطلاب – في هذا النظام – يتسمون بالبرود وانعدام روح المناقشة والتفاعل ، وينتاب الكثيرين منهم الشرود الذهني ، والمدرس يرى أعينهم تنظر إليه ويظن أن قلوبهم معه ولكن الحقيقة أن أكثرهم يعيش في أحلام اليقظة وقد عود نفسه على أن يتظاهر للمدرس بالمتابعة والاهتمام بالدرس ، ولو سأله المدرس عن الدرس الذي يشرحه لرآه في واد والدرس في واد آخر ، وكثير من المعلمين لا يخفى عليهم ذلك ولكنهم يؤدون ما عليهم بظنهم ، ويمضون في شرح الدرس ومن ثم امتحان الطلاب في الوقت المحدد وهكذا تمضي الدراسة على هذا النمط الممل .

ويمكن أن يعاد تصميم النظام المدرسي على ضوء الكتاب والسنة فيراعى ثلاث قواعد رئيسية :

الأولى : ﴿ وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [1]

وهي مراعاة وسع الأنفس " الفروق الفردية " [2] فيصمم النظام بحيث أن يتعلم الطالب ويترقى في سلم التعليم حسب وسع نفسه كما كان النظام الإسلامي سابقاً .

---

(٣) انظر : نايف حامد الشريف . التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي . مرجع سابق ص ٣٢٦ .

(١) سورة المؤمنون . آية (٦٢) .

(٢) الفروق الفردية : يجمع على حقيقتها علماء النفس وقد انتقدت طائفة كبيرة منهم النظام الحالي للترقي في التعليم ، لأنه لايراعي الفروق الفردية ، ومع ذلك فلم يتغير النظام التعليمي ليحققق هذا المبدأ الهام بسبب التكاليف الباهظة المحتملة عند تحقيقه ، وهناك محاولات في بعض الدول لتجاوزه مثل : أمريكا ، ولكن مازالت الدول الإسلامية تسير وفق النظام الحالي المتبع في بلادنا .

الثانية : ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [1]

فيراعى تعلم كل فن لوحده حتى لا يتشتت ذهن الطالب فيبتدئ بتعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة وما يرتبط بها كالفقه والتوحيد وبعض محاسن الأخلاق على قدر فهم التلاميذ ، والعلوم الشرعية مترابطة بمثابة فن واحد يكمل بعضها بعضاً ، وجميع الطلاب يميلون إليها لأنها مرتبطة بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ولهذا فهي أسرع المواد الدراسية تعلماً وأيسرها لفهم الطلاب واستيعابها ، ثم بعد ذلك يضاف إليها المواد الدراسية الأخرى كالرياضيات والعلوم والتاريخ والجغرافيا ونحوها من العلوم الأساسية ، ولكن تصمم مناهج تلك المواد بحيث أن تحول كل مادة علمية على عدة مستويات وكل مستوى يمثله كتاب يوضح من خلالها المواضيع والأنشطة المصاحبة لهذه المادة ويتاح للطالب أن يختار أي مادة ويترقى في مستوياتها إذا كان يستطيع ذلك ، ولكل مستوى يمكن أن يشترط قبله مستوى معين من مواد أخرى تكون ضرورية لاستيعاب هذا الفن ، مع إتاحة الفرصة للطالب أن لا يتقيد بزملائه الآخرين في إنهاء مستوى معين في وقت محدد ، بل كل طالب حسب استطاعته ويقوم المدرس بتدريس الطلاب على هيئة مجموعات كل مجموعة لها مستوى معين يدرسه ، وإذا أنهى بعض طلاب المجموعة المستوى يقيمهم المدرس بما يراه ملائماً .

انظر لمزيد من التوسع على سبيل المثال : رمزية غريب . التعلم . ص٥٠٨ - ٥٠٩ . ط٤ . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١م .

(١) سورة الأحزاب . آية (٤) .

الثالثة : قال ﷺ : ((.. **كُلٌّ مُيسرٌ لِما خُلِقَ لهُ**)) [1]

وهذا الحديث في باب القدر ، والقدر يشمل الرزق والمرض والإيمان والكفر وكل شيء ، فكل إنسان يسره الله لما خلق له إن كان مؤمناً عمل بعمل أهل الإيمان وإن كان كافراً عمل بعمل أهل الكفر وإن كان طبيباً يُسِرَ لأن يتعلم الطب ، وإن كان مهندساً يُسِرَ لأن يتعلم الهندسة ، وإن كان فقيهاً يُسِرَ لأن يتعلم الفقه فالمدرسة عليها أن تتيح الفرصة للطلاب أن يحققوا ميولهم ورغباتهم فيما يختارونه من مواد دراسية فتيسر لهم تحقيق ميولهم وبذلك يتحقق ما خلقوا له .

وكل المهن التي تحتاج إليها الأمة قد يسر الله بين الناس من يعمل فيها بتوازن فلا يخشى من أن بعض التخصصات ستهجر لصعوبتها أو لعدم ميول الطلاب إليها ، فإن الله قد قسم الميول بين الناس بحسب ما يحتاجه الناس ، وهذا التاريخ والواقع لمن تبصر فيهما وجد كيف أن الله سخر الناس بعضهم لبعض فهناك مهن يرى الناس أنها وضيعة ومع ذلك فقد سخر الله لتلك المهن أناساً يعملون فيها ، وذلك من رحمة الله بعباده .

---

(١)جزء من حديث رواه البخاري .كتاب القدر . حديث رقم (٦٥٩٦) . ج٧ ، ص ٢٦٨. والحديث عن عمران بن الحصين قال : قال رجل : يارسول الله أيُعرفُ أهلُ الجنة من أهل النار ؟ قال : (نعم) قال : فلمَ يعملُ العاملون ؟ قال : (كلٌّ يعمل لما خلق له أو لما يسر له) وفي رواية أخرى عند البخاري . كتاب التوحيد حديث رقم (٧٥٥١) . ج٨ ، ص ٢٧٠ . عن عمران قلت : يارسول الله فيما يعمل العاملون ؟ قال : (كُلّ ميسر لما خلق له) وكذلك روى البخاري عن علي بن أبي طالب حديث رقم (٧٥٥٢) . ج ٨ ، ص ٢٧٠ . (اعملوا فكل ميسر) . وكذلك خرجه مسلم عن علي بن أبي طالب (اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له) . حديث رقم (٢٦٤٧) . ج ٤ ، ص ٢٠٣٩ . وفي رواية أيضاً : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ۞ وصدق بالحسنى ﴾ إلى قوله ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ سورة الليل . آية (٥ - ١٠) . وفي الباب عن سراقة بن مالك ، وعن جابر بن عبد الله ، وعن عمران بن حصين ، انظر صحيح مسلم . كتاب القدر . حديث (٢٦٤٨) .

إن في إعادة بناء نظام دراسي يتلاءم مع قواعد التعليم من أهم وسائل تنمية شخصية الطالب وغرس روح الاستقلال عن الآخرين مما يساهم في التحصين عن التقليد والتبعية الفكرية المذمومة .

المبحث الثاني : إصلاح ميدان العقل

حظي العقل في الاسلام بشرف كبير ، إذ بلغ ذكر مشتقات فعل (عقل) في القرآن الكريم سبعاً وأربعين مرة [1] كقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [3] .

وجعل الله من سمات المؤمنين ((التفكر)) الذي هو عمل العقل قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [4] فالتفكر يقود إلى الإيمان بالله قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [5] .

ومن هذا المنطلق كان الجانب الرئيس في التربية العقلية في الإسلام ، وهو تشريف العقل وبيان فضله ، والحث على استخدامه بالتفكر ، والاستنباط

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط٢ ، مادة عقل ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ

(٢) سورة البقرة آية (٢٤٢) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (٦٥) .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٩٠ ، ١٩١) .

(٥) سورة الروم ، آية (٨) .

والاستدلال والاعتبار ، وثمرة كل ذلك معرفة الحق والإيمان بالله عز وجل ، وإلا كان ذلك الجهد هباءً منثوراً قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ اذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) .

فالانتفاع بالسمع والبصر والفؤاد واجب على الإنسان وإلا كان مصيره إلى جهنم كما قال تعالى عن الكفار : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) ، والجانب الآخر في التربية العقلية في الإسلام : هو إزالة المعوقات عن التفكير العلمي ، ومن تلك المعوقات :

١- الظن :

والظن شك ، وليس بيقين عيان (٣) ، قال رسول الله ﷺ : (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**) (٤) فيقابل الظن اليقين ، ومنه الشك كما في قوله تعالى : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (٥) ، ومنه قوله تعالى ﴿ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الحج ، آية (٤٦) .

(٢) سورة الملك ، آية (١٠) .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ص ٢٧٦٢ .

(٤) مسلم . كتاب البر والصلة . حديث رقم (٢٥٦٣) . ج٤ ، ص١٩٨٥ .

(٥) سورة الجاثية ، آية (٣٢) .

(٦) سورة البقرة ، آية (٧٨) .

(٧) سورة الجاثية ، آية (٢٤) .

والظن هو الحكم على شيء قبل إدراكه إدراكاً تاماً والتثبت بالبراهين والحجة ، فإذا أدركه وتثبت منه أصبح حينئذ ((علماً)) فيتحول من الشك إلى اليقين ، وبهذا التميز وضع الإسلام أهم قاعدة من قواعد البحث العلمي وهو التفريق بين الظن واليقين أو بين الظن والعلم ، فالعلم يتميز بالبرهان والدليل القاطع .

٢- الهوى :

وهو من معوقات التفكير والبحث العلمي فإذا دخل الهوى في مسار التفكير أو البحث فستؤول نتائجه إلى الفساد والخطأ ، قال تعالى :﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (٢) ، فصاحب الهوى لا ينظر إلى الحجج والأدلة و((البينات)) بل يسوقه هواه إلى حيث يرغب ، ويظن أن ذلك هو العلم قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٤) ولهذا فالتجرد من الهوى من أهم شروط البحث العلمي ، وليس المقصود به التجرد من العقيدة ، فإن الدين والعقيدة هما الضابط لقلب الإنسان وإلا وقع في الهوى ، والمتجرد من دينه وعقيدته متبع لهواه ، لأنه

---

(١) سورة ص ، آية (٢٦) .

(٢) سورة القصص ، آية (٥٠) .

(٣) سورة محمد ، آية (١٤) .

(٤) سورة الأنعام آية (١١٩) .

ليس بعد الحق إلا الضلال ، فإذا تجرد من الهوى فإنه عندئذ يرجح بين الأدلة بمدى قوتها وثباتها ومرجعها من الشرع ، ومن ثم يكون أقرب للصواب حينئذ .

٣- التقليد :

ومن أكبر عوائق البحث والتفكير العلمي التقليد ، فالتقليد يعني القبول بالآراء والأقوال دون معرفة برهانها ، وفي هذا تعطيل لوظيفة العقل ، ومن ثم يضعف العقل شيئاً فشيئاً ، كلما قل استخدامه ، لأن العقل كالعضلة تقوى بالاستخدام والتمرين ، وتضعف بالإهمال ، والتقليد من أكبر الحواجز أمام تفكير الإنسان ، إذ أنه إذا شاهد أمراً سائداً بين الناس فإنه قد يظن أن شيوعه بين الناس دليل على صدقه وصحته ، فيميل حينئذ لتقليد الناس ، وقد واجه الإسلام التقليد ، ونهى عنه ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) ، فإذا امتنع التقليد فليس أمام الإنسان إلا استخدام عقله والتفكير حينئذ ، فإن ذلك مدعاة لمعرفة الحق معرفة يقينية اكتسبها بنفسه ، وليست مثل المعرفة التي قلد فيها الآخرين فإنها سرعان ما تزول بل إن الظن والشك ملابس لها فهي ليست معرفة يقينية ينتفع بها الإنسان .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٢) سورة لقمان ، آية ٢١ .

٤- تحريم المسكرات :

وكل ما يسكر عقل الإنسان ويذهب به فهو حرام ، قال تعالى : ﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، وقال ﷺ : ((**كل شراب أسكر فهو حرام**)) (٢) ، فالمسكرات والمخدرات التي تذهب بعقل الإنسان من معوقات التفكير العلمي ولهذا فإن تحريمها محافظة على العقل ، فالمحافظة على العقل من مقاصد الشريعة الإسلامية ((الخمسة)) الرئيسة .

٥- الإكراه :

ومن عوائق التفكير العلمي إكراه الناس على اعتناق فكرة معينة ، فالغاية من الإسلام هي " تحرير " الناس من عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الله الواحد القهار ، وحتى هذا التحرير ليس بالإكراه ، قال تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) ، فمن أبرز مبادئ الإسلام (حرية الاعتقاد) فلا يجبر أحداً على ترك دينه ، وكان الفتح الإسلامي غايته إزالة إرهاب الملوك لرعاياهم ، وتحرير الرعايا فمن رغب دخول الإسلام فلا يمنع منه ، ومن بقي على دينه فلا يكره على تركه ، وإنما عليه الجزية ، وبقي بعض النصارى على دينهم في العراق والشام ومصر وغيرها ، وبقيت

---

(١) سورة المائدة ، آية (٩٠) .

(٢)البخاري . كتاب الوضوء . حديث رقم (٢٤٢) . ج١ ، ص٧٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٥٦) .

كنائسهم وتقبل المسلمون وجودهم بينهم ومنحوهم حقوق الرعية .

ومن قواعد الدعوة في الإسلام (المجادلة بالتي هي أحسن) قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [1] ومن هذا المنطلق بنيت قاعدة فقهية ((لا إنكار في مسائل الخلاف)) والمقصود بهذه القاعدة أنه لا ينكر فيها باليد ولا باللسان على وجه التعنيف ، إنما تكون المناصحة عن طريق التكلم بالحجج العلمية والمناقشة فيها من أجل الوصول إلى الحق [2] .

وقد تميز البحث العلمي في القرون الفاضلة بالحرية الفكرية حيث كان المجتهد إذا بذل جهده في معرفة الحق لا يلام ، ولم يكن المجتهدون يعنف بعضهم بعضاً ((لقدكان في الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، ومن بعدهم من يقرأ البسملة (في الصلاة) ومنهم من لا يقرأها ، ومنهم من يجهر بها ، ومنهم من يسر ، وكان منهم من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت فيها ، ومنهم من يتوضأ من الرعاف والقيء والحجامة ، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يرى في مس المرأة نقضاً للوضوء ، ومنهم من لا يرى ذلك ، ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل ، ومنهم من لا يرى في ذلك بأساً .

ولم يمنع ذلك من أن يصلي بعضهم خلف بعض ، كما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأئمة آخرون يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم ، ولو لم يلتزموا بقراءة البسملة لا سراً ولا جهراً ، وصلى " الرشيد " إماماً وقد احتجم فصلى خلفه الإمام أبو يوسف ولم يعد الصلاة ، مع أن

---

(١) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٢) محمد عمر بازمول ، الأختلاف وما إليه ، ص ٦١ ، ط١ ، الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ .

الحجامة عنده تنقض الوضوء ، وكان الإمام أحمد يرى الوضوء من الرعاف والحجامة ، فقيل له : فإن كان الإمام قد خرج منه الدم و لم يتوضأ هل يُصلى خلفه ؟ فقال : كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب [1] ، ولهذا تميزت كتب الفقه بكثرة الآراء ، لما تمتع به الفقهاء من حرية في الرأي ، ساهمت في (تفعيل الحركة الإجتهادية) وخاصة في القرون الثلاثة الفاضلة .

وهكذا تميزت التربية الفعلية في الإسلام بتربيتها العقل على التفكير العلمي وإزالة العوائق من طريقه ، ولهذا تشكلت العقلية العلمية عند المسلمين التي أثمر عنها التقدم المعرفي الهائل الذي حققه المسلمون ومن ثم استفادت منه أوروبا في نهضتها المعاصرة .

وظيفة المدرسة نحو إصلاح ميدان العقل

من أهم وظائف المدرسة : بناء العقلية العلمية في النشء وتعويدهم على التفكير السليم ، وعلى البحث العلمي ، أما إذا قدمت المعرفة جاهزة ، ومبتورة عن منهجيتها العلمية ، فإن المعرفة تصبح حينئذ عائقاً عن التفكير العلمي ، وعن البحث العلمي .

ويتحول نشاط التلميذ إلى الحفظ ، واعتبار أن كل معرفة مكتوبة معرفة صحيحة ، مما يهيئه للوقوع في فخ التبعية الفكرية .

والمتبصر في خريجي المدارس في العالم الإسلامي يجد أن عقلياتهم وأساليب تفكيرهم أقرب إلى العوام " الأميين " من أهل العلم ، بل إذا حدثت بعضهم وناقشته وجادلته لم يتبين لك إن كان قد حصل على الثانوية العامة أو الجامعة أم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، بل ربما لا تهتدي لذلك إلا إذا نظرت

---

(١) طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٤ ص ١١٦ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ١٤١٢هـ .

إلى هندامه ، ورأيته يحمل أقلاماً .

ويعود الخلل الرئيس في منهاج التعليم إلى تركيزه على " المعلومات " أكثر من تركيزه على " مناهج البحث " ، لهذا فإن وظيفة المدرسة في هذا الميدان لابد أن تغرس (قواعد التفكير العلمي) في طلابها وتدربهم على البحث العلمي حتى تتكون عندهم العقلية العلمية ، وقد اقترح الباحث بعض الأنشطة التي يمكن أن تساهم في هذا الميدان ، وهي كالتالي :

١- ربط كافة المعلومات من قوانين أو نظريات بأدلتها وبراهينها قدر الإمكان ، فلا يقدم حكم شرعي إلا بدليله ، ولا قاعدة لغوية إلا ببرهانها ولا نظرية علمية إلا ببراهينها ، وهكذا يتعود الطالب على أن كل رأي لا بد أن " يربط ببرهانه " ودليله .

٢- تعويد الطلاب على نقد الآرآء والأفكار فيقوم المدرس بتشجيع الطلاب على النقد ، وخاصة الأفكار والممارسات الشائعة في بيئته ببيان مدى صوابها من خطئها ، إيجابياتها من سلبياتها ، ويشجع المدرس الطلاب ويتيح الفرصة لهم وإذا لاحظ أن بعض الطلاب يسخر من آراء أحدهم فعليه نهرهم ومنعهم من ذلك ، حتى يتعود كل واحد أن يبدي رأيه بشجاعة وصراحة .

٣- إحداث مواد تعليمية خاصة (لمناهج وقواعد التفكير العلمي) ، فيمكن في المرحلة الإبتدائية تخصيص مادة لتدريب الطلاب الصغار على البحث العلمي ، وتعويدهم على استعمال السمع والبصر والفؤاد ، وإحداث أنشطة عملية لتدريبهم على الاستكشاف والاستنباط ، والتحليل والتفكير ، ونحو ذلك من أعمال العقل .

والمرحلة الإعدادية والثانوية ، توسع تلك المادة بما يتلائم مع نموهم العقلي والمعرفي ، وتربط بالتدريب العلمي فمثلاً دروس الإحياء والكيمياء والفيزياء ونحوها تربط بالمعمل . وكذلك التاريخ والجغرافيا تربط بالواقع ، وبالمكتبة

ويمكن زيارة الأماكن التاريخية والمتاحف ، ومواقع الحفريات ونحو ذلك ، ومواد العلوم الشرعية : يدرس قواعد الحديث وأصول الفقه ، وقواعد التفسير بما يلائم مستواه المعرفي ، بحيث أن يتعلم " مبادئ مناهج البحث " في العلوم الشرعية مبكراً ، وتدريب الطلاب على الرجوع إلى أهل الإختصاص في كل فن ، وأيضاً تدريب الطالب على كيفية اتخاذ القرار في كافة ميادين الحياة كأن يدرب على كيفية مواجهة المشاكل المتوقعة في بيئته ، وكيفية اتخاذ القرارت في مختلف شؤون حياته بهدف تأسيس العقلية العلمية في مواجهة متطلبات الحياة

٤- طريقة التدريس لا بد أن تسهم في غرس العقلية الصحيحة عند الطالب بالمشاركة والتفاعل العقلي والنفسي مع المعلومات ، والطريقة الإلقائية المتبعة عند كثير من المدرسين من معوقات التفكير العلمي ، إذ أن الطالب يتحول خلالها إلى متلق وليس متفاعلاً مع المادة بعقله ووجدانه ؛ مما يورث فيه النزعة نحو التقليد ، ولهذا فإن الأسلوب الأمثل في ذلك تحويل التدريس إلى طريقة " المشاركة الفعالة " بين الطالب والمعلم عن طريق إثارة الأسئلة ، وجعل الطالب يسعى لحلها ، ومن ثم يتعلم عن هذا الطريق ، والغرب لهم رأي أخذوه من المسلمين وطوروه في طرق التدريس ، وهي طريقة النشاط التي طورها " جون ديوي " وصاغها على خمسة مراحل وهي على النحو التالي :

١- **الشعور بالمشكلة .**

٢- **صياغة المشكلة .**

٣- **الاستعانة بالخيال** في وضع الفروض التي قد تصلح إجابة على سؤال المشكلة .

٤- **الاستدلال** بأن تستنبط من أي فرض تشاء ما قد يترتب عليه من فروق فعلية في مجرى الخبرة فتستعين بالاستنباط على تحديد ظروف التجربة .

٥- **التجربة أو الاختبار** " اختبار الفروض " [١] .

وفكرة الشعور بالمشكلة وفرض الفروض واختبارها والتي أخذها " جون ديوي " من " جون ستيوارت مل " والذي يسمونه في الغرب " أبا المنهج التجريبي " لاكتشافه قواعد تحقيق العلة في المنهج التجريبي قد أخذها " مل " من المسلمين أيضاً [٢] وقد هذبها الفقهاء المسلمون في " أصول الفقه " وخاصة في مسالك تحقيق العلة حيث قسموا المسالك إلى طرق منها : " السبر والتقسيم " وهي طريقة في البحث عن علة الحكم يحتاج فيها الباحث إلى فرض الفروض واختبارها .

((فالسبر والتقسيم : هو حصر الأوصاف التي يُظن صلاحيتها للعلية وترديد العلة بين هذه الأوصاف فيقال : إما أن تكون العلة هذا الوصف أو هذا الوصف .. وهكذا يظل يردد العلة بين هذه الأوصاف التي يُظن صلاحيتها للعلة مستبعداً ما لا تنطبق عليه شروط العلة حتى يعثر على الوصف الذي يصلح لأن يكون " علة " فيكون هذا الوصف هو العلة)) [٣] فيقوم الفقيه باختيار الأوصاف التي تحتمل أن تكون علة ، فيبقي الصالح ويستبعد غير الصالح حتى يتبقى معه ما يمكن أن يكون علة الحكم ، وبهذا يهتدي الفقيه إلى معرفة العلة ، وهذه من قواعد المنهج العلمي التي سلكها الفقهاء في بحث العلة ، ((وذهب فاروق الدسوقي إلى أن " جون ستيوارت

---

(١) نايف حامد الشريف . التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي . مرجع سابق . ص ١٣٦ . بتصرف .

(٢) انظر فاروق الدسوقي . الإسلام والعلم التجريبي . ص ١٧١ ، ط١ - بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ .

(٣) محمد زكريا البرديسي . أصول الفقه . ص ٢١٢ .

مل " قد أخذ قواعد المنهج العلمي من تراث المسلمين الفقهي وذكر شواهد على ذلك في كتابه " الإسلام والعلم التجريبي ")) [1] .

٥- تربية الطلاب على آداب الخلاف [2]

ويستحسن أن تذكر آداب الخلاف وتفصل ضمن مادة " المنهج العلمي " ويمكن للمدرس أن يوضح تلك الآداب كلما جاءت فرصة مناسبة لها وإذا لاحظ المعلم أن بعض الطلاب يغضب إذا خالفه أحد زملائه فيمكن حينئذ معالجة مثل هذا الطالب بنصحه وإرشاده إلى أنه لا يضير الإنسان إذا خالفه الآخرون في الرأي ، ويستشهد ببعض السلف الصالح ومحبتهم بعضهم لبعض مع مخالفة بعضهم لبعض في الرأي ، والمعلم قدوة في ذلك ، فإذا ما اتسع صدره لآراء تلاميذه المخالفين له في رأيه ، واعتبر أن ذلك حق من حقوقهم بشرط أن يكون الرأي قد تم بناؤه وفق ضوابط التفكير العلمي .

٦- تدريب الطلاب على الشورى

وتعتبر الشورى من أهم أساليب التربية العقلية إذ يتيح أسلوب الشورى مداولة الرأي بين الأفراد ، والتفكير الجماعي ، مما يساهم في صقل العقول وإعمال العقل في جوانب التفكير المختلفة كالاستقراء والتحليل والتخيل والاستدلال ، ونحو ذلك من العمليات العقلية ، فيقوم المدرس بتدريب الطلاب على الشورى ، وآدابها ، ويختار مسائل متنوعة ، ويتيح للطلاب مناقشتها في مختلف فنون الحياة ؛ بهدف تعويد الطلاب أن لكل فن منهجاً علمياً خاصاً بالبحث فيه ، فمثلاً مسائل الشريعة لها طرق البحث الخاصة بها

---

(١) فاروق الدسوقي . الإسلام والعلم التجريبي . ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) عن آداب الخلاف ينظر :

طه جابر فياض العلواني . أدب الإختلاف في الإسلام . ط٤ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ١٤١٢هـ .

وأسلوب المناقشة والمجادلة الخاص بها ، وتعويدهم على الرجوع إلى أهل الاختصاص لمشاورتهم ، كذلك في المسائل الاجتماعية ، ومسائل العلوم الطبيعية ، وهكذا يثير المدرس الموضوع ثم يتيح لكافة الطلاب المشاركة في إبداء الرأي والتشاور حوله .

٧- تدريب الطلاب على " المناظرة "

والمناظرة من أهم أساليب التربية العقلية التي استخدمها المسلمون ، ففيها مجال واسع لنقد آراء الخصوم وفحص الأدلة والبراهين ، واستخدام الحجج في دحض آراء الخصوم ، ويمكن للمدرسة الابتدائية أن تتيح للطلاب فرصة التدريب على المناظرة وغرس آدابها في نفوسهم [١] ، فيختار المدرس مسائل بسيطة تلائم مستواهم العقلي والعلمي ، ويختار طالبين للمناظرة ، أو يقسم الصف إلى قسمين ، بحيث يتيح لكل طرف تقديم الأدلة على صدق رأيه ، ثم يقوم الطرف الثاني بنقد الأدلة ، وهكذا ترسخ قواعد المناظرة وآدابها في نفوسهم .

ثم تتوسع المسائل في المرحلة الإعدادية والثانوية بما يلائم مستواهم العقلي والعلمي .

وأما المرحلة الجامعية فيمكن إلزام الطلاب بحضور مناقشات الرسائل العلمية للاستماع للمناقشين بالإضافة إلى دراسة مناهج البحث في تخصصاتهم .

---

(١) عن آداب المناظرة ينظر : أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين . ج١ ، ص .

المبحث الثالث : تعلم العلم الشرعي

منذ أن أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض وعرَّضه وذريته لأنواع المحن والبلاء وجعل الأرض داراً للابتلاء والامتحان قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١) .

ثم إن الله عز وجل كرم آدم وذريته على الأرض بالهدى عقب إخراجه من الجنة : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) وفي الآية الأخرى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (٣) فجبر الله آدم وذريته بالهدى وجعل ارتفاع الخوف والحزن والضلال والشقاء مع متابعة الهدى (٤) ، والآية نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبعي الهدى مطلقاً فاقتضت الآية أنه لا يضل في

---

(١) سورة البقرة . آية (٣٦) .

(٢) سورة البقرة . آية (٣٨) .

(٣) سورة طه . آية (١٢٣ - ١٢٦) .

(٤) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . ج ١ ، ص ٤٥.

الدنيا ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها [1] وفي الآية إشارة إلى أن الهدى فيه برد اليقين وطمأنينة القلب الذي يذوق حلاوة الإيمان فيفرح القلب به ويسر وهذا النعيم واللذة من أطيب الطيبات وأعظم اللذات في الحياة الدنيا [2] قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] فأعظم نعمة أنعمها الله على عباده ذلك هي " الهدى " الذي يحمله الرسل إلى البشر ليسعدوا في الحياة الدنيا وليخرجوا به من الظلمات إلى النور قال تعالى ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [4] ففي هذه الآية بيان أن الإنسان – أصل الإنسان – ميت إلا من جعل الله له نوراً فهو حي ، فأصبح هناك قسمان :

القسم الأول : النور والحياة والسعادة في الدارين وسببه العلم .

القسم الثاني : الظلمة والموت والشقاء في الدارين وسببه الجهل .

وأصبح لا طريق إلى الجنة إلا بالعلم ، كما لا سعادة في الدنيا إلا بالعلم ، قال ابن القيم رحمه الله : ((لما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى إخراج آدم وذريته من الجنة ، أعاضهم أفضل منها وهو ما أعطاهم من عهده الذي جعله سبباً موصلاً لهم إليه ، وطريقاً واضحاً بَيِّنَ الدلالة عليه ، من تمسك به فاز

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . المرجع السابق . ج١ ، ص ٤٧ .
(٢) المرجع السابق . ج ١ ، ص ٤٧ بتصرف .
(٣) سورة النحل . آية ٩٧ .
(٤) سورة الأنعام . آية (١٢٢) .

واهتدى ، ومن أعرض عنه شقي وغوى ، وهذا العهد الكريم والصراط المستقيم والنبأ العظيم ، لا يوصل إليه أبداً إلا من باب العلم والإرادة ، فالإرادة باب الوصول إليه ، والعلم مفتاح ذلك الباب المتوقف فتحه عليه ، وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين : همة ترقيه وعلم يبصره ، ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها ، وشرف العلم تابع لشرف معلومه كانت نهاية سعادة العبد لا تتم إلا بالعلم الموروث عن عبد الله ورسوله وخليله وحبيبه ﷺ الذي بعثه الله لذلك داعياً ، وأقامه على الطريق هادياً ، وجعله واسطةً بينه وبين الأنام ، وأبى سبحانه أن يفتح لأحد منهم إلا على يديه ، فالطرق كلها ، إلا طريقه ﷺ مسدودة ، والقلوب بأسرها ، إلا قلوب أتباعه المنقادة إليه عن الله محبوسة مصدودة)) [1] وقد شرف الله عز وجل العلم فقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [2] فقرن الله شهادته مع شهادة الملائكة وشهادة أولي العلم وهذا تشريف عظيم للعلماء وقال تعالى في تفضيل العلم وأهله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ [4] وقال تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [6]

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . ج ١ ، ص ٥٩ باختصار .
(٢) سورة آل عمران . آية (١٨) .
(٣) سورة الزمر . آية (٩) .
(٤) سورة الرعد . آية (١٩) .
(٥) سورة المجادلة . آية (١١) .
(٦) سورة فاطر . آية (٢٨) .

وتشريف الله للعلم لأن لا طريق إلى معرفة الله ، ولا طريق إلى الجنة ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالعلم ، ولا مصيبة على الإنسان وعلى المجتمع أعظم من الجهل ، بالجهل أشرك الناس ، و بالجهل ظلم بعضها بعضاً وبالجهل يصبح الإنسان أضل من الحيوان .

وإن كان عالماً في ظاهر الحياة الدنيا ، كعالم في الأحياء أو الفيزياء أو الرياضيات أو الهندسة أو الطب ، فإن هذا العلم – وإن كان نافعاً للإنسان في حياته الدنيا – إلا أنه ليس هو العلم الذي أشار إليه سبحانه وتعالى بالتشريف وليس هو العلم الذي بعث به الرسل إلى الناس ، وإنما العلم الذي شرفه الله وجعله طريقاً إلى الجنة هو العلم الشرعي ، العلم بالقرآن والسنة وهذا العلم هو العلاج الحاسم للتبعية الفكرية المذمومة ، فإن الإنسان تابع لا محالة إما أنه تابع للحق على الصراط المستقيم ، وإما أنه تابع للباطل ، فمن لم يتبع الحق فقد اتبع الباطل ولهذا فإن الطريق إلى معالجة التبعية الفكرية بنشر العلم الشرعي بين الناس ، وتصحيح المفاهيم ، والتحذير من البدع ، وتعريف الناس بالسنة ونشرها والدعوة إليها . والجهل [1] هو سبب تفشي الآفات التي تنخر في الأمة حتى أوردتها مكانتها المعاصرة بين الأمم كأمة متخلفة تسير في مؤخرة الركب عالة على الأمم الأخرى في كل شؤون حياتها .

ومن أبرز الآفات الناتجة من الجهل ما يلي :

العجز ، والخوف ، والشح ، والهلع ، والكذب ، وضعف الهمة ، والتردد وانعدام الأمانة ، والكبر ، والحسد ، والغش ، وكثرة الثناء على النفس ، وكثرة الكلام ، وقلة العمل ، وكراهية التنظيم ، والميل إلى الفوضى ،

(١) عن الجهل وآثاره ينظر على سبيل المثال : محمد سعيد رسلان . ذم الجهل وبيان أثره . ط١ . بريدة : دار البخاري ، (د.ت.) .

والمجازفات ، وعدم حساب العواقب ، والفرقة والخلاف ، والغيبة والنميمة ، وعدم إتقان العمل والطيش والحمق ، وعدم الرجوع إلى أهل الاختصاص ، والتصديق السريع لكل إشاعة ، وضياع الوقت في الملاهي ، وتبذير المال ، وإهمال العمل ، وعدم القيام بالحقوق والواجبات الشرعية والمداهنة ، والمراءاة وتأخير مصالح الناس ، والعمل الفردي وكراهية العمل الجماعي ، والقسوة والجفاء ، والتقليد الأعمى ، وعدم ترتيب الأولويات ، وعدم التفريق بين الأساسيات والكماليات ، وغياب الشورى ، ونحو ذلك من الخصال الذميمة التي شاعت بين المسلمين وأورثتهم الضعف والهوان وساهمت في ترسيخ التبعية الفكرية [1] .

إن العامل الرئيسي في نهضة الغرب المعاصرة ، وتربعه على قيادة العالم ما كان من اهتمامه بالعلوم الطبيعية والتطبيقية والمكتشفات الحديثة والمصانع ونحو ذلك فقط ، وإنما هناك " خصال حسنة " ساهمت في تكوين الأرضية لتلك النهضة منها : الصدق ، والوفاء ، والتعاون ، والإخلاص في العمل ، والشورى ، والحرية ، والكرامة التي يتمتع بها الناس ، والرجوع إلى أهل الإختصاص ، والتصديق لنصائحهم ، والعمل بها ، والجرأة في قول الرأي ، والشجاعة ، والصبر، وقلة الظلم ، ونحو ذلك من الخصال التي اعتنوا فيها وتمسكوا بها فكونت الأرضية الآمنة المطمئنة التي تتيح للإنسان أن يفكر ويبدع ما دام أن حقوقه محفوظة ، وأن الرأي متاح للجميع ، وليس هناك هموم وضغوط ومخاوف تكدر عليه حياته ويخشاها ، فقد استقرت أحوالهم

---

(١) انظر : شكيب أرسلان . لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟ مرجع سابق . فقال رحمه الله : ((من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل ... والعلم الناقص ، وفساد الأخلاق ، والجبن ، والهلع)) ص٤١ وما بعدها . وانظر : يوسف القرضاوي . أين الخلل ؟ . ص٩ وما بعدها . ط٥ . القاهرة : دار الصحوة ، ١٤١٣هـ .

- قياساً على أحوال المسلمين - [1] كل ذلك أورث البيئة التي تطورت فيها العلوم الطبيعية وتقدمت فيها الصناعات المختلفة مع تماسكهم وتنظيمهم تكونت قوتهم الهائله في عصرنا الحاضر . والمسلمون في كتابهم من الخصال الحسنة التي هي في أصلها واجبات على المسلم ، ومع ذلك أهملوها وتركوها واستبدلوا الخصال المذمومة بالخصال الحسنة التي أورثتهم الذل والهوان والفرقة [2] ، والفقر وغير ذلك من آثارها على الحياة ، ومواجهة كل ذلك هو العودة إلى إصلاح الناس وإصلاح عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم وحياتهم كلها . وهذا يكون بالدعوة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله تحكيماً شاملاً لكل ما فيه ، وهذا يتطلب أن تبنى مناهج الدراسة في العالم الإسلامي لنشر العلم الشرعي ومكافحة الجهل .

---

(١) انظر : عمر عبيد حسنة . حتى يتحقق الشهود الحضاري . مرجع سابق . ص٩٢ . وذكر أن عدد العقول المهاجرة من البلدان العربية إلى الغرب يزيد عن (١٥٠٠٠٠) من الخبراء فب مختلف التخصصات ، منهم (٢٤٠٠٠) من الحاصلين على الدكتوراه ، و(١٧٠٠٠) مهندس ، و(٧٥٠٠) طبيب ، و(٢٠٠) عالم نووي . وقال إن من أحد الأسباب الهامة في مشكلة هجرة العقول هو : انتهاك حقوق الإنسان وكرامته في بعض البلاد العربية . ص٩٤ .

(٢) انظر : شكيب أرسلان . لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟ مرجع سابق .

المبحث الرابع : تصحيح المفاهيم

تمهيد :

هناك مفاهيم خاطئة شائعة بين الناس تمهد للتبعية الفكرية ، من تلك المفاهيم الخاطئة : اعتقاد بعض الناس أن الأوروبيين أتم عقلاً من المسلمين ، والربط بين صلاح مناهج الأمم في الحياة وبين ما حققته من مظاهر مادية وعمرانية ، وعدم فهم عقيدة الولاء والبراء ، وعدم الاعتزاز بالدين والهوية الإسلامية ... إلخ ، وتلك المفاهيم الخاطئة من أبرز العوامل المساهمة في تهيئة الطريق لتقبل التبعية الفكرية للأمم الأخرى ، وفي القرآن والسنة علاج حاسم لتلك المفاهيم ، وهذا العلاج يرتكز على مبادئ كثيرة مبثوثة في القرآن والسنة يذكر الباحث (أربعة) مبادئ منها لمواجهة تلك الشبهات والمفاهيم الخاطئة وهي :

١- الاعتزاز بالدين .

٢- المسلم أتم عقلاً من الكافر .

٣- الولاء والبراء .

٤- معيار صلاح مناهج الأمم .

١- الاعتزاز بالدين :

العزة في اللغة : القوة والشدة ، والغلبة والعزة : الرفعة والامتناع والعزُ خلاف الذل [١] . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

قال الإمام الشوكاني عن هذه الآية : ((أي أن القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا غير)) [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٤] .

قال القرطبي رحمه الله : ((وفي هذه الآية بيان فضل هذه الأمة لأنه خاطبهم بما يخاطب به أنبياءه ، لأنه قال لموسى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ﴾ وقال لهذه الأمة ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾)) [٥] ، وفي مقابل ذلك أخبرنا الله عز وجل أن من حاد الله ورسوله فهو في الأذلين قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٦] وهكذا يقرر الله عز وجل العزة للمسلمين كما أن الذل للكافرين فعلى المسلم الاعتزاز بدينه ، لأن الله ربط بين دينه وبين العزة ، فإذا ما

---

(١) ابن منظور . لسان العرب . ج ٤ ، ص ٢٩٢٥ - ٢٩٢٦ .

(٢) سورة المنافقون ، آية (٨)

(٣) الشوكاني . فتح القدير . ج ١ ، ص ٢٠٨ .

(٤) سورة آل عمران . آية (١٣٩) .

(٥) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٦) سورة المجادلة . آية (٢٠ - ٢١) .

قرعت تلك الآيات قلوب أولئك المبهورين بالفكر الغربي وأدركوا معناها وأن تلك من سنن الله في الأرض ؛ فإنهم وإن رأوا ما تفوق به الغربيون من علوم دنيوية ، إلا أن الذل قد كتب عليهم ، وأن العزة للمؤمنين ، فلا يخشى عليهم حينئذ من غائلة الانبهار والإعجاب التي هي من عوامل الوقوع في فلك التبعية الفكرية .

وقد بين الله عز وجل أن " علوم الكفار " مقصورة على ظاهر الحياة الدنيا أما الآخرة فلا ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (١) .

فهذا العلم الدنيوي مضطربٌ ناقصٌ غير شامل ، إذ أنه لا ينظر إلى الحياة إلا من زاوية واحدة ؛ هي الظاهر من الحياة الدنيا ، أما الزاوية الأخرى وهي علوم الآخرة فلا يعلمون منها شيئاً ، والعلوم التربوية التي تنطلق من هذا المنطلق الناقص المضطرب ؛ ستكون ناقصة فاسدة في تصوراتها وأهدافها ، فلا يغتر بها المسلم ، ولا ينبهر بها ، بل إنه يعتز بدينه وكتابه ورسوله ، لأن المذاهب الأخرى باطلة كسراب بقيعة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) فإذا ما أدرك المسلم ذلك ؛ فإنه يمكنه أن يقتبس من عندهم ما يراه نافعاً ، ولا ينبهر بهم ، وينظر إليهم في نفس الوقت نظرة ازدراء واحتقار لأن الله كتب عليهم الذلة .

---

(١) سورة الروم . آية (٧) .

(٢) سورة النور . آية (٣٩) .

٢ – المسلم أتم عقلاً من الكافر :

لقد أشارت بعض آيات القران الحكيم إلى إحدى الحقائق الإنسانية العظمى وهي أن الكفر قرين لنقصان العقل ، كما أن الإيمان دلالة على كمال العقل ، وأن المؤمن أتم عقلاً من الكافر . قال تعالى : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ (٣) قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٤) بل إن سبحانه وتعالى يصف الكفار بأنهم شر الدواب قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) ، وعندما تقرع هذه الآيات البينات سمع المسلم ، ويتدبر في معناها ؛ عندئذ ينغرس في عقله حقيقة أن الكفار مهما بلغوا من علوم ظاهر الحياة الدنيا ، ما بلغوه إلا أنهم لا يعقلون وهم كالأنعام ، وكشر الدواب ، وهم سفهاء وغارقون في الظلمات ، فلا يصلح أن يقتدى بهم في شؤون حياتهم ، ولكن بعض الناس قد يربط بين التقدم المادي ؛ وبين عقول الكفار وأفهامهم ، فيورث ذلك في نفسه الإعجاب بسلوك الكفار وآدابهم ونحو ذلك ، وقد بين سبحانه أن الكفار قد يتقلبون في البلاد ، وقد تكون لهم مظاهر مادية لكن ذلك لا يعني أنهم على

---

(١) سورة الأنبياء . آية (٦٧) .

(٢) سورة الفرقان . آية (٤٤) .

(٣) سورة الرعد . آية (١٩) .

(٤) سورة البقرة . آية (١٨) .

(٥) سورة الأنفال . آية (٥٥) .

حق ، بل إن ذلك متاع قليل في مقياس متاع الآخرة ، قال تعالى : ﴿ لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

وحتى في شؤون الدنيا فإن المسلم عقله أتم من عقل الكافر ، لأن الإسلام يربي العقل على التفكير السليم ، ومن هنا كان للمسلمين تفوق ملحوظ على غيرهم عندما كانوا متمسكين بدينهم ، لقد أشار إلى تلك الحقيقة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : ((فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأسد عقلاً ، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال ، وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه)) (٣) ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (٤) ، والمتبصر في تاريخ العلوم يجد ما قاله شيخ الإسلام حقاً ، فإن تاريخ حركة العلوم الطبيعية والاجتماعية قفز في عصور المسلمين الزاهرة قفزة عظيمة في فترة وجيزة ، ومازال المنصفون من الغرب يذكرون فضل المسلمين في ذلك .

فإذا ما وثق المسلم في عقله ، وأن عقله أتم من عقل الكافر حينئذ نكون أغلقنا باباً عظيماً من أبواب التبعية ، ونكون أيضاً قد أسسنا الثقة في عقل المسلم .

---

(١)سورة آل عمران . آية (١٩٦) .

(٢) سورة التوبة . آية (٥٥) .

(٣) الفتاوى . ج ٤ ، ص ١٠ .

(٤) سورة محمد . آية (١٧) .

٣ – معيار صلاح مناهج الأمم :

لقد بين الله عز وجل أن المعيار الذي نحكم به على مناهج الأمم ، هل هي صالحة أم غير ذلك ، إنما هو بإتباع الرسل ، فالصلاح مقصور على الأنبياء وأتباعهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١) .

فالذين اتبعوا الصراط المستقيم هم الصالحون ، أما من اتبع غير ذلك فهو من الفاسدين .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) .

ولكن الشيطان قد يلبس على الإنسان بأن معيار صلاح مناهج الأمم ؛ إما يكون بكثرة عمارتهم للأرض أو بكثرة الأتباع ، وهاتان الحجتان خاطئتان ، فليس عمارة الأرض دليلاً على صلاح المنهج في الحياة ، وليس بكثرة الناس يقاس الحق ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأنعام . آية (١٥٣) .

(٢) سورة العنكبوت . آية (٩) .

(٣) سورة البقرة . آية (١١ ، ١٢) .

(٤) سورة الروم . آية (٩) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[2]

إن منهاج الغرب قاصر وخاطئ وفاسد ، فقاصر لأنه لا ينظر للحياة إلا بزاوية واحدة وهي : جانب الحياة الدنيا الضيقة ، ولم تتجاوز نظرتهم وأشواقهم إلى الحياة الآخرة ، فسجنوا أنفسهم في مساحة ضيقة و أصبحت غايتهم الحياة الدنيا ، من متع وملذات وشهوات خالصة للجسد فترتب على ذلك اصابتهم بالاحباط والشعور بالملل والاكتئاب والضيق ، فتراهم يكثرون من المهرجانات ، والأعياد ، والاحتفالات ، والسياحة لابعاد شبح الملل القاتل عنهم ، الذي أصبح يكدر حياتهم ، كما تنقل لنا وسائل الإعلام من ارتفاع نسبة الانتحار ، وشيوع الأمراض النفسية ، كل ذلك بسبب فقدان التوازن في منهجهم .

ورأس الانحراف عندهم كان في العقيدة ، فهم يتراوحون بين الشرك والالحاد فأكثريتهم تزعم أن المسيح ابن الله ! وهل من عاقل سليم الفطرة يظن أن الله بحاجة إلى ولد ويكون ولده من أنثى من بني البشر يأكل مما يأكل منه الناس ويمشي في الأسواق ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وأما أولئك الملحدون الذين عميت بصائرهم عن آيات الله المشهودة في الكون وهل يظن عاقل أن الكون وما فيه تكون من تلقاء نفسه ؟

إن هذا الانحراف في العقيدة عندهم قد انعكس على ميادين الحياة عندهم ، فأصبحت أخلاقهم أقرب لأخلاق الحيوانات من أخلاق البشر من حيث

---

(١) سورة المائدة . آية (١٠٠) .

(٢) سورة الأنعام . آية (١١٦) .

شيوع الزنى والدعاره وأنواع من الشذوذ الجنسي التي تتقزز منها النفس السوية ، ولايرون في ذلك بأساً ، بل هو حرية شخصية متاحة للجميع .

ومن نظر إلى علاقاتهم الأسرية علاقة الابن مع والديه ، والأب مع ابنائه لوجد أن قلوبهم قد خوت من الرحمة والشفقة التي قد لا تخلو منها قلوب الحيوانات ، ومن نظر إلى سياستهم بعضهم مع بعض ومع غيرهم من الأمم الأخرى لوجد أن سياستهم لا تقوم إلا على القوة ولا يحترمون إلا القوة ، فالضعيف لا رحمة له ولا شفقة ، يتكالبون على انتهاب خيرات الشعوب الضعيفة .

ومن تبصر في واقعهم من حيث انتشار الجريمة والمخدرات والتمر د على القيم الاجتماعية أدرك أن الإنسان في هذه الحضارة قد فقد عقله وإنسانيته والعقلاء من الغرب أنفسهم يعتقدون أن منطلقات حضارتهم أصلها فاسد ، وهذا الفساد هو ما يسمونه " أزمة الحضارة " يقول " جوزيف أ . كاميللري " وهو يحلل جذور أزمة حضارة الغرب : ((لقد انقلبت المفاهيم التقليدية المتعلقة بالزمان والمكان والحركة رأساً على عقب ، بفعل الثورة التكنولوجية والانتقال إلى ثقافة جديدة هي (الثقافة الاستغلالية) المتمركزة حول الطاقة ، كما أن ماتلاها من انقطاع وعدم تماسك اجتماعي ونفسي وخواء أخلاقي ، قد ولد أزمة وجدانية قاسية ، وهروباً من الواقع واسع النطاق ، فالطالب الذي ينصرف إلى المخدرات المهلوسة ، ورب العائلة الذي يلهو ساعات طويلة في عالم التلفزيون الخيالي ، والهيبي الذي يهجر اضطراب الحياة المدنية وفسادها سعياً وراء فردوس وهمي في أحضان الطبيعة ، وابن العشرة أعوام الذي يثور فجأة فيحطم النوافذ والسيارات ، والمتسكع الذي ينشد ملاذاً في عالم الكحول ، وكذلك ربة البيت المستلبة ، والموظف المجهد اللذان ينشدان الخلاص على سرير المحلل النفسي ، كل هؤلاء هم ضحايا الجو

السائد المفعم بالقلق ، وعدم الأمن والاضطراب العصبي الذي يولد لديهم غضباً عارماً يؤدي إلى عجزهم وانسحابهم من مواجهة مستقبل لا يفهمونه ، ولا يستطيعون السيطرة عليه)) [1] .

ويعزو المؤلف جوزيف سبب أزمة الحضارة الغربية لأنها نشأت على غير خلق ، فقال : ((إن قانون التقنية محكوم بالحقيقة بأخلاق ، مهمتها الواضحة استبعاد كافة الأخلاق الأخرى ، واعتراض كل الاعتبارات الخلقية التي يحتمل أن تتضارب معها أو تهدد طريقة عملها المتواصلة ... فالواجب الأخلاقي الروحي الذي يدعو إلى تجرد النفس والإعراض عن رفاه الدنيا ، وتحمل أي تضحية لأجل حسن السيرة ؛ ينظر إليه الآن من قبل النظام الصناعي على أنه تأكيد للمثالية معوق ، وغير معقول ، وينطوي على مفارقة تاريخية)) [2] .

لقد ترتب على منهاجهم المادي في هذه الحياة مفاسد كثيرة لا تحصى ، إن أبرز ما أثمر عنه هذا المنهج الفاسد هو شعورهم (بفقدان الأمن) في هذه الحياة ، وظهور جيل متمرد على قيمهم الاجتماعية ، وخشيتهم من تطور المسألة إلى ظهور ثورة جديدة تقضي على ما تبقى لديهم من قيم ، وتلك الثورة مجهولة التوجهات [3] .

ولقد شمل فساد منهجهم في الحياة فساد منهج المعرفة والبحث العلمي عندهم ، إذ أن منهج المعرفة لا يمكن أن يستقل عن شخصية الأمة ، فعند الغرب تأثر بعقائدهم ونظرتهم إلى الحياة ، وأهم جوانب الفساد في منهجهم في المعرفة هو انطلاقه من النظرة المادية البحتة ، وإهماله التام لعالم الغيب ،

---

(١) جوزيف . أ . كامللري . أزمة الحضارة . ص١١ . مرجع سابق .

(٢) جوزيف . مرجع سابق . ص٦١ .

(٣) انظر : جان فرانسوا ريفيل . رياح التغير الجديدة . ترجمة فؤاد مويساتي . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، (د. ت.) .

كذلك إغفال جانب الأخلاق في البحث العلمي ، مما ترتب عليه أن أصبح هم العلماء القابعين في مراكز البحث العلمي والمختبرات تزويد الشركات بآخر ما يتوصلون إليه من أبحاثهم ، بغض النظر عن خطورة هذا الاكتشاف على الإنسان ، فظهر علمائهم على الناس بابتكار أنواع جديدة من المخدرات ، وأسلحة نووية أصبحت تهدد الجنس البشري على الأرض [1] . لقد أصبح العلم مطية للمال والشهوة والشهرة والقوة الظالمة ، فلا ضوابط خلقية للعلم .

وقد ذكر الدكتور " مارك . أ . هارول " في كتابه (الشتاء النووي) الآثار المحتملة عند وقوع حرب نووية بين روسيا وامريكا ، فذكر أن عدد الوفيات المحتملة في الولايات المتحدة الامريكية في المراحل المبكرة من الحرب في حدود ٩٠ مليون نسمة ، وإصابة ٣٠ مليون نسمة ، والمحصلة النهائية موت نصف أو ثلاثة أرباع سكان الولايات المتحدة الامريكية ، أما على المستوى العالمي فقد يربو عدد الوفيات على مليار نسمة ، وإصابة مليار نسمة آخرين ، ثم يواجه العالم صقيع شديد (شتاء نووي) ومجاعات هائلة ، وأمراض غامضة ، ونحو ذلك من الأهوال العظيمة التي ستصيب سكان الكرة الأرضية في حالة اندلاع تلك الحرب المجنونة [2] .

إن الشعور بالخوف والقلق من اندلاع الحرب النووية مازال قائماً وإن خف قليلاً عن فترة (الحرب الباردة) ، حيث عاشت أوروبا سنوات مريرة من القلق وترقب الحرب ، وبنوا الملاجئ وخزنوا فيها الطعام لانتظار ساعة

---

(١) محمد خير عرقسوسي . منطلقات الفكر الإسلامي . بحث مقدم إلى ندوة المنهجية الإسلامية في بناء العالم المسلم . ص١٦ ، بتصرف .

(٢) مارك . أ . هارول . الشتاء النووي . ترجمة عبد الله حيدر . ص ٢٥٧ وما بعدها . ط ١ . بيروت : دار الترقي ، ١٩٨٦ م =

الدمار الشامل ، وقد عانت أوروبا والعالم أجمع من حربين عالميتين مدمرتين وهما الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢ - ١٣٣٦هـ = ١٩١٤ - ١٩١٨م) والحرب العالمية الثانية (١٣٥٩ - ١٣٦٤هـ = ١٩٣٩ - ١٩٤٤م) واللتين انطلقتا من عند الغرب وسقط خلالهما ملايين القتلى وملايين الجرحى ، وكان غاية تلكما الحربين المصلحة الاقتصادية ، وما أثمرت إلا مزيداً من الأحقاد بين الشعوب ، ومزيداً من تردي الاقتصاد العالمي كما هو معلوم بعد نهاية كل حرب [1] .

إن المنهج الذي أثمرت عنه تلكما الحربين مازال هو المنهج السائد حالياً في أوروبا ، ويعني ذلك أن احتمالات اندلاع حرب عالمية أخرى ما زال قائماً لأن الدول العظمى المعاصرة لم يتغير في منهاجها شيئاً . وإن الربط بين صلاح منهاج الأمم وبين مكتسباتها المادية خطأ كبير ، لأن المنهج الذي لم يأخذ في حسابه حقيقة الإنسان ، ولا الغاية من خلقه . باعتبار أن الإنسان خلقه الله لأن يكون عبداً له وحده ، يلتزم بشرعه فإنه لن يسعد الإنسان ولن يحقق إنسانيته إلا إذا صحح عبوديته لله وحده . وأولئك المبهورون بالمنهج الأوروبي الذين عميت بصائرهم عنه ولم يفهموا حقيقته ، وظنوا أنه صالح للاهتداء به ، فأولئك قد انتكست قلوبهم وتاهت عقولهم فلا يهتدون سبيلاً فكيف بهؤلاء إذا خرج فيهم الدجال ، ومعه من الفتن أكثر مما مع

---

(١) انظر : دانييل ر. براور . العالم في القرن العشرين - عصر الحروب العالمية والثورات . ترجمة ونشر مركز الكتب الأردني . ط١ . ١٩٩٠م .

وقال براور : ((إن ضحايا الحرب العالمية الأولى ١٠ ملايين قتيل وَ ٢٠ مليون جريح)) ص٦٠ .

((وكانت السنوات الخمس بعد الحرب العالمية الأولى تخللها عدم استقرار اقتصادي ، وتضخم حاد)) ص٩٧ . ((أما الحرب العالمية الثانية فقد قتل فيها ما يقارب خمسين مليون مواطن مدني وجندي عسكري)) ص٢٤٤ . وعن الحرب الباردة بين المعسكرين : روسيا وأمريكا ، وسباق التسلح انظر المرجع السابق ص٢٤٦ وما بعدها .

الأوروبيين اليوم ، إن هؤلاء لبس عليهم إبليس وظنوا أنه لو لم يكن منهجهم صالحاً لما تحقق لهم ما تحقق من علوم مادية وصناعات متقدمة ، ولم يفقهوا سنن الله ، إذ أن هذا التقدم ثمرة لما بذلوه من جهد في هذا المضمار ولو أن المسلمين بذلوا هذا الجهد لحصلوا على أكثر مما حصل عليه الأوروبيين قال تعالى : ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [1] فاكتشاف السنن واستثمارها ليس مقصوراً على أمة من الأمم إنما هو متاح لجميع الجنس البشري . إنما هو بالأخذ " بسنن الله " المبثوثة في الكون ، إن المنهج الصالح هو المنهج الذي يحقق " الغاية من خلق الإنسان " الذي يحقق مفهوم العبودية لله وحده لا شريك له ، وذلك المنهج هو منهج الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ إلى البشرية ليخرجهم من الظلمات إلى النور من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، من التكالب على حطام الدنيا ، إلى التسابق إلى الخيرات ، من ظلم البشر إلى الإحسان إلى الخلق ، إنه المنهج الذي يحقق للإنسان إنسانيته مخلوقاً متفرداً بصفات وسمات عن بقية الكائنات وهو المنهج الذي يرد للإنسان كرامته المفقودة ، ويلبي نداء فطرته وأشواقه وحاجاته النفسية والروحية ، إنه المنقذ للبشرية مما تعانيه اليوم من تبعات الجاهلية المعاصرة من بؤسها وشقاوتها وظلمها ، حيث انحطت قيمة الإنسان وفقد كرامته وشخصيته ، فلم تقدم أوروبا للإنسان شيئاً سوى ما قدمته من صناعات وعلوم مادية لم تسعد الإنسان بل حملت إليه القلق والشقاء والخوف من المصير المجهول .

فالمسلم إذا أدرك تلك الحقائق ؛ فإنه لا يُخشى عليه من الانبهار بما حققه

---

(١) سورة الإسراء . آية (٢٠) .

الكفار من مظاهر البناء المادية ، ولا يغتر بكثرة أعداد أتباع المذاهب والأديان الباطلة .

٤ – **الولاء والبراء** : الولاء في اللغة : الولاية والنصرة ، والمولى الحليف ، والموالاة المحبة ، والولي : الصديق ، والنصير ، قال ابن الأعرابي : الولي التابعُ المحبُ ، والموالاة ضد المعاداة ، والولي ضد العدو ، وتوليت فلاناً أي اتبعته ورضيت به [١] .

والبراء في اللغة :

برئ : إذا تخلص ، وتنزه وتباعد ، وبرئ : إذا أعذر وأنذر ومنه قوله تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٢] أي إعذار وإنذار ، وبارأت شريكي : إذا فارقته [٣] .

وفي الاصطلاح :

الولاية : النصرة والمحبة والإكرام والاحترام ، والركون مع المحبين ظاهراً وباطناً [٤]

والبراء : البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار [٥] ، إن الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) ابن منظور . لسان العرب . ج ٦ , ص ٤٩٢٠ وما بعدها .

(٢) سورة التوبة . آية (١) .

(٣) ابن منظور . لسان العرب . ج ١ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٤) محمد بن سعيد القحطاني . الولاء والبراء في الإسلام .ص ٨٩ . ط ٣ . الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٩ هـ .

(٥) المرجع السابق . ص ٩٠ .

وقال تعالى : ﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُاْ مِّنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) ، قال القرطبي رحمه الله تعالى : ((قال ابن عباس : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار فيتخذونهم أولياء)) (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ

---

(٦) سورة التوبة . آية (٢٣) .

(١) سورة المائدة . آية (٥١) .

(٢)سورة المجادلة . آية (٢٢) .

(٣) سورة الممتحنة . آية (٦٠) .

(٤) سورة آل عمران . آية (٢٨) .

(٥) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج ٤ ، ص ٥٧ . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٠٥ هـ

الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

وقال القرطبي رحمه الله : ((أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار و" بطانة الرجل " خاصته الذين يستبطنون أمره ، ونهى الله عزوجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود ، وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء ، ويسندون إليهم أمورهم ، وقوله تعالى : ﴿ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ يعني لا يتركون الجهد في فسادكم ، وإن لم يقاتلوكم في الظاهر ، فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة)) (٢) ، وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود ﷺ : ((**المرء مع من أحب**)) (٣) قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : ((إن الإنسان لا يستقيم له إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعدواة والبغض ،كما قال تعالى ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٤)

وقال الشيخ سليمان حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله : ((إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وأن الله افترض على المسلمين عداوة المشركين من الكفار والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين

(١) سورة آل عمران . آية (١١٨) .

(٢) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج ٤ ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(٣) صحيح البخاري . ج ٤ ، ص ١٤٦ . كتاب الأدب . حديث رقم ٦١٦٨ .

(٤) سورة المجادلة . آية (٢٢) .

يُعرفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله ، وتوعدهم الله تعالى باللعن والقتل بقوله : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً﴾ (١) .

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعي رجل محبة الله تعالى وهو يحب أعداءه ؟!

وبالجملة فالحب في الله ، والبغض في الله أصل عظيم من أصول الإيمان يجب على العبد مراعاته ، ولهذا جاء في الحديث : (**أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله**) (٢) ، ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن)) (٣) ، وقد أضاف الشيخ سليمان رحمه الله بعض الأمور الداخلة في الموالاة منها المودة والمحبة ، والركون إليهم ، ومداراتهم ، وطاعتهم فيما يشيرون ، وتقريبهم في الجلوس ، ومشاورتهم في الأمور ، وإكرامهم ، والبشاشة لهم ، ومعاونتهم في أمورهم ، والرضى بأعمالهم والتشبه بهم ، وذكر ما فيه تعظيم لهم ؛ كتسميتهم سادات وحكماء)) (٤) ، وقد سبق أن استعرض الباحث حكم التشبه بالكفار في هديهم الظاهر (٥) ، وبين أن التشبه بهم منهي عنه ، لما فيه من الموالاة والنصرة ، ولأنه طريق للتشبه

---

(١) سورة الأحزاب . آية (٦٠ - ٦١) .

(٢) رواه أحمد . ج ٤ . ص ٢٨٦ .

(٣) سليمان بن عبد الله . ثلاث رسائل . الرسالة الأولى . ملحقة بالجامع الفريد . ص ٤١١ . ط ٣ . ١٤٠٨هـ

(٤) سليمان بن عبدالله . الرسالة الأولى . ص ٤١٧ . مرجع سابق .

(٥) انظر . ص

بهديهم الباطن ومن ثم الخروج من ملة الإسلام .

والصراع بين الحق والباطل من سنن الله عزوجل ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١)

فكما أن معسكر الباطل يعادي ويبغض معسكر الحق ، فلا بد أيضاً من معسكر الحق أن يعادي ويبغض معسكر الباطل ؛ وهذا أصل الولاء والبراء ، قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٥)

---

(١) سورة الأنعام . آية (١١٢) .

(٢) سورة البقرة . آية (١٠٩) .

(٣) سورة البقرة . آية (١٢٠) .

(٤) سورة التوبة . آية (٨) .

(٥) سورة الصف . آية (٨) .

وفي القرآن غير ذلك آيات كثيرة تتحدث عن عداوة الكفار لأتباع الأنبياء وأساليب العداوة كثيرة من تشكيك ، وسخرية ، وتكذيب ، وبغض ، ولمز ، وقتال ، وغير ذلك .

وهذا الصراع سيستمر حتى تقوم الساعة ، فإذا ما استقرت في ذهن المسلم هذه الحقيقة ؛ من أن الكفار أعداء له مهما أظهروا له من المحبة والنصيحة ، فعليه الحذر من الكفار من كافة الملل ، وإذا ما علم أن من أصول عقيدة الإسلام عداوة المشركين وبغضهم ، ومحبة المسلمين ونصرتهم ، فإن ذلك تحصين للمسلم أن يقع في التبعية الفكرية ، فمن تعامل مع الكفار واقتبس من علومهم ما يحتاج إليه وهو في نفس الوقت يكره كفرهم ومعاندتهم للحق ولا يتولاهم ولا يحبهم ؛ ويبغض شعائر كفرهم ، فلا خوف عليه عندئذ من السقوط في هاوية التبعية الفكرية .

خلاصة

طريقة التربية الإسلامية في علاج التبعية الفكرية تنطلق من ثلاثة ميادين :

الأول : إصلاح ميدان النفس ، وذلك بإحياء القلوب بالقرآن والإيمان ، فإن القلب إذا دخله نور الإيمان وتمت تغذيته بالقرآن فإن قوى القلب تعمل على أتمها ، فقوة التمييز تجعل الإنسان يفرق بين الحق والباطل فلا يلتبس أمرهما عليه ، وقوة الإرادة تجعل الإنسان يتمسك بالحق وإن خالف ما عليه الناس ، وبهذا يتحرر الإنسان من التبعية الفكرية المذمومة .

ويرتبط بإصلاح ميدان النفس المحافظة على شخصية الإنسان ، وطريقة التربية الإسلامية في المحافظة الإنسان تنطلق من ستة أصول وهي :

١- المساواة بين الناس ولا تفاضل إلا بالتقوى :

فعندما يشعر الإنسان أنه لا يختلف عن غيره من الناس فهذا مدعاة لوثوقه بنفسه .

٢- تكريم المسلم وتحريم كل ما كان سبباً في إذلاله وتحقيره :

فشعور الإنسان أنه مكرم ولا يعتدي أحد على شخصه بالتحقير أو الإذلال فهذا يتيح لشخصيته أن تنمو وتستقل عن إرادة الآخرين .

٣- المحبة واجبة بين المسلمين :

وتحتاج شخصية الإنسان في نموها إلى المحبة ، إذ أن فقدانها يورث ضعف الشخصية .

٤- الخوف :

ويحرم الإسلام تخويف المسلم دون مبرر إذ أن الخوف من أعظم الآفات التي تنخر في شخصية الإنسان ، فتجعله يتابع الآخرين خوفاً منهم ،

وعندما ينتفي الخوف فإن ذلك مدعاة لاتباع الحق وإن كان مخالفاً لما عليه الناس .

٥- الأمر بالجماعة والتعاون ، والنهي عن الفرقة والخلاف :

عندما يأمر الإسلام الناس بالتعاون والترابط الاجتماعي فإنه بذلك يحقق نمو شخصيات أفراد المجتمع ، لأن الإنسان يحتاج إلى تعاون الآخرين وترابطهم معه حتى يشعر بالأمن ، وهذا يساهم في نمو شخصية الإنسان

٦- وهناك في سيرة الرسول ﷺ مبادئ لغرس الثقة ، منها :

التشجيع على قول الحق ، وعدم إكثار اللوم ، وتعويد الشباب على المسؤولية .

الميدان الثاني : إصلاح ميدان العقل :

وذلك بتدريب الفرد على استخدام عقله ، وإزالة المعوقات عن التفكير العلمي ، مثل : الظن ، والهوى ، والتقليد ، والمسكرات .

الميدان الثالث : تعلم العلم الشرعي :

فالجهل من أعظم عوامل الوقوع في التبعية الفكرية ، ولهذا فنشر العلم الشرعي من أهم الوسائل في مواجهة التعبية الفكرية .

الميدان الرابع : تصحيح المفاهيم :

هناك مفاهيم خاطئة ؛ وفي القرآن والسنة تصحيح لتلك المفاهيم ، ومن تلك المفاهيم :

١- محبة الكفار ، والاعجاب بهم .

يصحح هذا الانحراف مفهوم الولاء والبراء .

٢- الاغترار بالمظاهر المادية للحضارة الغربية .

ويصحح هذا الانحراف مفهوم الاعتزاز بالدين ، وأن معيار صلاح مناهج الأمم باتباعهم لمنهج الله عز وجل .

٣- اعتقاد أن الكفار أعقل من المسلمين .

ويصحح هذا الانحراف مفهوم أن المسلم أتم عقلاً من الكافر .

أولاً : نتائج الدراسة

ثانياً : التوصيات

ثالثاً : قائمة المراجع

أولاً : نتائج الدراسة :

١- التبعية الفكرية نوعان :

تبعية محمودة ، وهي إتباع الكتاب والسنة ، واتباع هدي الأمة الإسلامية واتباع الدليل من تجربة أو برهان عقلي في أمور الدنيا .

وتبعية فكرية مذمومة , وهي إتباع الآخرين دون حجة أو برهان ، وهي قسمان : خارجية وداخلية ، الخارجية من صورها إتباع الأمم الأخرى في عقائدهم وشرائعهم المخالفة للكتاب والسنة ، ومن صورها أيضاً التشبه بالكفار في هديهم الظاهر ، ومن صورها إتباعهم في علومهم الاجتماعية والإنسانية ، وكذلك في نظمهم الإدارية ، ومناهجهم في التنمية السياسية والاقتصادية .

والتبعية الفكرية الداخلية من صورها إتباع الآباء وإتباع المشايخ كما عند المتصوفة ، والتعصب المذهبي .

٢- نشأت التبعية الفكرية بسبب عوامل داخلية وخارجية :

العوامل الداخلية : ضعف الالتزام بأحكام الدين ، وركود وجمود الحركة العلمية ، وغياب الشورى عن حياة المسلمين .

العوامل الخارجية : تتمثل في الغزو العسكري لبلاد المسلمين من الأمم النصرانية واليهودية ، والشيوعية ، وكذلك الغزو الفكري .

٣- للتبعية الفكرية الداخلية والخارجية ، آثار سلبية على حياة المسلمين ، من أبرز آثار التبعية الفكرية الداخلية : التفلت من أحكام الشرع ، وركود وجمود العلوم الشرعية والطبيعية والاجتماعية ، لأن الإبداع والاجتهاد اللذان هما أساس تطور العلوم ، قد فقدا عندما شاع التقليد ، وأغلق باب الاجتهاد مما ترتب عليه جمود وركود العلوم بمختلف ميادينها كذلك شاعت البدع في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، والتي هي من ثمار التبعية الفكرية المذمومة

ومن آثار التبعية الفكرية الخارجية : الردة والخروج عن الدين ، وترسيخ التخلف الصناعي ، والعلمي والاقتصادي ، وتسلط الأمم الأخرى على المسلمين ، وضياع الهوية الإسلامية ، والاختلاف والبغضاء بين الناس وشيوع الفساد الخُلُقي .

٤- انقسم المفكرون في البلاد الإسلامية ، حول العلوم التربوية الغربية الوافدة إلى ثلاثة اتجاهات :

الأول : وهو اتجاه الرفض التام لتلك العلوم ، باعتبارها وليداً شرعياً للحضارة الإلحادية أو اليهودية أوالمسيحية ، وهذا الرفض شامل لكل فروعها ومفاهيمها وسبب نشوء هذا الاتجاه ؛ ارتباط الفكر التربوي الغربي بالنظريات الإلحادية ، فاختلط الباطل بالحق ، مما جعل تلك الطائفة ترفض تلك العلوم جملة وتفصيلاً

ويقابل اتجاه الرفض التام اتجاه القبول التام ، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الطريق الوحيد لنهضة الأمة هو تقبل النظام الغربي برمته ، وتطوير المجتمع الإسلامي ليتلائم مع الفكر العالمي مع الإنسلاخ من التراث ، وتكون هذا الاتجاه بفعل الانبهار بالحضارة الغربية ، والجهل بالإسلام ، والتأخر عن ركب الحضارة الإنسانية .

والاتجاه الثالث : اتجاه الوسط ، الذي ينظر إلى العلوم الغربية نظرة عدل وإنصاف ، فيرى أن فيها باطلاً لا يجوز اقتباسه ، لأنه يخالف القرآن والسنة ، وفيها حق يمكن للمسلمين الأخذ به بعد تهذيبه ليتلاءم مع هوية الأمة الإسلامية .

٥- الاقتباس من الأمم الأخرى مشروع ولكن بضوابط ، منها ما يخص المُقتَبِس ، ومنها ما يخص المُقتَبَس ، فضوابط المُقتَبِس تتمثل في ضابطين :

الأول : العلم الشرعي : فيلزم لمن تصدى لوظيفة الاقتباس أن يكـون علـى إطلاع على مصادر الشريعة من كتاب وسنة ، راسخاً في العلم الشرعي .

والثاني : سبر غور الفكر التربوي الغربي ، فيلزمه أيضـاً أن يكـون مدركـاً لحقيقة العلوم التربوية الغربية محيطاً بأصولها وأسسها التي بنيت عليه وتطورهـا على مر العصور ، والعوامل التي ساهمت في تشكيل وبلورة تلك العلوم حتى يفهـم معنـى أقوالهـم ومقـاصدهم ، لأن كـل رأي أو نظريـة ، متـأثر بعقيـدة صاحبه ، وضوابط المُقتَبَس هي " معايير التبعية الفكرية " :

يوزن الأمر المُقتَبَس على أربعة معايير :

الأول : معيار العقيدة : فتوزن الآراء والنظم والمفـاهيم التربويـة علـى القـرآن والسنة ، فإن كانت تخالف ما أمرنا الله به ، أو ما نهانا عنه ، أو ما أخبرنا به فلا ينظر إليها .

الثاني : هوية الأمة : ويعني هذا المعيار أنه لا يجوز اقتباس رأي تربـوي يكـون ذريعة لهدم هوية الأمة .

الثالث : معيار الحجة والبرهان ، وهذا يعـني فحـص كـل مـا أراد المسـلمون اقتباسه من علومهم التربوية على معيار الحجـة ، فتنقـد حججهـم وبراهينهـم وأدلتهم حتى يرى مدى صدقها من خطأها ، فلا يجوز إتبـاعهم في شـيء إلا بعد معرفة دليلهم .

الرابع : معيار المصلحة : وهذا يعني تقويم الشيء المراد اقتباسه من ناحية نفعه للمسلمين ، فإن لم يكن للمسلمين فيه نفع فلا يؤخذ به ، وإن كانت براهينه صحيحة ولا يخالف القرآن والسنة فينظر فيه هل فيه نفع للمسلمين أم لا ؟ .

٦- أصول التربية عند المسلمين تختلـف عنهـا عنـد الغربيـين لأن غايـة التربيـة الإسلامية تحقيـق عبـادة الله عزوجـل في حيـاة الفـرد ، وأصولهـا تعتمـد علـى القرآن والسنة ، بينما عند الغرب تنطلـق مـن نظريـات علـم النفـس ، وعلـم

الاجتماع ، وفلسفة التربية ، وتاريخ التربية ونظرياتهم في تلك العلوم يتعارض – كثير منها – مع القرآن والسنة .

وفي تطبيق الباحث لمعيار العقيدة على أحد الكتب الشائعة في أصول التربية وهو كتاب " محمد منير مرسي – أصول التربية الثقافية والفلسفية " اتضح أن المؤلف قد تبنى النظرة الغربية لأصول التربية من حيث ارتكازها على علم الاجتماع الغربي ، ونظرياته الفاسدة نحو الأخلاق ، والدين والإنسان ... ، وكذلك على الفلسفة ، وهي تخالف الرؤية الإسلامية للحياة ، وهذا الكتاب نموذج لما هو سائد في جامعات العالم الإسلامي ، ويدل على مدى ما وصلت إليه العلوم التربوية في العالم الإسلامي ، من تبعية للفكر الغربي .

٧- طريقة التربية الإسلامية في معالجة التبعية الفكرية تنطلق من قواعد أربع :

أولاً : إصلاح ميدان النفس ، بإحياء القلوب حيث تتحكم في حياة القلب قوة الإرادة ، وقوة التمييز ، وحياة القلب تكون بتغذيته بالإيمان والقرآن ، وهناك وسائل أخرى لإحياء القلب : منها التفكر ، وتذكر الموت ، وذكر الله عزوجل ، والاستغفار ، والدعاء وقيام الليل ، وتحصين القلب عن مرض الشهوة ، وعن وساوس الشيطان ، فإذا ما صلح ميدان القلب فإن النفس ستصح من حيث أن القلب هو المهيمن على الإنسان .

ثانياً : المحافظة على شخصية الإنسان :

هناك عوامل تنخر في شخصية الإنسان فتفقده الثقة بنفسه منها الخوف ، وفقدان الكرامة ، وفقدان الثقة بالناس والإتكالية .

وطريقة التربية الإسلامية في المحافظة على شخصية الإنسان تنطلق من ستة أصول وهي :

أ- المساواة بين الناس ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى .

ب- تكريم المسلم ، وتحريم كل ما كان سبباً في إذلاله أو تحقيره .

ج – وجوب المحبة بين المسلمين .

د– تحريم تخويف المسلم دون مبرر .

هـ– الأمر بالجماعة والتعاون والنهي عن الفرقة والخلاف .

و– وفي سيرة الرسول ﷺ مبادئ لغرس الثقة ، منها التشجيع على قول الحق وعدم إكثار اللوم ، وتعويد الشباب على المسؤولية والشورى ، فالمحافظة على شخصية الفرد من أعظم الأساليب في تحصين الفرد عن التبعية الفكرية .

ثالثاً : إصلاح ميدان العقل : وذلك بتدريب الفرد على استخدام عقله ، وإزالة المعوقات عن التفكير العلمي ، مثل الظن ، والهوى والتقليد ، والمسكرات .

رابعاً تعلم العلم الشرعي : فالجهل من أعظم عوامل الوقوع في التبعية الفكرية وعلاجه الحاسم هو العلم الشرعي ، لذا فنشر العلم الشرعي من أعظم طرق معالجة التبعية الفكرية .

٨– هناك مفاهيم خاطئة تهيئ الطريق إلى التبعية الفكرية ، وفي القرآن والسنة تصحيح لتلك المفاهيم ، منها :

أ– محبة الكفار ، ومن مظاهر محبتهم تقليدهم في هديهم الظاهر ، ويصحح هذا الانحراف ، مفهوم الولاء والبراء ، ويعني ذلك أن يتبرأ المسلم من الكفار ويبغضهم ولا يواليهم ، ومقابل ذلك يوالي المسلمين ويحبهم .

ب– الاغترار بالمظاهر المادية للحضارة الغربية ويصحح هذا الانحراف ، مفهوم الاعتزاز بالدين ، وأن معيار صلاح مناهج الأمم باتباعهم لمنهج الله عزوجل ، كما أن المسلم أتم عقلاً من الكافر ، وأن تفوق الكافر يقتصر على بعض جوانب الحياة الدنيا .

ثانياً : التوصيات

في ضوء ما اشتملت عليه الدراسة وما تم استخلاصه من نتائج فإن الباحث يقدم التوصيات التالية :

١- أن يعاد النظر في نظام التعليم الحالي ، والقائم في البلاد الإسلامية ، والمقتبس من عند الغرب ، وذلك لبناء نظام تعليمي ينطلق من القرآن والسنة ليحقق أهداف التربية الإسلامية ، وحاجات الأمة الإسلامية المعاصرة ، ويشمل ذلك ما يلي :

أ- إعادة النظر في السلم التعليمي ، بحيث يتم تصميمه ليحقق مراعاة الفروق الفردية ، ومراعاة الظروف الاجتماعية ، ومراعاة احتياجات الفرد ، والأمة .

ب- إعادة النظر في محتوى المنهاج الدراسي ، ليراعي الميول والاهتمامات لدى الطالب ، ومراعاة احتياجات الأمة ، ويكون محوره تحقيق غاية التربية الإسلامية : (عبادة الله عزوجل) .

ج- إعادة النظر في أسلوب التقويم المتبع حالياً ، ويمكن الاستفادة من طريقة المسلمين السابقة ، والمتمثلة في " الإجازة " التي يمنحها الشيخ وفق الأسلوب الذي يراه ملائماً للتقويم ، فيتاح المجال للمعلمين بإتباع التقويم الشامل لكافة جوانب المهارات المختلفة مع العدل ، ومراعاة الفروق الفردية

٢- العمل على بناء علوم تربوية تنطلق من القرآن والسنة ويشارك في بنائها علماء من مختلف التخصصات ، ولتحقيق ذلك لا بد من إقامة مراكز بحث تربوية يفرغ لها عشرات من العلماء والمفكرين والباحثين ، ويزودون بما يلزمهم من المباني والآلات والمكتبات ، والموظفين حتى تحقق الأهداف المرجوة من إقامتها ، وترتبط بتلك المراكز لجان ترجمة ، لترجمة الكتب والأبحاث الجديدة الصادرة من مختلف الأمم للإطلاع على خبرات الشعوب

الأخرى في ميدان التربية والتعليم ، ويتم خلال تلك المراكز تصميم بدائل للعلوم الوافدة ، وتزويد كليات التربية ومعاهد إعداد المعلمين بتلك البدائل .

٣- التصدي للغزو الغربي في ميدان التربية ضرورة بإحداث مادة دراسية لطلاب الإعداد التربوي تختص بنقد الفكر التربوي الغربي ، ومن خلال تلك المادة يتعرف الطالب على الفروق بين التربية الإسلامية وغيرها من التربيات الأخرى في الغاية والأهداف ، والنظرة إلى الإنسان ، وإلى الكون وإلى الحياة ونحو ذلك ، وأيضاً يبين من خلال هذه المادة تهافت الفكر الغربي ، وكثرة اختلاف مفكريه ، وتضارب أفكارهم .

كما يتعرف الطالب من خلالها على الحكم الشرعي في مفاهيم التربية الغربية ونظرياتها .

٤- يوصي الباحث بأن تعاد للمسجد رسالته فهو " جامعة مفتوحة " فتقام فيه دروس في مختلف التخصصات الشرعية لتثقيف وتوعية العامة ، ونشر العلم الشرعي بين الناس .

٥- المعلم حجر الزاوية في نظام التعليم ، لذا يجب أن يتم إعداده بالمستوى المطلوب ، حتى يؤدي رسالته المناطة به ، بحيث يساهم في تنمية شخصية التلميذ ، واستقلاليته عن الآخرين ، وهذا يستلزم أن يعاد النظر في برامج إعداد المعلمين ، والمواد الدراسية التي تقدم إليهم .

٦- مراجعة تاريخ التعليم الإسلامي ، ويمكن إقامة مركز بحث متخصص في (تاريخ التعليم الإسلامي) ، لإبراز جهود المسلمين في مضمار التعليم ، سواء طرق التعليم ، أو أراء المفكرين المسلمين ، ونقد تلك النظم والآراء على الكتاب والسنة لمعرفة نقاط الخلل ، التي ترتب عليها بروز الآفات التي أضعفت من كفاءة نظام التعليم في عصور الركود والجمود .

٧- التفاعل الحضاري ضروري للمسلمين ، ويوصي الباحث تكليف فرق من الباحثين المختصين للوقوف على المؤسسات التعليمية في كافة الدول ، وخاصة الدول المتقدمة صناعياً ، مثل أوروبا الغربية وكندا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، لتزويد مراكز البحث والجامعات بتقارير عن النظم التعليمية لتلك البلاد ، سواء من ناحية المنهاج أو الوسائل ، والتجهيزات أو المحتوى من الأنشطة والمقررات الدراسية ، ونحو ذلك من جوانب العملية التعليمية ، وإن طبعت ونشرت تلك التقارير والدراسات يكون ذلك أفضل ، ولا بد أن يتوفر في أولئك الباحثين الرسوخ في العلم الشرعي ، وكذلك معرفة الفكر التربوي الغربي .

ثالثاً : قائمة المراجع

المصادر *

١- القرآن الكريم .

٢- الألباني ، محمد ناصر الدين . سلسلة الأحاديث الصحيحية ،

المجلد الأول . ط٢ . دمشق : نشر المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م .

المجلد الثاني . ط٢ . دمشق : نشر المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م .

المجلد الثالث . ط٣ . الرياض : نشر مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م

المجلد الرابع . ط٣ . عمان : نشر المكتبة الإسلامية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م

٣- البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

٤- البيهقي ، الإمام أحمد بن الحسين . الآداب . تحقيق محمد عبد القادر عطا ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

٥- الترمذي ، الإمام محمد بن عيسى بن سورة . الجامع الصحيح . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . ط٢ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٦- الحاكم ، الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري . المستدرك ، وبذيله تلخيص المستدرك للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي . ط١. بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م .

* المصادر والمراجع رتبت حسب اللقب المشهور به المؤلف " أو عائلته " مع عدم اعتبار كلمتي (ابن وَ أبو) .

٧- ابن حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل . المسند وبهامشه منتخب كنز العمال مكة المكرمة : دار الباز ، (د . ت) .

٨- ابن حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل . المسند . تحقيق أحمد شاكر . ط١ . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م .

٩- ابن خزيمة ، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري . صحيح بن خزيمة تحقيق محمد مصطفى الأعظمي . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

١٠- أبو داود ، الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني . السنن . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر ، (د . ت) .

١١- الطبري ، الإمام محمد بن جرير . جامع البيان والتأويل . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

١٢- ابن ماجه ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني . السنن . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط١ . بيروت : دار الفكر ، (د . ت) .

١٣- مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري . صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

١٤- النسائي ، الإمام أبي عبد الرحمن أحمد . السنن . بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي . بيروت : دار القلم ، (د . ت) .

المراجع :

(أ)

١- أحمد ، سعد مرسي . تطور الفكر التربوي . ط ٥ -القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٣ م = ١٤٠٤ هـ .

٢- الأذرعي ، علي بن أبي العز . أصول العقيدة التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي . (د ، ت) .

٣ - أرسلان ، شكيب . لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم . ط ١ - القاهرة : المركز السلفي للكتاب ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ م .

٤- إسماعيل ، فادي . الخطاب العربي المعاصر . قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة . ط٢ - الولايات المتحدة الأمريكية . هيندن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

٥ - أشرف ، سيد علي . آفاق جديدة في التعليم الإسلامي -ترجمة أمين حسين الرياط . ط ١ - سلسلة التعليم الإسلامي . جدة : نشر عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٦ - الاستانبولي ، محمود مهدي . المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم . ط ٢ - دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٧ - الأشقر ، عمر سليمان . تاريخ الفقه الإسلامي . ط ١ - الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٨- الأشقر ، عمر سليمان . المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية . ط ١ - الأردن : دار النفائس ، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

٩- أمزيان ، محمد محمد .منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية . ط٣ - الرياض : مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م .

١٠- أوبير ، رونيه . التربية العامة . ترجمة عبد الله عبد الدائم . ط٦ . بيروت: دار العلم للملايين ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

١١- أيوب ، حسن . السلوك الاجتماعي في الإسلام . ط٤ - بيروت : دار الندوة الجديدة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(ب)

١- باركر ، انست . الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني . ط٢ . بيروت : دار النهضة ، (د . ت) .

٢- بازمول ، محمد عمر . الاختلاف وما إليه . ط١ . الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

٣- براور ، دانييل ر. . العالم في القرن العشرين عصر الحروب العالمية والثورات . ترجمة ونشر مركز المكتب الأردني . ط١ . عمان ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٤- براون ، جي ، إي . أساليب الاقناع وغسيل الدماغ . ترجمة عبد اللطيف الخياط . ط١ . الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

٥- البرديسي ، محمد زكريا . أصول الفقه . ط١ . القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د . ت) .

٦- بدري ، مالك . علم النفس من منظور إسلامي .من بحوث اللقاء العالمي الرابع (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، واشنطن) . جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، عقد المؤتمر في ١٥ - ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٧- بدري ، محمد محمد . الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة . ط١ . مكة المكرمة : دار الرسالة ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٣م .

٨- البسيوني ، محمد السيد زغلول . فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

٩- البهي ، محمد . الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر . ط٣ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

١٠- بوكاي ، موريس . مـاأصل الإنسـان . ترجمـة مكتـب التربيـة العربـي لدول الخليج . ط١٢ . ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

١١- البوطي ، محمد سـعيد . منهـج الحضـارة الإنسـانية في القـرآن . ط١ . دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

(ت)

١- التل ، عبد الله . جذور البلاء . ط٢ . المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م .

٢- التميمي ، عزالدين . الشورى بـين الأصالـة والمعـاصرة . ط١ . عمـان : دار البيئة ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٣- التوم ، بشير حاج . تأصيل تربية المعلـم . ط١ . مكـة المكرمـة : مطـابع الصفا، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٤- التوم ، بشير الحاج . ماهي فلسفة التربية . ط١ . مكة المكرمـة : مكتبـة الوطن ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٥- ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم . اقتضاء الصراط المسـتقيم مخالفة أصحاب الجحيم . ط١ . مطبعة المدني ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

٦- ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم . مجمـوع الفتـاوى . جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصمي . (د . ت) .

(ج)

١- جابر ، عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم . مناهج البحث في التربيـة وعلم النفس . ط١ . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

٢- جان ، محمد صالح . المناهج بـين الأصالـة والتغريـب . ط١ . الطـائف : دار الطرفين ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

٣- جرجس ، صبري . التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي . ط١ القاهرة : عالم الكتب ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

٤- جريشة ، علي . حاضر العالم الإسلامي . ط٣ . جدة : دار المجتمع ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

٥- جريشة ، علي . ومحمد حمد شريف الزيبق . أساليب الغزو الفكري . ط١ . القاهرة : دار الاعتصام ، ١٤٠٧هـ = ١٩٧٨م .

٦- الجزائري ، سعيد . الماسونية ما لها وما عليها . ط١ . دمشق : مؤسسة النوري ، ١٤٠٧هـ = ١٩٧٨م .

٧- ابن جماعة ، بدر الدين بن جماعة الكناني . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم . تحقيق السيد محمد هاشم الندوي .ط٢ . السعودية : الدمام ، نشر رمادي ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

٨- الجندي ، أنور . كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار . ط١ . بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٩- الجندي ، أنور . تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة . القاهرة : دار الاعتصام ، (د. ت) .

١٠- الجندي ، أنور . أسلمة المناهج والعلوم . القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

١١- الجندي ، أنور . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي . القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

١٢- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا . ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

١٣- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . تلبيس إبليس . ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

١٤- الجيار ، سيد إبراهيم . دراسات في تاريخ الفكر التربوي .ط٤ . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

(ح)

١- حاتم ، محمد عبد القادر . الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية . ط١ . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

٢- حاجي خليفة ، مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة . كشف الظنون عن أسامي والكتب الفنون . ط١ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (د . ت).

٣- ابن حزم ، محمد بن علي . مسائل من الأصول . ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (المجلد الأول) . الرياض : مكتبة طيبة ، (د . ت) .

٤- الحسن ، عبد الله يوسف . ربانية التعليم . سلسلة رسائل العين ط٢ . مصر: دار البشير ، جدة : دار المجتمع ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٥- حسنة ، عمر عبيد . حتى يتحقق الشهود الحضاري . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

٦- حسنة ، عمر عبيد . الشاكلة الثقافية . ط١ . دمشق ، بيروت : المكتب الإسلامي .١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٧- حسنة ، عمر عبيد . مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . ط٢ . الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٤هـ .

٨- حسني ، عباس . اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي . ط١ . القاهرة: مكتبة السلام العالمية ، ط١ . (د . ت) .

٩- حسين ، سيد سجاد و سيد علي أشرف . أزمة التعليم الإسلامي . ترجمة أمين حسين . الرباط : سلسلة التعليم الإسلامي ، جدة : نشر عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز ، ط١ . ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .

١٠- حسين ، محمد محمد . الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . ط٧. بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

١١- حسين ، محمد محمد . حصوننا مهددة من داخلها . ط٧ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .

١٢- الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ياقوت الحموي) . معجم البلدان . ط١ . بيروت : دار الفكر ، (د . ت) .

١٣- الحميد ، عبد اللطيف بن محمد . سقوط الدولة العثمانية . ط١ . الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

١٤- الحوالي ، سفر . العلمانية . (د . ت . وَ د . دار نشر) .

(خ)

١- الخالدي ، مصطفى ، وعمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية ط١ . صيدا ، لبنان : المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢- خضر ، فخري رشيد . تطور الفكر التربوي . ط١ . دار الرشيد ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

٣- الخطيب البغدادي . أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي تقييد العلم . تحقيق يوسف العش . ط٢ . بيروت : دار إحياء السنة النبوية ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م .

٤- خلاف ، عبد الوهاب . أصول الفقه . ط١٤ . الكويت : دار القلم ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٥- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . المقدمة . تحقيق خليل شحاده . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م . وكذلك ط٤ . بيروت : دار القلم ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٦- خليل ، عماد الدين . تهافت العلمانية . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٧- خليل ، عماد الدين . حول إعادة تشكيل العقل المسلم . ط٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

٨- خياط ، محمد جميل بن علي . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . ط١ جامعة ام القرى : مركز البحوث التربوية ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

٩- خياط ، محمد جميل بن علي . النظرية التربوية في الإسلام . ط١ . مكة المكرمة : مطابع الصفا ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

(د)

١- دراز ، محمد عبد الله . الدين . ط٢ . الكويت : دار القلم ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

٢- الدسوقي ، فاروق أحمد . الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام . ط١ . ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٣- الدسوقي ، فاروق أحمد . الإسلام والعلم التجريبي . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

٤- الدسوقي ، فاروق أحمد . القضاء والقدر في الإسلام . ط١ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٥- الدسوقي ، فاروق أحمد . استخلاف الإنسان في الأرض . ط٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٦- الدسوقي ، فاروق أحمد . مقومات المجتمع المسلم . ط٢ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٧- ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن يدمر العلائي المعروف بـ (ابن دقماق) . الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق سعيد عاشور . جامعة ام القرى : مركز البحث العلمي ، الكتاب التاسع والثلاثون (د . ت) .

٨- الدهلوي ، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (شاه ولي الله) . حجة الله البالغة . تحقيق محمد شريف سكر . ط٢ . بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٩- الديوه جي ، سعيد . التربية والتعليم في الإسلام . ط١ . العراق ، الموصل : مكتب التراث العربي ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

(ذ)

١- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان . سير أعلام النبلاء . تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون . ط٧ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م

٢- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان . العبر في خبر من غبر . تحقيق محمد السيد بسيوني . ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) .

(ر)

١- ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الشهير بـ (ابن رجب الحنبلي) . فضل علم السلف على الخلف . تحقيق مروان العطية . ط١ . بيروت : دار الهجرة ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

٢- ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن . جامع العلوم والحكم تحقيق شعيب الانؤوط وإبراهيم باجس. ط٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

٣- رسلان ، محمد بن سعيد . ذم الجهل وبيان قبيح أثره . ط١ . السعودية : بريدة : دار البخاري ، (د . ت) .

٤- رسلان ، محمد بن سعيد . فضل العلم وآداب طلبته . ط١ . القاهرة : دار العلوم الإسلامية ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

٥- ريفيل ، جان فرانسوا . رياح التغير الجديدة . بيروت : دار الآفاق ، (د . ت) .

(ز)

١- زرزور ، عدنان محمد . دراسات في الفكر الإسلامي . ط١ . الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢- الزركلي ، خيرالدين . الأعلام . ط٦ . بيروت : دار العلم للملايين . ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٣- زهران ، حامد . الصحة النفسية والعلاج النفسي . ط٢ . القاهرة : عالم الكتب ، (د . ت) .

٤- الزهراني ، علي بخيت . الانحرافات العقدية العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة . ط١ . مكة المكرمة : دار الرسالة للنشر ، (د . ت) . وأصل الكتاب رسالة ماجستير إلى قسم الدراسات العليا الشرعية ، فرع العقيدة ، جامعة أم القرى عام ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

٥- زيدان ، عبد الكريم . المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية . ط٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٦- أبو زيد ، بكر بن عبد الله . التعالم وأثره على الفكر والكتاب . ط٢ . الرياض : دار الراية ، ١٤٠٨هـ = ١٠٨٧م .

٧- أبو زيد ، بكر بن عبد الله . حلية طالب العلم . ط١ . الرياض : دار الراية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

(س)

١- السائح ، أحمد عبد الرحيم . في الغزو الفكري . ط١ . قطر : سلسلة كتاب الأمة ، العدد ٣٨ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٢- السائح ، أحمد عبد الرحيم . المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة . ط١ . القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

٣- سابق ، سيد ومحمد عثمان عدلان . التربية العقلية في الإسلام . بحث منشور في مجلة النشرة التربوية . جامعة أم القرى : مركز البحوث التربوية والنفسية ، العدد ٨ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

٤- ستودارد ، لوثروب . حاضر العالم الإسلامي . ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق شكيب أرسلان . ط٤ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م

٥- السديس ، محمد عبد العزيز . أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي . رسالة ماجستير . جامعة أم القرى : كلية التربية ، ١٤٠٠-١٤٠١هـ (غير منشورة) .

٦- سعادة ، جودت أحمد ، وعبد الله محمد إبراهيم . تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها . ط١ . القاهرة : دار الثقافة ، (د. ت.) .

٧- سعيد ، عبد الستار فتح الله . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ط٤ . المنصورة : دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٨- سلطان ، جمال . الغارة على التراث الإسلامي . ط١ . القاهرة : مكتبة السنة ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٩- سلطان ، جمال . جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث . ط١ . بريطانيا : برمنجهام : مركز الدراسات الإسلامية ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

١٠- أبو سليمان ، عبد الحميد . أزمة العقل المسلم . ط٢ . الأردن : الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

١١- أبو سليمان ، عبد الوهاب . الفكر الأصولي . دراسة تحليلية نقدية . ط١. جدة : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .

١٢- سليمان ، عرفات عبد العزيز . نظم التعليم في العالم الإسلامي . ط١ . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

١٣- السهروردي ، عبد القاهر بن عبد الله البكري . عوارف المعارف . ملحق مع كتاب إحياء علوم الدين . المجلد الخامس . بيروت : دار الندوة ، (د . ت) .

١٤- سويد ، محمد نور عبد الحفيظ . منهج التربية النبوية للطفل . ط٤ . الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، مكة المكرمة : دار طيبة ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

١٥- السيوطي ، الإمام جلال الدين عبد الرحيم بن أبي بكر . تدريب الراوي شرح تقريب النواوي . تحقيق أحمد عمر هاشم . ط١ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

١٦- السيوطي ، الإمام جلال الدين عبد الرحيم بن أبي بكر . الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع . تحقيق ذيب القحطاني. ط١ . المدينة المنورة : مطابع الرشيد ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

(ش)

١- الشاذلي ، أحمد عبد القادر . حركات الغلو والتطرف في الإسلام . ط١ القاهرة : الدار المصرية للكتاب ، (د . ت) .

٢- الشاذلي ، محمود ثابت . الماسونية : عقدة المولد ، وعار النهاية . ط١ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥ م .

٣- الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي . الموافقات . وبه شرح عبد الله دراز ، تحقيق محمد عبد الله دراز . ط٢ . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

٤- شاكر ، محمود . العالم الإسلامي . ط٢ . دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م . ٥

٥- الشاهد ، السيد محمد . رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم . ط١ بيروت : دار المنتخب العربي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٦- الشرقاوي ، محمود علي . الإسلام وأثره على الثقافة العالمية . مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي : الكتاب الشهري ، العدد ١٦٠ ، ربيع الآخر ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

٧- الشريف ، نايف حامد همام . التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي . رسالة دكتوراه تحت الطبع . جامعة أم القرى : كلية التربية ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

٨- شلبي ، محمد مصطفى . المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي . ط١ . بيروت : دار النهضة العربية ، (د . ت) .

٩ - الشنقيطي ، عبد الله عمر . التقليد في الشريعة الإسلامية . ط١ . المدينة المنورة : دار البخاري ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

١٠- الشنقيطي ، محمد الأمين المختار . الأقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد . تحقيق شريف بن محمد هزاع . ط١ . القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، (د . ت) .

١١- الشوكاني ، محمد بن علي . أدب الطلب ومنتهى الأدب . تحقيق محمد صبحي حلاق . ط١ . القاهرة : مكتبة ابن تيميه ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

١٢- الشوكاني ، محمد بن علي . فتح القدير . ط١ . بيروت : دار إحياء التراث العربي . (د . ت) .

١٣- الشيباني ، عمر التومي . تطور النظريات والأفكار التربوية . ط٢ . ليبيا : الدار العربية ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٦م .

(ص)

١- الصافي ، عثمان عبد القادر . أسلمة العلوم الإنسانية عنوان وهمي لا واقع له . ط١ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م .

٢- صالح ، سعد الدين السيد . الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام . ط١ الزقازيق : دار الأرقم ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٣- ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن المعروف بـ (ابن الصلاح) . فتاوى ابن الصلاح . ملحقة ضمن الرسائل المنيرية . ط١ . مصر : المطبعة المنيرية ، الرياض : مكتبة طيبة ، ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م .

٤- الصنعاني ، محمد بن إسماعيل . إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد . ملحق ضمن الرسائل المنيرية . ط١ . مصر : المطبعة المنيرية ، الرياض : دار طيبة ، ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧ .

٥- الصوفي ، حمدان عبد الله . مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية . (رسالة دكتوراه غيرمنشوره) جامعة أم القرى : كلية التربية ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

(ظ)

١- ظاظا ، زهير . الإعلام على الأعوام . ط١ . بيروت : دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(ع)

١- أبو عابد ، محمد . المؤامرة اليهودية . مصر : القاهرة ، رقم الإيداع في مصر ٨٩٦٩ / ١٩٨٧م ، (د . ت) وَ (د . دار نشر) .

٢- عارف ، نصر محمد . نظريات التنمية السياسية المعاصرة . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٢ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٣- عاشور ، محمد الفاضل . روح الحضارة الإسلامية . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . الرياض : نشر الدار العالمية للفكر الإسلامي ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٤- العالم ، جلال . قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدوا أهله . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

٥- عباس ، إبراهيم فؤاد . الماسونية تحت المجهر . ط١ . جدة : دار الرشاد ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٦- عبد الباقي ، محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ط٢ . بيروت : دا رالفكر ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

٧- ابن عبد البر ، الإمام يوسف بن عبد البر النمري القرطبي . جامع بيان العلم وفضله . بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) .

٨- عبد العال ، حسن . التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ط١. القاهرة : دار الفكر العربي ، (د . ت) .

٩- عبد الله ، عبد الرحمن صالح . التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية . ط١ . جدة : دار المنار . ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

١٠- عبد الله ، أبو إسلام أحمد . الماسونية في المنطقة ٢٤٥ . ط١ . القاهرة : الزهراء للاعلام ، (د . ت) .

١١- ابن عبد الوهاب ، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . خمس رسائل مطبوعة ضمن كتاب الجامع الفريد . ط٣ . الرياض : (د . دار نشر) ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

١٢- عثمان . محمد فتحي . القيم الحضارية في رسالة الإسلام . ط١ . جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

١٣- العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار . ملحق مع كتاب أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين بيروت . طبعة دار المعرفة ، (د . ت) .

١٤- عرقسوسي ، محمد خير عرقسوسي . ندوة المنهجية الإسلامية في بناء العالم المسلم . بحث مقدم للمؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية في ندوة البعد الحضاري والتاريخي ، (-) .

١٥- العكش ، إبراهيم علي . التربية والتعليم في الأندلس . ط١ . الأردن : عمان : دار الفيحاء ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

١٦- العطاس ، محمد النقيب . التعليم الإسلامي أهدافه ومقاصده . ترجمة عبد الحميد محمد الخريبي . سلسلة التعليم الإسلامي . ط١ . جدة : نشر عكاظ و جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

١٧- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م .

١٨- العمري ، أكرم ضياء . التراث والمعاصرة . قطر : سلسلة كتاب الأمة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

١٩- عمر ، عبد العزيز عمر . دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر . ط١ . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

٢٠- علي ، سعيد إسماعيل وآخرون . دراسات في فلسفة التربية ، ط١ . القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

٢١- العلواني ، طه جابر . الأزمة الفكرية المعاصرة . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٤ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

٢٢- العلواني ، طه جابر . أدب الإختلاف في الإسلام . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٤ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

٢٣- العلواني ، طه جابر . إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٢ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي . ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

٢٤- عويس ، عبد الحليم . العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري . ط١ . الكويت : دار الفلاح ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

٢٥- العيدروس ، عبد القادر العيدروس . تعريف الأحياء بفضائل الإحياء . ملحق مع كتاب الإمام أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين . بيروت : دار الندوة ، (د . ت) .

(غ)

١- الغدير ، عبد الكريم . المسلمون والبديل الحضاري . من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٣ . الرياض : نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٢- الغزالي ، محمد بن محمد الغزالي . إحياء علوم الدين . بيروت : دار المعرفة ، (د . ت) .

٣- الغريب ، رمزية . التعلم . ط٤ . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .

(ف)

١- الفاروقي ، إسماعيل راجي وعبد الله عمر نصيف . العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية . ترجمة عبد الحميد الخريبي . ط١ . سلسلة التعليم الإسلامي . جدة : نشر عكاظ ، وجامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٢- فتحي ، عثمان محمد . القيم الحضارية في رسالة الإسلام . ط١ . جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

٣- فريد ، أحمد . البحر الرائق في الزهد والرقائق . ط١ . جدة : مكتبة الصحابة ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

٤- فريد بك ، محمد . تاريخ الدولة العلية العثمانية . تحقيق إحسان حقي . ط١ . بيروت : دار النفائس ، (د . ت) .

٥- الفريواتي ، عبد الرحمن . تراث المسلمين العلمي في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية . ط٢ . الرياض : دار الأثر ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

٦- فطيم ، مصطفى فطيم ، وأبو العزائم الجمال . نظريات التعليم المعاصرة وتطبيقاتهاالتربوية . ط١ . مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٧- الفنيش ، أحمد علي . أصول التربية . ط١ . ليبيا : الدار العربية للكتاب ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٨- فهيم ، محمد عيسى . إعداد أعضاء التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغربة . سلسلة الدراسات والبحوث التربوية رقم ٩ . ط٢ جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٩- فودة ، حلمي محمد وعبد الرحمن صالح عبد الله المرشد . في كتابه الأبحاث . ط٦ . جدة : دار الشروق ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(ق)

١- القاسم ، حمود عبد الرؤوف . الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ . ط١ . بيروت : دار الصحابة ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٢- القاسمي ، محمد جمال الدين . تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط٢ . بيروت دار الفكر ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

٣- القحطاني ، محمد سعيد . الولاء والبراء في الإسلام . ط٣ . الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٤- ابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة . المغني مع الشرح الكبير لشمس الدين بن قدامة . ط١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

٥- القرضاوي ، يوسف . الرسول والعلم . ط١ . بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

٦- القرضاوي ، يوسف . الحلول المستورده وكيف جنت على أمتنا . ط٥ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٩٢م .

٧- القرضاوي ، يوسف . الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . ط١ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٨- القرضاوي ، يوسف . من أجل صحوة راشدة . ط١. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٩- القرضاوي ، يوسف . أين الخلل . ط٥ . القاهرة : دار الصحوة ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

١٠- القرضاوي ، يوسف . فقه الأولويات . ط١ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

١١- القرضاوي ، يوسف . الخصائص العامة للإسلام . ط٣ . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

١٢- القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ط١ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

١٣- قطب ، سيد . في ظلال القرآن . ط٩ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

١٤- قطب ، سيد . خصائص التصور الإسلامي . ط٧ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

١٥- قطب ، محمد . واقعنا المعاصر . ط١ . جدة : مؤسسة المدينة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

١٦- قطب ، محمد . مذاهب فكرية معاصرة . ط٧ .القاهرة : دار الشروق ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

١٧- قطب ، محمد . هلم نخرج من ظلمات التيه . ط١ . الرياض : دار الوطن ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

١٨- قطب ، محمد . رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر . ط١ . دار الوطن ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

١٩- قطب ، محمد . التطور والثبات في حياة البشرية . ط٧ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٢٠- قطب ، محمد . الإنسان بين المادية والإسلام . ط٨ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٢١- قطب ، محمد . دراسات في النفس الإنسانية . ط٥ . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٢٢- قطب ، محمد . مفاهيم ينبغي أن تصحح . ط١ . دار الشروق ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٣- القلقشندي ، أحمد بن عبد الله القلقشندي . مآثر الأنافة في معالم الخلافة . تحقيق عبد الستار فرح . ط٢ . مطبعة حكومة الكويت ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م

٢٤- القوصي ، عبد العزيز . أسس الصحة النفسية . ط١ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٢٥- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . أعلام الموقعين عن رب العالمين . تحقيق عبد الرؤوف سعد . ط١ . بيروت : دار الجيل ، (د. ت.) .

٢٦- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . شرح الشروط العمرية . تحقيق صبحي صالح . ط٢ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م .

٢٧- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . مفتاح دار السعادة . تحقيق سيد إبراهيم و علي محمد . ط١ . القاهرة : دار زمزم ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٢٨- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . تحقيق محمد حامد الفقي . ط١ . مصر : دار الرشاد ، (د. ت.) .

٢٩- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . طريق الهجرتين وباب السعادتين تحقيق عمر أبو عمر . ط١ . الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م

٣٠- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . تحقيق محمد حامد الفقي . ط١ . بيروت : دار الفكر ، (د.ت.)

٣١- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . ط١ . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م .

(ك)

١- كاميللري ، جوزيف . أ. أزمة الحضارة . ترجمة فؤاد الخوري . سوريا ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي . ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

٢- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي . البداية والنهاية . تحقيق أحمد عبد الوهاب فتح . ط١ . القاهرة : دار الحديث ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٣- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي . النهاية في الفتن والملاحم . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . دار الفكر العربي ، (د. ت.) .

٤- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي . تفسير القرآن العظيم .

٥- الكلزة ، رجب ، وعبد الله إبراهيم . نظريات المنهج والشخصية المصرية ط١ . القاهرة : المكتب العربي ، (د. ت.) .

٦- الكيلاني ، ماجد عرسان . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . ط٢ . بيروت : دار ابن كثير ، المدينة : دارا لتراث ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

٧- الكيلاني ، ماجد عرسان . فلسفة التربية الإسلامية . ط٢ . مكة المكرمة : مكتبة هادي ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٨- الكيلاني ، ماجد عرسان . اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية . نشر مركز بحوث التعليم الإسلامي . ط١ . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

٩- الكيلاني ، ماجد عرسان . إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها . قطر : سلسلة كتاب الأمة ، العدد : ٣٠ ، صفر ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

١٠- الكيلاني ، ماجد عرسان . الأمة الإسلامية مفهومها ومقوماتها وإخراجها . ط١ . مكة المكرمة : دار الاستقامة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(م)

١- محمود ، إبراهيم وجيه محمود . التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته . ط١ . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢- مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط . ط٢. القاهرة : ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

٣- مرسي ، محمد منير . أصول التربية الثقافية والفلسفية . ط٢. القاهرة : دار الاتحاد العربي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

٤- مرسي ، محمد منير . الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث . ط١. القاهرة : عالم الكتب ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٥- ابن مفلح ، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي . الآداب الشرعية والمنح المرعية. ط١. مكة المكرمة : مكتبة الباز ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

٦- المقبلي ، صالح بن المهدي المقبلي اليمني . العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ . ط١. دمشق : دار البيان ، (د . ت) .

٧- المقريزي ، أحمد بن علي . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المعروف بالخطط المقريزية . ط١. القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ،(د . ت)

٨- ابن منظور ، محمد بن مكر بن علي بن منظور . لسان العرب . تحقيق عبد الله الكبير وآخرون . القاهرة : دار المعارف ، (د . ت) .

٩- المودودي ، أبو الأعلى . نحن والحضارة الغربية . ط١. جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

١٠- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكه . كواشف زيوف . ط٥. دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

١١- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة . أجنحة المكر الثلاثة . ط٥. دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

١٢- ميمني ، هدى عبد الرحيم . التربية العقلية في القرآن الكريم . رسالة ماجستير غير منشورة . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ .

(ن)

١- ناصر ، إبراهيم . أسس التربية . ط٢. الأردن : دار عمان ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

٢- النجار ، زغلول راغب النجار . أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط١ . هيرندن ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٣- النحوي ، عدنان علي . ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . ط١. الرياض : مطابع الفرزدق ، (د . ت) .

٤- النحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية . تصوير عن ط١. دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

٥- الندوي ، أبو الحسن . الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . ط٤. الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٦- الندوي ، أبو الحسن . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ط ٨ . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٧- ابن النديم ، محمد بن إسحاق (الوراق) . الفهرست . تحقيق رضا تجدد بن علي الحائري . ط٣. بيروت دار المسيرة ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٨- النعلي ، أحمد بن حجر . تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين . ط٢. الكويت : مكتبة ابن تيميه ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٩- النعيمي حسين بن مهدي . معارج الألباب في منهاج الحق والصواب . تحقيق محمد حامد الفقي . ط٤. الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

١٠- النعيمي ، عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي . الدارس في تاريخ المدارس . تحقيق جعفر الحسيني . ط١. (د . دار النشر) . ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

١١- النووي ، الإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي . المجموع شرح المهذب للشيرازي . تحقيق محمد نجيب المطبعي . جدة : مكتبة الإرشاد .(د. ت.) .

(هـ)

١- هارول ، مارك أ. الشتاء النووي . ترجمة عبد الله حيدر . ط١ . بيروت : دار الترقي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢- هنادي ، محمد عبد القادر . قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها ط١. مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي . ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٣- هونكه ، زيغريد . شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيضون وآخرون . ط٨. بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م

(و)

١- الوكيل ، حلمي أحمد . تطوير المناهج . ط٧. القاهرة : مكتبة الانجلو

المصرية ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

٢- وهبة ، توفيق علي . شبهات وانحرافات في التفكير الإسلامي المعاصر . ط٥. الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

الدوريات

مجلة المعرفة . عدد ١ . رجب ١٤١٧ هـ . تصدر عن وزارة المعارف بالرياض